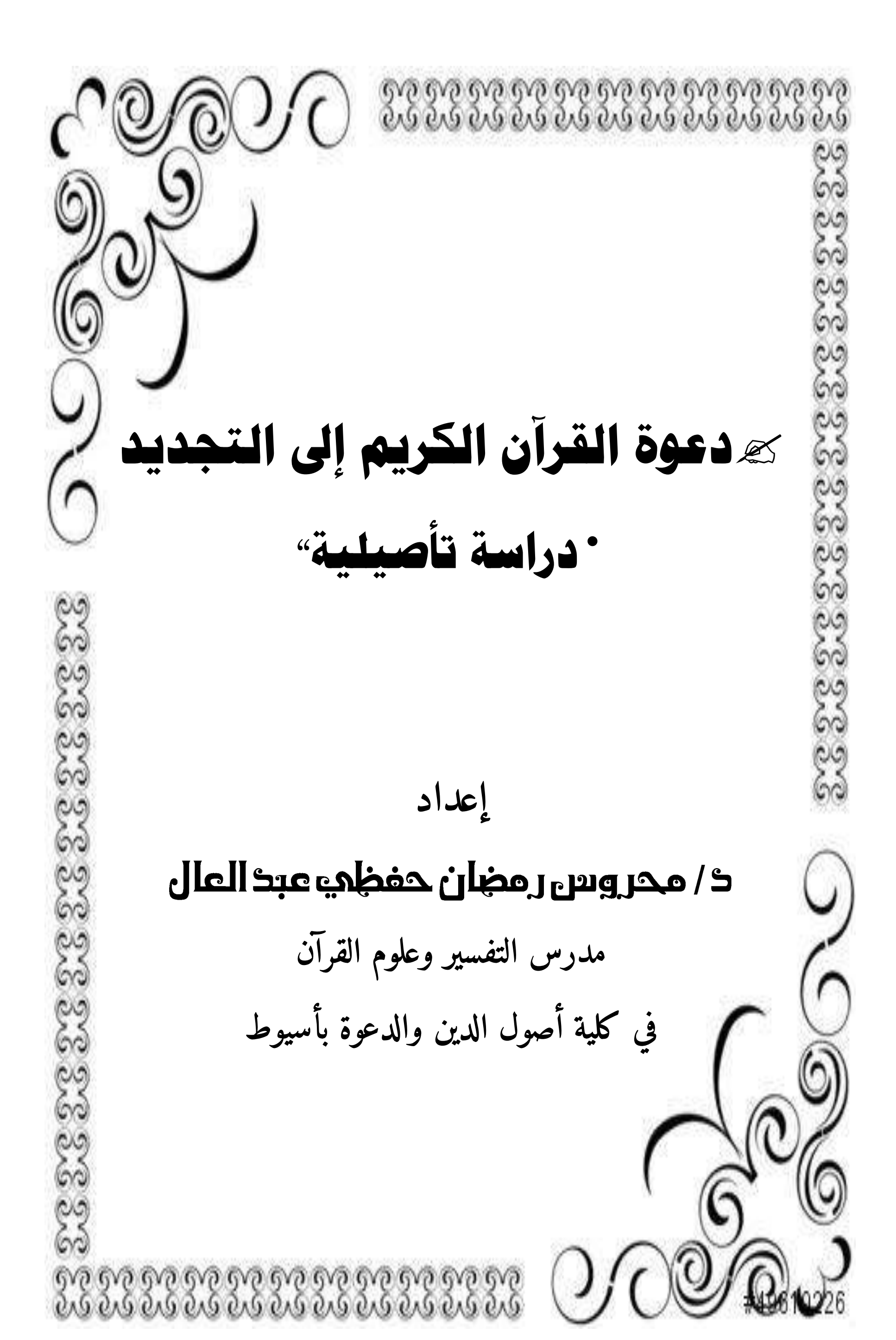


✍دعوة القرآن الكريم إلى التجديد

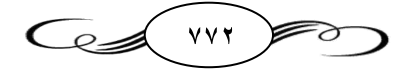
"دراسة تأصيلية"

إعداد

د/ محروس رمضان حفظي عبد العال

مدرس التفسير وعلوم القرآن

في كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط



دعوة القرآن الكريم إلى التجديد "دراسة تأصيلية"

محروس رمضان حفظي عبد العال

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر .

البريد الإلكتروني: mahrousramadan2@azhar.edu.eg

ملخص البحث

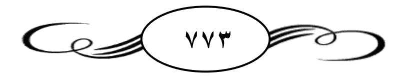
هدفت هذه الدراسة إلى التأصيل العلمي لموضوع دعوة القرآن الكريم إلى التجديد في مختلف مجالات الحياة، من خلال جمع الآيات القرآنية التي أشارت إلى ذلك صراحة أو ضِمْنَاً .

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي مستعيناً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تخدم البحث؛ للوقوف على ما له علاقة مباشرة وغير مباشرة بموضوع الدراسة، ثم تصنيف الآيات تبعاً لكل جانب من جوانب البحث، مستخدماً كتب التفسير وعلوم القرآن المعتمدة في فهم مراد الله ، مع الاستعانة بالمراجع المختلفة في كل فن من فنون المعرفة .

اشتمل البحث على مقدمة ، ومبحثين , وخاتمة , وفهارس .

المبحث الأوَّل: بين يدي التجديد ، ويشتمل على: مفهوم التجديد في اللُّغة والاصطلاح ، ماذا سيحدث لو رفضنا التجديد؟ ، أهم ضوابط التجديد .

المبحث الثاني: مجالات التجدِيد في ضوء القرآن الكريم، ويشتمل على عشرة مطالب:



التجديد في التفكير ، التجديد في أسلوب الحياة الزوجية ، التجديد في أساليب الدعوة إلى الله تَعَالَى، التجديد في الصناعة ، التجديد في المجال العسكري ، التجديد في التفاعل الحضاري ، التجديد في المعاملات ، التجديد في السياحة ، التجديد في التنوع الثقافي والمعرفي ، التجديد في الأمور المعيشية .

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث .

الفهارس: تتضمن فهرس ثبت أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات .

الكلمات المفتاحية: التجديد ، دعوة ، ضوابط ، تأصيلية ، موضوعية .

The Holy Quran's calling for innovation or renewal «an authenticating Study»

Mahrous Ramadan Hefzy Abd Aal

Department of interation and sciences oF the Holy quran, Faculty of religion Fundmentals and



Advocacy, Assiut, AL-AZhr University, Assiut, Egypt .

E – mail : mahrousramadan2@azhar.edu.eg

Abstract:

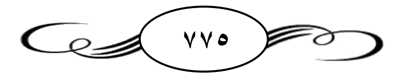
This study has the of scientific origination of the Holy Quran's calling for innovation or renewal in the different aspects of life through collection of the verses of the Holy quran which refer to this explicitly or implicitly.

The researcher used the deductive and the inductive method in This research through collection of the verses of the Holy quran and the speeches of the prophet Mohammad which Serves the topic using contemplation in order to know the things that have direct or indirect relation to the subject matter of The research, organizing and classifying the them, and classifying the verses which relate to each of the aspects of The research. I depend on some books of interpretation and sciences of the Holy quran that are agreed on in the understanding of what God meant in these verses. I also depended on some different refrences.

This research includes an introduction, two research quests, a conclusion and indexes.

The first quest : between the hands of innovation and it includes : the concept of innovation in the linguistic and idiomatic senses,the related vocabulary to the concept of innovation,what will happen if we rejected innovation, the warnings of innovation, the most important regulations of innovation.

The second quest : The Fileds of innovation in the light of the Holy quran and it includes ten research quests :



innovation of thinking , innovation in the style of marital life , the innovation of the ways of the spreading of Allahs word , innovation in industry , innovation in the military Filed , innovation in the reaction of civilizations, innovation in everyday life exchanges , innovation in tourism, innovation in the cultural and intellectual variety, innovation in life affairs.

The conclusion : includes the most important finding and recommendations.

The Indexes.

Key words : Innovation, calling, Regulations, An authenticating, An objective.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي أنزل القرآن نوراً وشفاء لما في الصدور، وضياء للبشرية على مر العصور وتوالي الدهور، أودع فيه ما يبعث على التفكر والنظر، والحث على السَّير وأخذ العِبر، والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير، وعلى آله وأصحابه المبلغين عنه بلا تقصير، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم على المؤمنين يسير، وعلى الكافرين عسير، أمَّا بعد:

هل القرآن الكريم يدعو إلى التجديد ؟

أحد الأسئلة التي قد لا تجد لها إجابة مباشرة في آية محددة من آيات القرآن، لذا فإنَّ جل ما كتب عن التجديد وما يتفرع عنه من «تجديد الخطاب الديني»، و«تجديد الفقه» وغيرها من الدراسات القيمة قد أَجمل الإجابة على هذا السؤال .

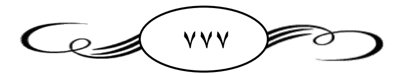
لم ترد كلمة «تجديد» في القرآن صيغة، ولكن تكرر لفظ «جَدِيد» ثماني مرات[١]، وفي جميع سياقاتها ارتبطت بمعنى «الخَلْق والايجاد والانشاء من العدم»، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذا كُنَّا تُراباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٢]، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٣]، ﴿وَقالُوا

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٦٥، والدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، حُسين فهمي ص٣٥٩ .

(٢) سورة الرعد: (٥) .

(٣) سورة إبراهيم: (١٩) ، سورة فاطر:(١٦) .



أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾(١)، ﴿وَقالُوا أَإِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٢)، ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٣) ، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٤)

ومع ذلك يمكن القول: إنَّ روح القرآن كله دعوة إلى التجديد، فالدعوة إلى عمل ما تأخذ صوراً وأشكالاً متعددة باستخدام المفهوم ذاته صراحة، أو بمرادفاته، أو بتطبيقاته العملية على أرض الواقع، أو بذم مقلوبه .

إنَّ القرآن فيه دعوة صريحة وضِمنية إلى التجديد؛ إذ كان ولا يزال كتاباً حيَّاً في قومه يُسدِّد ويعاتب، يَنْهر ويذكر، يعلم ويزكي، يدعو للتفكر والتأمل والتعقل والتدبر، يسأل ويستنكر؛ ليحفز الإنسان على الإبداع، وليحرره من قبضة الركون إلى النفس والهوى، أو الجمود على العقائد البالية، محتكماً في ذلك إلى قوي الحجة والبرهان .

وهو صالح لكل زمان ومكان، وأثره الإصلاحي لا يقتصر على زمن نزوله، بل هو ممتد إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، فهدايته عامة باقية، تتجدد في أسلوبها بتجدد المجتمع الإنساني الذي يأخذ من هذه الهداية ما يناسب عصره، ولقد قُدِّر له أن يظل مهيمناً على شؤون حياتنا جميعها، وقد اختصه الله بثراء معانيه، وتجدد فهمه، وتعدد أفكاره، وتباين

---

(١) سورة الإسراء: (٤٩) ، سورة الإسراء: (٩٨) .
(٢) سورة السجدة: (١٠) .
(٣) سورة سبأ: (٧) .
(٤) سورة ق: (١٥) .



معارفه التي يحملها النَّص الواحد حتى لكأنَّك تقرأ النَّص، فتجد في ألفاظه من المعاني ما يتسابق به مغزاه إلى نفسك دون كد خاطر، ولا معاودة حديث[(١)]، يخيل إليك أنك قد أَحطتَ به خُبرًا، ووقفت على مراده، ولو رجعت إليه كرَّة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد غير الذي سبق إلى فهمك أوَّل مرةٍ، كأنَّه فص من الماس يعطيك كل ضِلع منه شعاعاً، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع، ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر ممَّا رأيت، وهكذا تجد كتابًا مفتوحاً مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له؛ بل ترى محيطاً مترامي الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال[(٢)] .

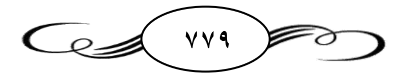
وكما أنَّ النور الذي يملأ المكان ضياء، ولكن لو سُئلتَ: ماذا ترى ؟ لعددت كل شيء، ولأغفلتَ وجود النور، هكذا الدعوة للتجديد في القرآن متضمنة جل شيء، فهو يدعو إليه تصريحاً وتلميحاً تطبيقاً وتعليماً، لكن لعدم وجود آيات مباشرةٍ خَفِي علينا، ودار في أذهاننا، وتردد على ألسنتنا السؤال الذي ذكرناه آنفاً .

من هنا لزم على المشتغلين به أنْ يُعمِّقوا نظرتهم فيه، وأن يستلهموا منه الدروس والفوائد بما يحقق المصلحة للبشرية في العاجل والآجل، وأن يجعلوا أثره واضحاً؛ ليعيشه البشر، ويحسوا به، ويتفيأوا ظلاله، فكل عصر يستطيع أن يستخرج منه ما يعينه على تحقيق متطلباته؛ إذ أودع

---

(١) ينظر: التجديد في التفسير لعثمان عبد الرحيم ص٢٠: ٢٤، وتطور تفسير القرآن، قراءة جديدة، د. محسن عبد الحميد ص٢٣١, طبع وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد، ١٤٠٨هـ .

(٢) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ص ١٥١، ١٥٢.



الله فيه من السعة والمرونة ما يواجه به كل جديد، ويصلح لكل بيئة وجيل، وما يكفي لخلق حضارة ربانية تلتقي فيها الدين والدنيا معاً، ولا يمكن أن نُوقف تفسير كلام الله عند عصر معيَّن؛ لأنَّنا إن فعلنا ذلك طعنا في خلود القرآن وخاتميته وعالميته .

✍ أهمية الموضوع وأسباب اختياري له:

لقد دفعني لدراسة هذا الموضوع بعد إرادة الله – عَزَّ وَجَلَّ – وتوفيقه أمور منها:

أولاً: إنَّ موضوع التجديد من أهم الموضوعات التي تطرح على الساحة؛ لأمرين:

الأوَّل: إزالة البِدع والخُرافات التي التصقت بالإسلام عامة، والقرآن خاصة؛ إذ البعض يدعي أنهم دعاة تنوير وتجديد، ويصفون عصور الإسلام بأنها كانت ظلاماً وتأخراً، لكن الشرق كان وسيظل منارة العلم والحضارة التي أضأت العالم أجمع .

الثاني: استنباط الأحكام التي تتعلق بالحياة المُعاصرة، والتطور المستمر الذي يشهده العالم في شتى المجالات، وتلبية حاجات الإنسان من خلال آيات القرآن؛ لتنير طريقه وفق المنهج القرآني .

ثانياً: طبيعة هذا الدين والخصائص التي خص الله بها هذه الشريعةَ الغراء، وأهمها خاصيتا: الخلود, والشمول[(١)]، أمَّا الخلود: فمتمثل في

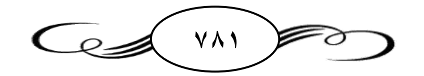
(١) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي ، د: عدنان محمد أمامة ص ٢١ .



كون رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النَّبيِّين، ورسالته هي الخاتمة، فلا نسخ ولا تبديل في أحكامها، وهذا يستلزم النظر في القرآن, وصونه من عبث العابثين، وكيد المتربصين، وأمَّا الشمول: فكون الإسلام ديناً عاماً يشمل الزمان والمكان، وهذا يعني استيعاب الشريعة لكل شأن من شؤون حياة الإنسان الخاصة والعامة، الدنيوية والأخروية .

ثالثاً: في ظل الدعوات الكثيرة التي انتشرت في الآونة الأخيرة عن مفهوم التجديد، وتضاربت حوله الرُّؤى ووجهات النظر، فاتخذتْ أشكالاً متباينة، وأصبح الناس بين أمرين إمَّا غير مؤهل، وإمَّا متعصب، ودخل فيه أناس لا يتقنون فنَّه، فاتخذوه مَطِيَّة لتحريف أصول الدين وقواعده، ودفع أعداء الإسلام لتحقيق ذلك مجموعة من المرتزقة، فكان لا بد من كشف اللِّثام وبيان الحقيقة؛ وذلك بالتأصيل له بصورة شرعية من خلال آيات القرآن وأحاديث خير المرسلين، مع التفريق بين التجديد المراعى فيه ضوابطه وشروطه، وبين التجديد المنحرف عند أرباب الثقافة وغيرهم من المدسوسين المَحْسُوبِين على دِيننا .

رابعاً: الحاجة الماسة إلى عودة الأُمَّة إلى مكانتها الرائدة، وهذا يحتاج منا أن نساهم بكل ما نستطيع لتحقيق ذلك، فالإنسانية ما أحوجها إلى رجال يحسنون عرض دِيننا، رجال يتبنون كل جديد، يجمعون بين القديم النافع، والجديد الصالح، يدعوون إلى الانفتاح على العالم دون الذوبان فيه، يعملون جاهدين لإيجاد جيل مسلم يَقوم في عالم اليوم بما قام به الرَّعيل الأوَّل، فجاء هذا البحث المتواضع تحت



عنوان: ((**دعـــوة القـــرآن الكـــريم إلى التجديـــد "دراســـة تأصيلية"**))؛ ليقدم طرحاً لقضية «التجديد» عن طريق تتبع النَّص القرآني والتأصيل له من خلال آياته؛ إذ المكتبة الإسلامية ما زالت في حاجة ماسة إلى تلك البحوث التي تكشف حقيقة المفاهيم والمصطلحات التي يُموِّه بها دعاة التحريف، والمفتونون بهم على الساحة، فهو أمرٌ جديرٌ بأن يسْتَفْرَغ له الوسع، وتشْحَذ له الهِمم، ويبذل له الجهد، وتوجه له الطاقة .

فالله أسأل أن يوفقنا فيما نَصْبُو إليه، وأن يكتب لنا السداد في أمورنا كلها، ويجَنبنا الزلل والخطأ في عقيدتنا، والإخلاص في أقوالنا وأفعالنا، والقبول بفضله ومَنِّه لبضاعتنا المُزجاة، والعفو عن تقصيرنا، والمغفرة لهفواتنا، إنه حَسبنا ومولانا، فنِعمَ المولى، ونِعم النصير، والهادي إلى الصراط المستقيم .

✍**الدراسات السابقة**:

تتابعت الكتابات في موضوع التجديد، وانبرى للتأليف فيه ثُلة من العلماء والباحثين الأفاضل، فأجادوا وأفادوا، وقد يسَّر الله لي الاطلاع على بعض ما صنف في ذلك، فوجدته حسناً مفيداً نافعاً، لكن لم يتناول هذا الموضوع أحد من قبل – حد علمي– تناولاً موسعاً شافياً وافياً من الناحية الموضوعية التأصيلية، وإن وُجِدَ كان من جانب آخر غير التفسير الموضوعي، من هنا أخذتُ على عاتقي جمع ما يتعلق بالموضوع محاولاً استيعاب الفكرة، ومعالجته معالجة عامة، مظهراً موقف القرآن الكريم منه، وأظن – وَاللَّه أَعْلَم – أنَّه سيسهم مساهمة فعالة في سد الخلل في هذا



الموضوع، حيث يتناول قضية معاصرة تدفع شبهات خصوم الإسلام المتهمين له بالجمود والرجعية وعدم مواكبته للمستجدات العصرية .

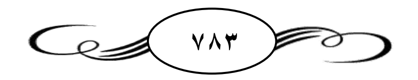
✍ أهم صعوبات البحث:

هناك عدة صعوبات واجهتني أثناء هذا البحث أذكر بعضها :

أولاً: ليس من اليسير التعامل مع مصطلح تتجاذبه اتجاهات فكرية مختلفة، فقضية التجديد قضية شائكة يهتم بها الجميع على اختلاف فِرقهم، وتعدد مذاهبهم، وتنوع مشاربهم .

ثانياً: تنوع مجالات التجديد في القرآن، مع العلم بعدم وجود آيات صريحة في ذلك، ممَّا يستدعي إعمال الذهن، وإيقاد العقل بصورة مكثفة، والقراءة في كتب التفسير قراءة متأنية حتى يتم استيعاب الفكرة وهضمها .

ثالثاً: يصعب متابعة النتاج العلمي الضخم الذي كُتِبَ في هذا الموضوع قديماً وحديثاً، فضلاً عن تعدد المصادر التي يحتاجها البحث، فقد استعنت بمراجع كثيرة غير التفسير وعلوم القرآن، وهذا يقتضي مضاعفة الجهد في أبحاث تتعلق بعلوم مختلفة عن اختصاص الباحث؛ للخروج بنتائج تخدم البحث، وتجعل فكرته متناسقة، وهذا فيه من الصعوبة والمشقة ما لا يخفى .



✍ **منهجي في البحث**:

لقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي[1] ، والاستنباطي[2] في هذا البحث عن طريق جَمْع الآيات القرآنية التي تخدم الموضوع، ثُمَّ تنظيمها وتنسيقها؛ للوقوف على ما له علاقة مباشرة وغير مباشرة بالبحث، مع تصنيف الآيات المتعلقة بكل جانب من جوانبه، ووضعها في المبحث الخاص بها، وعزوها إلى مواضعها من سورها، مستخدماً كُتُب التفسير وعلوم القرآن المعتمدة لفهم مراد الله، مع الاستعانة بالمراجع المتنوعة في كل فن من فنون المعرفة؛ لتدعيم آرَاء الباحث، وما توصل إليه من نتائج.

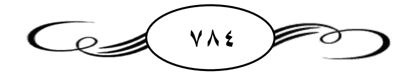
✍ **خطة البحث**:

اقتضت ظروف البحث أن يتكون من مقدمة، ومبحثين , وخاتمة , وفهارس .

---

(١) المنهج الاستقرائي: هو منهج يقوم على التتبع لأمور جزئية، مستعيناً بالملاحظة والتجربة، وافتراض الفروض لاستنتاج أحكام عامة، فَإِن كَانَ الاسْتِدْلَال فِيهَا من استقراء جَمِيع الجزئيات فتَام، وَإِلَّا فناقص . ينظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، د/علي سامي النشار ص٣٤٩، ط: دار النهضة العربية، بيروت، الثالثة، ١٤٠٤هـ.

(٢) المنهج الاستنباطي: هو الذي يربط العقل فيه بين المقدمات والنتائج، أو بين الأشياء وعللها على أساس المنطق والتأمل الذهني، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات، وذلك عن طريق تحليل الآيات التي تتعلق بالموضوع، ثُمَّ استنباط الفوائد والعِبر والرُّؤى والأفكار من خلالها. ينظر: البحث العلمي، مناهجه وتقنياته، د/ محمد زيان عمر ص ٣٢، ط: جدة، ١٣٩٤هـ .



أمَّا المقدمة: فتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له, وأهم صعوبات البحث، ومنهجي فيه, وخطة البحث .

✍ **المبحث الأول**: بين يدي التجديد، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل : مفهوم التجديد في اللُّغة والاصطلاح .

المطلب الثَّاني: ماذا سيحدث لو رفضنا التجديد ؟

المطلب الثَّالث: أهم ضوابط التجديد .

✍ **المبحث الثاني**: مجالات التجديد في ضوء القرآن الكريم، ويشتمل على عشرة مطالب:

المطلب الأول: التجديد في التفكير .

المطلب الثاني: التجديد في أُسلوب الحياة الزوجية .

المطلب الثالث: التجديد في أساليب الدعوة إلى الله تَعَالَى .

المطلب الرابع: التجديد في الصناعة .

المطلب الخامس: التجديد في المجال العسكري .

المطلب السادس: التجديد في التفاعل الحضاري .

المطلب السابع: التجديد في المعاملات .

المطلب الثامن: التجديد في السياحة .

المطلب التاسع: التجديد في التنوع الثقافي والمعرفي .

المطلب العاشر: التجديد في الأمور المعيشية .



✍ **الخاتمة**: تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث .

✍ **الفهارس**: تتضمن: فهرس ثبت أهم المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات .

✍ المبحث الأول

بين يدي التجديد

✍ المطلب الأول

مفهوم التجديد في اللُّغة والاصطلاح

أولاً: مفهوم التجديد لغةً:

بالرجوع إلى كتب المعاجم العربية تبيَّن لي أنَّ للكلمة خمسة معان، هاك بيانها:

الْأَوَّل: الْعَظَمَة، الثَّانِي: الْحَظ، الثَّالِث: الْقَطْع، يقال: ثَوْبٌ جَدِيدٌ، كَأَنَّ نَاسِجَهُ قَطَعَهُ الْآنَ، ثُمَّ سُمِّيَ كُل شَيْءٍ لَمْ تَأْت عَلَيْهِ الْأَيَّام جَدِيدًا; وَلِذَٰلِكَ يُسَمَّى اللَّيْل وَالنَّهَار: الْجَدِيدَيْنِ; لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا جَاءَ فَهُوَ جَدِيدٌ[1].

الرابع: نَقِيض الْخَلق، وَهُوَ خِلَاف الْقَدِيم، وَجَدَّدَ فُلَانٌ الْأَمْرَ: إِذَا أَحْدَثَهُ فَتَجَدَّدَ هُوَ[2]، وَمِنْهُ قَوْل الشَّاعِر:

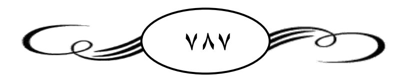
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى تَجْدِيدِ ودكم ... وَهَلْ يُجَدِّد شَيْء بَعْد إِخْلاق[3]

---

(١) معجم مقاييس اللُّغة لابن فارس ٤٠٦/١: ٤٠٩، ت: عبد السلام هارون، ط: دار الفكر، ١٩٧٩م .

(٢) مختار الصحاح للرازي ص ٥٤، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ٩٢/١، ط: المكتبة العلمية، بيروت .

(٣) ديوان ابن الرُّومِي ٤/ ١٦٤٧، ت: حسين نصَّار، ط: دار الكتب المصرية، ١٣٩٧هـ .



الخامس: مَا لَا عَهْدَ لَكَ بِهِ(١) .

والشيء إذا مرت عليه أحوال حتى صار قديماً، يأتيه التغير والاختلاف عمَّا كان عليه أوَّل أمرِه من أحد ثلاثة وجوه:

الأَوَّل: إمَّا أن تُطْمَس بعض معالمه حتى لا تتضح لمن ينظر فيها .

الثَّاني: وإمَّا أن يقْتطع منه شيء، فتنقص بذلك بعض مكوناته .

الثَّالث: وإمَّا أن يُضاف إليه، ويزاد فيه حتى لا تختلف صورته، فلا يعني التجديد إلغاء القديم إلغاء تامَّاً، بل تحسينه وتجويده بأن يضاف إليه ما يحقق أهدافه، كابتكار فكرة أو وسيلة، أو إثبات نظرية، أو اكتشاف أو اختراع وغير ذلك(٢) .

ممَّا سبق يمكن القول: إن لفظ «التجديد» في أصل معناه اللُّغوي يبعث في الذهن تصوراً تجتمع فيه ثلاثة معان متصلة لا يمكن فصل أحدها عن الآخر، ويستلزم كل واحد منها المعنى الآخر: أولها: أن الشيء المجدد قد كان في أوَّل الأمر موجوداً وقائماً وللناس به عهد .

ثانيها: أنَّ هذا الشيء أتت عليه الأيام، فأصابه البلى، وصار قديماً .

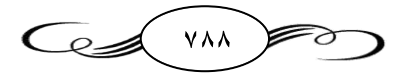
ثالثها: أنَّ ذلك الشيء قد أُعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يَبْلَى ويخلق(٣) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣/١١٢، ط: دار صادر، بيروت، الثالثة، ١٤١٤ هـ .

(٢) تجديد الخطاب الدِّيني بين التَّأصيل والتَّحريف ، محمد بن شاكر الشريف ص ١٢ .

(٣) مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد خير ص ١٣، ١٤ .



ثانياً: **أمَّا مفهوم التجديد في الاصطلاح**: فذو صلة وثيقة بالمعنى اللُّغوي الذي هو أكثر شمولاً واتساعاً، وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريفه، وتعدَّدت صيغهم، لكنَّها لمْ تخرجْ عن محاور ثلاثة(١) يتضح ذلك من خلال الآتي:

الأوَّل: إحياء ما انطمس واندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس، وحملهم على العمل بها .

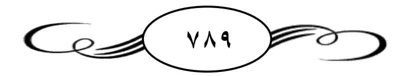
الثَّاني: قمع البِدع والمحدثات، وتعرية أهلها، وتنقية الإسلام ممَّا علق عليه من أوضاع الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه في العصر الأوَّل .

الثَّالث: تنزيل الأحكام الشرعية على ما يستجد من وقائع وأحداث، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي، أي: هو عملية تفاعل حيوي وإعادة تأصيل وتجذير للمسلمات داخل فكر قائم؛ لإعادة اكتشافه وتطويره بأفق أوسع، ونظرة أكثر عمقاً وشمولية، وفقاً للفهم الزمني الذي يعي حاجات العصر، فهو لا ينطلق من فراغ، بل له قواعده ومنهجه ومرجعيته المحددة التي يعاد على أساسها قراءة الدليل، وتحليله وصياغته، وترتيب آثاره(٢) .

---

(١) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي، تأليف: د: عدنان محمد أمامة ص ١٦، ١٨ .

(٢) الإسلام والتجديد، رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر، علي المؤمن ص ١٨، والاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، آية الله محمد مهدي شمس الدين ص ٥، ط: المؤسسة الدولية، بيروت، ١٩٩٩م .

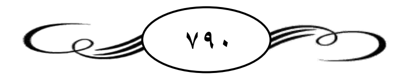


قلتُ: ممَّا سبق قد يبدو من الوهلة الأُولى أنَّ هذه التعاريف متباينة ومتعارضة، لكن عند النظر والتحليل نجد أنها منسجمة، ويكمل بعضها بعضاً، فمَن نظر إلى جوهر التجديد وذاته قال بالمعنى الأوَّل، ومن اختار المعنى الثاني قال إنَّ التجديد محاربة البِدع والأهواء، ومن اعتبر الهدف والغاية من التجديد قال بالمعنى الثالث، ويمكن صياغة تعريف للتجديد بأنه: «إحياء ما اندرس من معالم الدين وسننه وبعثها من جديد؛ لإصلاح الحياة العامة، وليس معناه: تغيير القديم وإحالته عن أصله، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر جديد، إنه تغيير للمفاهيم البالية المترسبة في أذهان الناس عن الدين، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة له، ثُمَّ هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين الحنيف، والعودة به إلى عهده الأوَّل – عهد الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفائه الراشدين – وإلى ينابيعه الصافية مع مراعاة ظروف العصر ومتغيراته»(١) .

✍ **ثالثاً**: التجديد في الدِّراسات التفسيرية:

هو اسْتِلهام آيات القرآن للتوجيه والهداية في كل شؤون حياتنا ممَّا يمس العقيدة أو الأخلاق، أو يدخل في بناء مجتمعنا وسياستنا واقتصادنا بما يكشف عن وفاء القرآن بحاجة البشر وفاء لا يعوزها إلى غيره من طرائق الهداية، مع التماس المعاني التي كانت مستعملة في

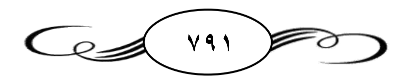
(١) ينظر: مجلة كلية أصول الدِّين والدَّعوة بأسيوط، العدد: الثالث والعشرون،١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م، بحث بعنوان: تجديد الخطاب الدِّيني بين الثَّوابت الإسلامية والمُتغيرات الدُّولية، إعداد: أ.د/ أحمد حسن سيد غنيم ص٩٨٩ .



عصر نزول القرآن، والحذر من تأثير المفاهيم المحرفة التي حدثت بعد عصر التنزيل[1] ، ونأخذ من النص ما يمنحه لنا من قيم، وما يدل عليه من آراء، وما يوحي به من أفكار علمية أو اجتماعية حتى ولو لم تتفق مع ما نعلمه من ذلك، وهذا واجب أهل القرآن ودارسيه والمتصلين به، الذين ينبغي أن يبينوا موقف القرآن من الأفكار والمذاهب الجديدة، ويعطوا كلمته الفاصلة في آثارها الخطيرة على أفكار الأُمَّة وعقائدها وسلوكها وسائر أمور حياتها، مع الأخذ في الاعتبار بتجديد لغة العرض والأسلوب الذي يُقدَّم به هذا الخير على الناس، مع اتسامه بالبساطة والسهولة، والإثارة والتشويق، والوقوف على التقنيات الحديثة، ومحاولة الإفادة منها بأكبر قدر ممكن[2] ؛ إذ الناس إزاء كلام المفسرين أحد رجلين: رجلٌ مُعتكِفٌ فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين خطرٌ جسيم وضرر كبير، ولكي لا نكون أحد ذنيك الرجلين نُمثِّل حالة ثالثة ينجبر بها الجناح الكسير؛ بأن نَعْمَد إلى ما سطره الأقدمون فننظر فيه بالتهذيب والشرح والتوضيح، وإزالة ما علق به من شوائب، وما طرأ عليه من الدخيل؛ حتى نبرز للناس الأصيل في التفسير، فتتجلى زُبْدة الحق الصراح، وتذهب رَغْوة الباطل، وبهذا المنهج

(١) ينظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم ، د/ محمد إبراهيم شريف ص ١٤٨ .

(٢) ينظر: التجديد في الدِّراسات التفسيرية مُقترحات وتجارب، المؤتمر الدولي لتطوير الدِّراسات القرآنية، د/عبد الله موسى محمد أبو المجد ص ١٣، ١٤، جامعة الملك سعود، ١٤٣٤هـ .



الوسطي لا يمكن لأحد أن يتهمنا بأنَّنا نقضنا تراثنا أو أبَدْناه، بل خدمناه وهذبناه وجليناه[1] .

✍ رابعاً: مفهوم تجديد الدين عند دُعاة التجديد المنحرف:

يتضح من خلال مفهوم التجديد أنَّه يحمل في طياته معنى التنقية من كل شائبة حتى يعود الإسلام – مفهوماً وتطبيقاً– إلى ما كان عليه الرعيل الأوَّل، ولا يعني التجديد بحال من الأحوال التبديل أو التغيير، ولا تكييف الإسلام وتلفيق مفاهيمه بما يتناسب مع العصر بما فيه من شوائب الجاهلية ومفاسد الأفهام، ولا مسالمة العصر بما فيه من علائق، ولا خلط الإسلام بالجاهلية المعاصرة[2] .

أمَّا التجديد عند هؤلاء: فهو صبغة الإسلام بصبغة العصر بحيث لا يبقى منه إلَّا الاسم والرسم، فيكون الميزان هو العقل المتأثر بحضارة الغرب لا الإسلام، فهو يستعمل لدى بعض المعاصرين للدلالة على مجموع التحولات والتطورات – إيجابية كانت أم سلبية – التي تطرأ تلقائياً على المنظومات الفكرية؛ نتيجة تغير الأحوال الاجتماعية، وتبدل السياقات والتراكمات التاريخية[3] .

---

(١) مقال أ.د/ عبد الفتاح عبد الغني العواري، عميد كلية أصول الدين القاهرة، بعنوان: تحديد المفاهيم، ودوره في تجديد الخطاب الدِّيني، جريدة صوت الأزهر ص٨، الأربعاء ٢٠ جمادى الأولى، ١٤٤١هـ= ١٥ يناير ٢٠٢٠م .

(٢) ينظر: موجز تاريخ الدِّين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النُّهوض بهم، أبو الأعلى المودودي ص ٥١، ٥٢، ط: دار الفكر الحديث، لبنان، ط: الثانية، ١٣٨٦هـ .

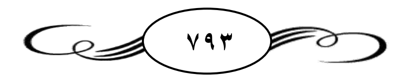
(٣) ينظر: التجديد في أصول الفقه دراسة نقدية، تأليف: جميلة بو خاتم ص ٣٤ .



فشتان بين التجديد الذي يحفظ للإسلام مكوناته من أصول وثوابت، وبين التجدد وغيره من المصطلحات البراقة[١] التي تحرف الناس عن سبيل هدايتهم وفلاحهم؛ ليتلاءم مع المفاهيم الفلسفية والعِلمية السائدة في العصر الحديث من غير تفريق بين أصول وفروع، المهم عند هؤلاء الأخذ من الحضارة الغربية شرِّها وخيرها، حُلوها ومُرها، ضارها ونافعها، والتوفيق بين نصوص القرآن ومعطيات تلك الحضارة، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً بالزيادة عليها أو الحذف منها، ليتوافق مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، وعرض الإسلام عرضاً يقبله المثقفون ثقافة عصرية، لذا يتوسعون في تفسير القرآن على ضوء العلم الحديث بكل جوانبه، ولو أدى ذلك إلى استحداث أقوال مُجانبة لدلالات الآيات اللُّغوية، ومعارضة المنقول عن السلف الصالح بحيث تصبح الأحكام الشرعية عجينة لينة قابلة للتشكل بأي شكل يحتاج إليه الناس[٢]، ويحرص هؤلاء أيضاً على محاصرة النُّصوص بالظروف التي أحاطت بها، وبمناسبتها للزمان الذي جاءت لتعالجه، وبالملابسات والحيثيات التي دعت إلى تشريعها، وبتضخيم دور العلل والحِكم والمصالح التي توختها تلك النُّصوص، وأنه بزوال تلك العِلل تزول الأحكام، وكأنَّ القرآن لم ينزل إلَّا

(١) كمُصْطَلَح الحَدَاثَة ، ومصطلح التَّنْوِير، ومُصْطَلَح التَّطور وغيرها من المصطلحات السائدة .

(٢) ينظر: الخطاب الإسلامي الواقع والتجديد «رؤية معاصرة،، إعداد: أكرم علي مسعد المذعوري ص٩٠ ،٩١ .



لإصلاح واقع جزيرة العرب في ذلك الوقت، وليس ديناً للبشرية كلها إلى أن تقوم السَّاعة[١] ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

المطلب الثاني

ماذا سيحدث لو رفضنا «التجديد» ؟

يتباين الموقف عند المشتغلين بالفكر الإسلامي تجاه قضية «التجديد»، فنرى بعض الكُتَّاب والمثقفين ثقافة عصرية يؤيده، ويدعو إليه، بل يفتحون الباب على مصرعيه دون التقيد بقيود أو ضوابط، فالدين كله في نظر هؤلاء يحتاج إلى تغيير وتبديل، بل يدعون إلى نسف كل ما هو قديم[٢] ، بينما نجد بعض الطوائف والتيارات الأخرى[٣] ترفضه ولا تقبله بحال من الأحوال، ويقفون موقف الجمود والتحجر في وجه أي

---

(١) ينظر: تجديد الفكر الإسلامي، مجموعة مقالات في تجديد الفكر الإسلامي، ص ٩٠، ط: مؤسسة الملك عبد العزيز ١٩٨٧م، والعصرانيون ومفهوم تجديد الدِّين، عرضٌ ونقدٌ، أ.د/ عبد العزيز مختار إبراهيم ص ٤٨، وما بعدها، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٣٠هـ، والتجديد في الفكر الإسلامي، عدنان أمامة ص٣٨٣ .

(٢) يمثل هذه الطائفة بعض العلمانيين والحداثيين كالدكتور/ نصر أبو زيد، محمد أركون، محمد سعيد العشماوي، حسن حنفي، محمد شحرور، عزيز العظمة، ومَنْ على شاكلتهم .

(٣) يطلق البعض عليها مصطلح «الظاهرية الجُدد» أو «الظاهرية الحديثة»: وهي تتمسك بالنصوص الجزئية وتتشبث بها، وتتعبد بحرفيتها، وتفهمها فهماً ظاهرياً، دون الوقوف على فحواها وعللها، ومعرفة مقاصدها، وهؤلاء ورثوا عن الظاهرية القدامى الحرفية والجمود، ولم يرثوا عنهم سعة العلم . ينظر: معجم مصطلحات الفكر الإسلامي المعاصر، دلالاتها وتطورها، تأليف: فاتح محمد سليمان سه نكاوى ص ٤٧١، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ٢٠١٢م .



دعوة تنادي إليه، ويقيمون معارك حامية في غير ميدان من أجل أمور هامشية، زاعمين أن الأمة لم ولن تلد مجتهداً بعد، وأنها عقمت عقماً لا براء منه، وشعارهم في ذلك «ما ترك الأول للآخر شيئاً»، «ليس في الإمكان أبدع ممَّا كان»، وهذا لا محالة سَيؤول إلى ما يلي:

أولاً: العيش بأزمة فكرية حقيقية، وانْكِماش الحضارة الإسلامية، وتراجع مكانة المسلمين؛ لأنَّنا قتلنا كل المفكرين النُّجباء وهم قِلَّة، فإنَّ الفكر الوقَّاد، وانْقِداح المعاني والأفكار، لا ينالها إلَّا الخُلَّص من العلماء، فلطالما قال علماؤنا عندما يُعقِّبون على رأي عميق في مسألة ما «هذا أصل عظيم لمْ يتفطَّن له إلَّا فلان»[1] .

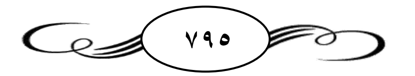
ثانياً: وصمة الجهل ستلاحقنا، والانزلاق في التخبط والاضطراب، والإتيان بأقوال مجافية لمقاصد الشريعة، ومن لمْ يتفطَّن لوقوع المقاصد في الأوامر والنَّواهي، فليس على بصيرة في وضع الشريعة، وكان الإمام القُرطبي إذا ذمَّ رأياً يقول: «وَهَذَا قَوْلُ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ مَقَاصِد الشَّرِيعَة»[2].

ثالثاً: العزلة عن الخارج، وهي وصمة العجز والعوق الفكري والانكماش الحضاري .

---

(١) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر لشيخي زاده ٦٢/١ و ٧٣٢/٢ ، ط: دار إحياء التراث العربي .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٨٩/٧، ت: أحمد البردوني، ط: دار الكتب المصرية، الثانية: ١٣٨٤هـ .



رابعاً: ظهور سرطان التقليد، ونبذ المناظرة والمباحثة، وتفشي العادات الموروثة السَّامة في جسد الأُمَّة[١]، قال الإمام الزَّمخشري: (وَلَا يجوز تَوْجِيه – بعض النُّصُوص– على النَّهْي عَن المناظرة والمباحثة؛ فإنَّ فِي ذَلِك سدًّا لباب الِاجْتِهَاد وإطفاء لنُور الْعلم، وصدًّا عَمَّا تواطأت الْعُقُول والْآثَار الصَّحِيحَة على ارتضائه والحث عَلَيْهِ، وَلم يزل الموثوق بهم من عُلَمَاء الْأمة يستنبطون مَعَاني التَّنْزِيل ويستثيرون دفائنه، ويغوصون على لطائفه، وَهُوَ الحمَّال ذُو الْوُجُوه، فَيَعُود ذَلِك تسجيلاً لَهُ ببعد الْغَوْر، واستحكام دَلِيل الإعجاز، وَمن ثمَّ تكاثرت الْأَقَاوِيل، واتَّسم كل من الْمُجْتَهدين بِمذهب فِي التأويل يعزى إِلَيْهِ)[٢] .

خامساً: إضفاء قداسة الدين ومطلقيته على تصورات الإنسان عن الدين، مع أنها تصورات زمانية مكانية محدودة ونسبية قابلة للخطأ، ثم يعتقد الأشخاص أنَّ ما توصلوا إليه إنما هو عين الدين، بل ويخيل إليهم آنذاك أنَّ الشخص الذي يعتقد الاعتقاد هذا لهو مثال المتدين الحق، ومن هنا تنجم أكثر حملات التكفير، والرمي بالفسق والفجور، فضلاً عن التصدام والعِراك، واللَّافِت للنظر أن تصوراتهم النسبية المحدودة إذا عجزت بسبب مرور الوقت، والتحولات الطارئة على عقل الإنسان وحياته، وعن الإجابة عن تساؤلاتهم، فإنهم بدلاً من التخلي عن تصورهم المحدود، وإزاحة الستار عن كيان الحقيقة،

---

(١) ينظر: إشكالية التجديد في الدين الإسلامي دراسة وصفية تحليلية ، د/ سمير بن هاشم ص١٣٦: ١٣٧.

(٢) الفائق في غريب الحديث والأثر ٣٥٧/٣، ت: علي البجاوي، ط: دار المعرفة ، الثانية .



والعودة إلى مصادر الدين الفكرية والأخلاقية، للنظر فيها بعيونٍ جديدة؛ لتحصيل تصور جديد أكثر تكاملاً وأشد فاعلية، يحاولون – وبأي ثمنٍ– فرض تصوُّرهم الناقص على الواقع، الأمر الذي لا يدوم على المدى البعيد، ولكنه يفضي إلى كارثة على المدى القريب لا محالة(١) .

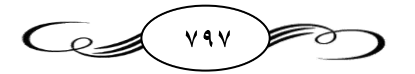
ممَّا سبق ظهر لنا أنَّ رفض مصطلح التجديد المقيد بضوابطه الشرعية يمثل خللاً في الرؤية العقلية، ونقصاً في الإبداع البشري الأمر الذي يفقد المسلم على القدرة على مواجهة المهام الجِسام والأمور العِظام، وهذا ما يسعى إليه أعداء الإسلام؛ ليخلوا لهم الطريق، ويفسح أمامهم السبيل، فيطمسوا معالم الدين الحقيقية بأيدي ثُلَّة من المتثاقفين المَحسُوبين على الإسلام، فيرفعوا راية التجديد البِدعي مكان التجديد الإسلامي، وأنَّى لهم ذلك! وصدق القائل:

كَناطِح صَخرَة يَوماً لِيَفلِقَها ∴ فَلَم يَضِرها وَأَوهى قَرنَهُ الوَعِلُ(٢)

---

(١) الدين والتراث والحداثة، د/ محمد خاتمي ص ٢٨، ٣٤، ط: دار نهضة مصر، الأولى، ١٩٩٩م .

(٢) ديوان الأعشى الكبير «ميمون بن قيس بن جندل» ٢١٨/١، ت: د/ محمود إبراهيم الرضواني، ط: وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة، الأولى، ٢٠١٠م، ومعنى البيت: تكلف نفسك ما لا تطيق وما لا تصل إليه، ويرجع ضره عليك، كالأيل أو الماعز الجبلي إذا اشتد قرنه أتى صخرة فنطحها؛ لتجريب قرنه .



✍المطلب الثالث

أهم ضوابط التجديد

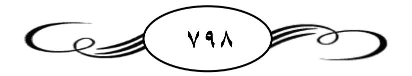
لقد وضع العلماء - عليهم سحائب الرحمة - ضوابط وركائز لعملية التجديد بصفة عامة، إليك بعض هذه الضوابط؛ لتكون على بينة بما يجب الالمام به قبل الخوض في غمار هذا الموضوع:

الضابط الأول: **الجمع بين خاصيتي**: "**الثَّبات والمُرونة**"، "**الأصالة والمعاصرة**" : بحيث يكون التجديد مُبْقِيَاً على الأُصول والثوابت غير مُتعرض لها؛ لأنها لا تقبل التجديد؛ إذ من سمات هذه الشريعة وخصائصها، الثبات والدوام والخلود، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[١] ، وأن يكون مجال التجديد في الفروع والجزئيات، والوسائل والصياغات ونحوها؛ لأنَّ من سمات شريعتنا أيضاً مراعاة الظروف والمتغيرات، والأحوال والبيئات، وهذا يقتضي شرعاً وعقلاً أن تستوعب هذه الأمور، وذلك بفتح باب الاجتهاد بشروطه الصحيحة، وضوابطه الصريحة[٢]، ومن خلال الاستقراء تتجلى خصيصة الثبات في المجالات التالية بحيث لا تقبل التجديد بحال من الأحوال:

---

(١) سورة الحجر: (٩) .

(٢) التجديد في أصول الفقه، حقيقته، مجالاته، مناهجه، ضوابطه، آثاره، دراسة أصولية معاصرة تبيِّن الموقف الحق من التجديد على ضوء الكتاب والسُّنَّة ومنهج سلف الأُمَّة، إعداد: د/ عبد الرحمن السُّديس .



(١)**العقائد والحقائق الإيمانية والأخبار الغيبية**؛ لأنها تقوم على خصائص يقينية ثابتة أجمع عليها الأنبياء[١]، قَالَ تَعَالَى:﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٢]

(٢)**العبادات**: لقد رسم الله حدودها، وهيَّأها على صور خاصة، فلا يجوز لأحد أنْ يُؤَلِّف عبادة من عنده، أو يتصرَّف في صورة من صور العبادة المشروعة ثُمَّ يعبد الله بذلك[٣]، قَالَ تَعَالَى ناعياً على المشركين:﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[٤]

(٣)**الأصول والكليات ومقاصد الشريعة العامَّة** ؛ إذ لا يُعقل أن يكون مقصد الشَّرع المحافظة على النفوس والعقول والأموال والأعراض في وقت ما، ثُمَّ يتحوَّل قصد الشَّارع إلى إهدار هذه الأشياء في زمن آخر .

(٤)**الأخلاق والفضائل العامَّة** ؛ إذ لا يُعقل أنْ تُصبح في زمن من الأزمان رذائل .

(٥)**أحكام الحُدود**؛ لأنَّ الشارع حدد المقصد من تشريعها، وحدَّد إلى جانبه الوسيلة التي يجب اتباعها لتحقيق ذلك المقصد، ولعلَّ من أسرار ثبوتها؛ اتصالها بأهم الأسس التي ينبني عليها أي مجتمع بشري، فقد

---

(١) التجديد في الفكر الإسلامي لعدنان محمد أمامة ص ٢٧ .

(٢) سورة الشورى: (٢١) .

(٣) ينظر: معام الهدى إلى فهم الإسلام ، د/ مروان إبراهيم القيسي ص ١١٧، ١١٨ .

(٤) سورة الشورى: (١٣) .



شُرعت لحماية الكليات الخمس؛ ولِذا لمْ تُترك لاجتهاد البشر وتفكيرهم؛ نظراً لخطورة ما يتعلق بها، وينبني عليها[1] .

(٦)**أحكام المقدرات**: كتقدير الأنصبة في الزكاة، وتحديد عدد الطلقات، وأَنصِبة الورثة بنصفٍ أو ربعٍ ... الخ ، فهذه المقادير غير قابلة للتجديد بحُجَّة رعاية المصالح والحاجات وغيرها من الدعاوى الباطلة التي تظهر بين الفيَيْنة والأخرى[2]، بدعوى المساواة بين الرجل والمرأة .

***بعد هذا يثار سؤال مفاده: ما دور المجددين وما مهمتهم تجاه هذه الثوابت** ؟

والجواب عن ذلك يتلخص في الآتي: إنَّ التجديد في هذه المجالات الثابتة يكون ببيانها، والدَّعوة إلى التمسك بها والعمل بأحكامها، والتحذير من تعطيلها وترك العمل بها، أو تبديلها وتغييرها بحجة التقدم ومراعاة روح العصر الحديث .

الضابط الثاني: مراعاة موارد الإجماع : بمعنى ألَّا يخالف التجديد إجماع الأُمة، أو يمس أمراً مجمعاً عليه، أو يعارض دليلاً من الأدلة الشرعية، أو أصلاً من الأصول المعتبرة التي أجمع عليها العلماء، كمن يطالب بعدم اعتبار الإجماع أو القياس، وكالذي يبيح أكل الرِّبا، وإلغاء الحِجاب الشرعي للمرأة، ويستنكر إقامة الحدود الشرعية، أو يدعو

(١) ينظر: معام الهدى إلى فهم الإسلام ص ١١٨.

(٢) التجديد في الفكر الإسلامي لعدنان محمد أمامة ص ٢٧، ٢٨.



لتعطيلها، فأي تجديد ينحى هذا المنحى لا اعتبار له، واضرب به عُرْض الحَائِط .

الضابط الثالث: أن يكون التجديد مُحقِّقاً لمصلحة شرعية معتبرة، أو دارء لمفسدة محققة أو راجحة؛ إذ الشريعة جاءت لتحقيق مصالح العباد في أمور المعاش والمعاد، ولذلك اجتهد الصَّحَابَة في نوازل حصلت، ووضعوا لها أحكاماً معتبرة مبنية على تحقيق المصالح كتدوين الدواوين، وجَمْع المُصْحَف ونحوه، وبناء عليه لا يكون التجديد مبنياً على الرغبات والأهواء، والمشتهيات والآراء .

الضابط الرابع: فهم وتأويل نصوص القرآن في ضوء أساليب اللُّغة العربية وقواعدها؛ إذ هي المفتاح لمدلولاته ومعانيه(١)، والقرآن إنَّما نزل بلسان عربي، وإنَّما تفسره الدَّلالات اللُّغوية، والقواعد العربية، فيجب حمل الكلام على ما يتعيَّن – أو يترجَّح على أقل تقدير – أنَّه المعنى المراد منه، حقيقياً كان ذلك المعنى أو مجازياً، وفي التركيب كان المجاز أو في المفردات على حسب الكلمات، والتزام مطابقة التفسير للمفسَّر مطابقة تامة بحيث لا يقع له نقص من معناه ومقاصده، ولا زيادة عليه بما ليس به تعلُّق وثيق(٢) .

---

(١) التجديد في أصول الفقه، حقيقته، مجالاته، مناهجه، ضوابطه، آثاره ، د/ عبد الرحمن السُّديس .

(٢) مقالتان في التَّأويل، معالم في المنهج .. ورصد للإنحراف .. مع مُلحق «النَّص القرآني وإهداره على عتبة المقاصد»، أ.د/ محمد سالم أبو عاصي ص٤٢، ط: دار الفارابي للمعارف، سورية، الإمارات، الأولى، ١٤٣٠هـ .



ويكاد يجمع العلماء على أنَّ العربية من أقوى اللُّغات على استيعاب متطلبات النمو الحضاري؛ لتضمنها العديد من أنواع الأساليب البلاغية التي تصمد أمام التحديات والمتغيرات على مر الأزمان والعصور، وأنَّ التراث الإنساني لو كتب بالعربية لاختصر إلى حجم الثلث، وهي ليست مجرد وسيلة للتعبير عن أغراض الناطقين بها فقط، بل هي جزء من الدعوة، وهي تاريخية بمقاومتها لعوامل التغيير، وثباتها في مواجهة رياح التعرية، لهذا كان اتباع أساليب وقواعد العربية في بيان معاني النصوص الدينية من ألزم الضوابط في الإطار التجديدي للخطاب الإسلامي.

الضابط الخامس: مراعاة الأهلية والاختصاص في الفنون والميادين محل التجديد والاجتهاد[1]: ؛ إذ عملية التجديد تحتاج إلى علماء قد توافرت لديهم شرائط وأدوات النظر والتأمل، وليس أشباه مُثقفين يَجْتَرِئون على القرآن فيقولون فيه بغير دليل وبرهان، ويتحدثون بما لا يعرفون دون أن يلموا بالحد الأدنى من قواعد التفسير وأصوله، فكتاب الله ليس مشَاعاً يخوض فيه كل مَنْ جرى على عقله خاطر، أو لاح في نفسه معنى[2]،

---

(١) وضع العلماء عدة شروط للمُجدِّد، منها: صحة الاعتقاد، ربَّانية المَغْرس، بلوغ مرتبة الاجتهاد، الانتماء لأهل السُّنَّة والجماعة، التأثير العلمي وأنْ يكون مُتسلِّحاً بالثقافة الإسلامية الأصلية، انقضاء المائة، أن يكون خبيراً بواقع الأُمَّة، عارفاً بعللها، وأن يكون محيطاً بالأحوال العالمية من حوله، والتي لها علاقة بأمته؛ إذ لا يتحرك في فضاء. ينظر: تجديد الدين، مفهومه، وضوابطه، وآثاره ص٣٦، وتجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف ص ١٩ .

(٢) التجديد في التفسير، نظرة في المفهوم والضوابط ص ٣٨ .



ومِنْ ثَمَّ اشترط العلماء في المُفسِّر «أنْ يكون مُلِماً بجملة من العلوم يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن تفسيراً عقلياً عصرياً مقبولاً، وتكون هذه العلوم بمثابة أدوات تَعصم المفسِّر من الوقوع فى الخطأ، وتحميه من القول على الله بغير علم»[1] .

مع العلم أنَّ التخصصات العلمية الأخرى تشترط للمتحدثين باسمها أنْ يكونوا من أهلها، فكيف بأرفع هذه العلوم وأعظمها على الاطلاق ؟ ، والقرآن قد أقر هذا المبدأ – مبدأ الاختصاص– بل اعتبره مطلباً شرعياً وواجباً عقلياً، قال تَعَالَى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال أيضاً:﴿وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[3]

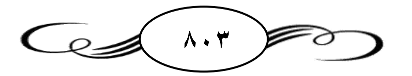
<u>الضَّابط السادس</u>: اتِّباع مناهج علميَّة في فهم النُّصُوص، وعدم الاعتماد على نص واحد في الحُكم، وإغفال بقية النُّصوص التي وردت فيه، وهذا ما وقع فيه المستشرقون والمجترئون من بني جِلْدتنا حيث أعملوا أقلامهم في نص واحد بمعزل عن غيره، وبنوا على ذلك آراء، وسوَّقوها على أنَّها هي الإسلام، ويجب أيضاً أنْ تقرأ النُّصوص في ضوء الظروف والأحوال التاريخية التي صاحبت نزولها، وهو ما يُعرف ب «علم

---

(١) التفسير والمفسرون، أ. د/ محمد السيد حسين الذهبي– رحمه الله– ١/١٩٠،١٨٩، ط: مكتبة وهبة، القاهرة .

(٢) سورة النحل: (٤٣) .

(٣) سورة النساء: (٨٣) .

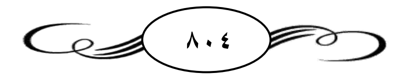


أسباب النُّزول»[١]، وأنْ يكون التفسير مَبْنِياً على أساس الوحدة الموضوعية في السُّورة والموضوع «التفسير الموضوعي، الحديث الموضوعي»، وأن يكون التفسير أيضاً قائماً على أساس مراعاة السِّياق داخل السُّور والآيات القرآنية «علم المُناسبات» بحيث تتآخى وتترابط أجزاؤه كافة، يأخذ أوله بعجز آخره، وألَّا يستمد التجديد من الآراء الشاذة، والأقوال الضعيفة، وتتبع الموضوعات، ونقل الآثار من غير مظان صحتها، ممَّا ينتج عنه الفكر المنحرف المتتبع لكل سقيم من المنقولات والآراء، بل لا بُدَّ من اعتماده على نصوص صحيحة موثقة من القرآن والسنة وصحيح الآثار[٢]، وغير ذلك ممَّا هو مدون ومسطر في «علم أصول التفسير» .

الضابط السابع: **أصالة المنهج التجديدي**: فلا تشوبه الشوائب الدخيلة على الإسلام، واستبعاد التطبيق الآلي للمناهج والنظريات الغربية في تقويم التراث، أو محاولة تجديد مضمونه؛ لأنَّ إعمالها سيؤدي بِلا شك إلى إفراغ الدعوة التجديدية من مضمونها الإسلامي، وقد بلغ بالمتأثرين بذلك إلى إنكار بعض ثوابت الإسلام تحت مُسمى الحُرية الشخصية، لكن لكل منهج روح خاصة تنعكس على مضمونه ومحتوياته، وتتبلور في معالمه،

(١) تجديد الخطاب الديني ضرورة كل عصر، أ.د/ إبراهيم الهدهد، مقال بمجلة منار الإسلام عدد: ٤٩٥ ص٢١، ٢٢، أجرى الحوار: د. أحمد الموسى، مارس ٢١٠٦م ، ومفهموم تجديد الدِّين ص٣١، ٣٢ .

(٢) ينظر: التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه وضوابطه واتجاهاته لدلال بنت كويران ص٣٠٢،٤٨، ٣٢٤ .



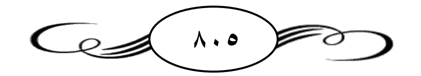
وسماته الظاهرة، وهنا يبرز دور المُجدِّد في دفاعه عن منهجه لا أنْ ينساق خلف أي منهج دخيل(١) .

<u>أقول</u>: تلك أهم الضوابط اللازمة ليكون التجديد في الإسلام تجديداً بالمعنى الصحيح المُعْتبَر عند أهل العِلم، ولا يكون تجديداً في شكله وهيئته دون مضمونه، وتغيير وتبديل للشريعة في مسمَّاها، وبذلك يتضح للمسلِم المنهج القويم في تلك المسألة؛ ليحكم من خلال هذه الضوابط وتلك المعايير على دعاوى التجديد المعاصرة، وما يدور في ساحات وحلائب المعرفة، وما يَطْرأ على واقع الأُمَّة من هذه الشعارات البرَّاقة والدعاوى الفجَّة؛ ليعرف ما هو مشروع فيأخذه، وما هو محذور فيرده عبر ميزان دقيق، ألا وهو موافقة مصطلح التجديد للقرآن وسُنَّة النَّبِي الأمِين، وفهم السَّلف رضوان الله عليهم أجمعين؛ تحقيقاً لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِين»(٢) .

---

(١) ينظر: التجديد في أصول الفقه دراسة نقدية ص٩٩ بتصرُّفٍ، وتجديد الدين مفهومه، وضوابطه، وآثاره ص ٩١ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٣٥٣ برقم ٢٠٩١١، وابن كيكلدي العلائي في بُغْيَةِ الْمُلْتَمِس فِي سُبَاعِيَّاتِ حَدِيثِ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَس ١ / ٣٤، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ»، ط: عالم الكتب، بيروت، الأولى، ١٤٠٥ هـ، وقال القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١ / ٤، «يُمكن أنْ يتقوَّى بتعدُّد طرقه، ويكون حسنًا كما جزم به ابن كيكلدي العلائي»، ط: المطبعة الكبرى الأميرية، السابعة، ١٣٢٣هـ .



المبحث الثاني

مجالات التجديد في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول

التجديد في التفكير

لقد ذَمَّ القرآن في كثير من آياته التقليد الأعمى، ورفض التبعية الفكرية، وحث على مناقشة العقائد الباطلة، وأثبت فسادها وسفَّهها، واستنكر على المشركين وغيرهم اتباعهم لآبائهم دون تمحيص، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾(١)، وقَالَ:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾(٢) ، ودعا إلى إعمال العقل، ورغب الإنسان في التفكير الحر المتوازن البعيد عن كل ضغط خارجي أو ذاتي، وقد تناولت آيات التفكر في القرآن الأنفس والآفاق، وامتدت لتشمل كل ما في الكون ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣)، وهذه من أعظم القضايا التي حرص عليها ديننا، فلم يقبل إلَّا الاتِّباع الواعي عن قصد ونية، بل ولم يقبل عملاً من المسلم إلَّا عن حرية واختيار، ونيَّة منبعثة من الذات لا بالتبعية، وحمَّل الإنسان تبعية عمله والمسؤولية عنه، رافضاً التعلل والتبرير بقول إنَّما كُنَّا تبعاً، كما نبَّه القرآن إلى عدم قبول أي فكرة إلَّا بالدليل والحُجَّة الدامِغَة، فقال سُبحانه: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُم مِنْ

---

(١) سوةر البقرة: (١٧٠) .

(٢) سورة الأعراف: (١٧٩) .

(٣) سورة الجاثية: (١٣) .



عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(١)

والمتأمل في القرآن يجِد أنَّ لفظ: «العقل» لمْ يأت جامِداً، بل جاءت اشتقاقاته المختلفة؛ للدلالة أنَّ على المطلوب هو قيام هذا العقل بوظائفه المتعددة، فورد بالصيغة الفعلية في تِسْع وأربعين آية(٢)، ولفظ «النظر» مائة وتسع وعشرون آية(٣)، و«التفكير» مائة وثمان وأربعون آية، و«التدبر» في أربع آيات(٤)، و«التفكر» في ست عشرة آية، و«الاعتبار» في سبع آيات(٥)، و«التفقه» في عشرين آية(٦)، و«التذكر» في مائتين وتسع وستين آية(٧) (٨) .

كما دعا أيضاً إلى مستويات التفكير: من تعقل ونظر وتدبر وتفقه وتذكر واعتبار، وتصنف هذه العمليات العقلية بأنها مستويات تفكير عُليا،

---

(١) سورة الأنعام: (١٤٨، ١٤٩) .

(٢) ينظر: المعجم المفهرس ص ٤٦٨: ٤٦٩ والدليل المفهرس ص ٣٢٨.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس ص ٧٠٥ : ٧٠٧.

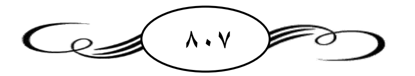
(٤) ينظر: المعجم المفهرس ص ٢٥٢ .

(٥) ينظر: المعجم المفهرس ص ٤٤٥.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس ص ٥٢٥ .

(٧) ينظر: المعجم المفهرس ص ٢٧٠: ٢٧٤ .

(٨) ينظر: تجديد أهداف الدِّراسات الإسلامية في ضوءِ التَّحولات العالمية المعاصرة، أحلام مطالقة وآخرون، مجلد ٢٨ (٥) ، ص١١٨٨، ٢٠١٤م، وعلم التفكير، د/ صلاح صالح معمار ص٢٧ .



فالتدبر والنظر عمليات تفكير عميق(١)، أمَّا التفقه فهو خطوة عقلية أبعد مدى من التفكير؛ إذ هي الحصيلة التي تتمخض عن عملية التفكير، وتجعل الإنسان أكثر وعياً لِمَا يحيط به، وأعمق إدراكاً لأبعاد وجوده وعلاقاته في الكون، كما تجعله متفتح البصيرة دوماً(٢) ، وكذلك الاعتبار الذي يتطلب إدراك العلاقات بين الجزئيات والكليات؛ إذ يتطلب نوعاً من القياس، فيحتاج إلى تحليل وتركيب وتعليل، وهي عمليات عقلية عُليا، وما اهتمام القرآن بوظائف العقل المختلفة إلَّا لتتناسب مع مسؤولية الإنسان، وأعباء تكليفه، ولعلَّ من دلالات هذا الأمر أنَّ الاهتمام بالتفكير هو موضوع الحياة نفسها، وموضوع البناء الحضاري المستمر(٣) .

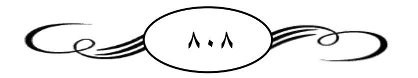
وقد تنوعت أساليب القرآن في دعوته إلى استخدام هذه العمليات السابقة، فجاءت على هيئة الاستفهام الاستنكاري التوبيخي، وصيغة الترجي، والتقرير، والنفي، والنهي، والشرط، كل هذا ليفتح آفاق رحبة للعقل البشري؛ ليعي ويفكر ويتدبر بصورة أوسع وأشمل؛ «والملاحظ أنَّ الله ربط العقل فيها بالطبيعة ومكوناتها كما في قوله:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِن ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ

---

(١) ينظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة للكردي ٣/١٥٧، ١٥٨، ط: دار الفرقان، عمان، الثانية، ٢٠٠٣م .

(٢) مدخل إلى إسلامية المعرفة، عماد الدِّين خليل ص٣٣ .

(٣) تجديد أهداف الدراسات الإسلامية في ضوء التحولات العالمية المعاصرة ١١٨٨/٢٨.



لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]، وبقضية الحياة والموت: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[2]، والحياة النباتية: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]، وأصل الإنسان ومراحل تطوره :﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُم مَن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4]، كل هذا ليجذب انتباه القارىء لِمَا سيجيء بعد، ويدعوه إلى تتبعها وتعقلها، وفهم ما تنطوي عليه من أسرار الخلق والإبداع، فيقوده ذلك إلى الإيمان بالله الواحد القهار»[5] .

***أساليب وطُرق تجديد وتنمية التفكير من خلال القرآن الكريم**:

الإنسان في مراحل حياته المختلفة يتطور في جوانبه المتعددة، وهذا التطور يختلف من إنسان إلى آخر حسب العناية التي تلقاها، وكلَّما تكاملت الرعاية ظهرت الشخصية المتكاملة التي يسعى القرآن لتحقيقها في أتباعه، ومن أبرز الجوانب التي اهتم بها القرآن جانب التربية العقلية، فهي لمْ تأت بصورة توجيهات وأوامر فقط، بل تمثَّلتْ عملياً في قواعد

(١) سورة البقرة: (١٦٤) .

(٢) سورة المؤمنون: (٨٠) .

(٣) سورة الرعد: (٤) .

(٤) سورة غافر: (٦٧) .

(٥) ينظر: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسُّنَّة، د/ محمد علي الجُوزو ص ٥٥، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الأولى، كانون الثاني «يناير» ١٩٨٠م .



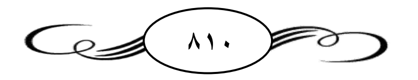
وأساليب وإجراءات ومناهج متنوعة تسعى للرقي بالعقل البشري، ورفع كفاءته، والتفكير الذي هو لب التربية العقلية وجوهرها، يحتاج إلى التجديد والتحسين والتنمية من خلال الممارسة والتدريب، وليس هناك برنامج واضح متَّفق عليه لتحسين عملية التفكير عند علماء التربية والنفس، وإنَّما هي آراء مختلفة حول أساليب تحسين وتنمية التفكير، لكن «أثبتت نتائج البحوث والدراسات التربوية والنفسية والطبية الحديثة إمكانية التدريب على تنشيط الدماغ البشري من خلال توفير البرامج التعليمية المناسبة، وكشفت تلك الأبحاث أيضاً أنَّ هناك العديد من المعارف والمعلومات الجديدة حول اكتساب المعرفة القائمة على جزئي الدماغ، والتي أسهمت بشكل فاعل في تنمية مهارات التفكير، والحصيلة المعرفية لدى الإنسان، وكذلك تنمية القدرات العقلية لمواجهة المواقف المختلفة في الحياة»(١)، أمَّا القرآن لم يصنف العمليات العقلية ولم يُبيِّن درجتها، بل هي عمليات مترابطة متكاملة هادفة؛ لذا فإنَّ التفكير في القرآن عملية عقلية شاملة لمختلف أنواع النشاط العقلي للإنسان(٢) .

*وقد أشار القرآن باعتباره مَعِينَاً لا يَنْضب إلى بعض الطرق والوسائل الناجحة لتجديد التفكير العقلي بجميع أنواعه، منها ما يلي:

أوَّلاً: إثارة الدَّوافع نحو الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ «التفكير الغائي» : وهو ربط كل جزئية من نشاط الإنسان على الأرض بالغاية النهائية التي

(١) ينظر: عادات العقل، دافعية الإنجاز، تأليف: د . خالد بن محمد الرابغي ص٣٦ .

(٢) أثر التفكير في البناء الثقافي ، تأليف: أ. علي بن محسن الشويش ص٣٠، ١٢١، ١٢٢ .



خُلق من أجلها ألا وهي عبادة الله بمفهومها الشامل[(١)]، فكلَّما كان الإنسان أعمق إيماناً، وأقوى يقيناً، كان أكثر تأثراً بما يرى ويسمع ويشاهد من حوادث ومواقف، فينتقل من المعرفة العلمية البدائية إلى التذوق لدقَّة الخلق وجماله، ثُمَّ إلى مرحلة العُبُور بهذا التذوق إلى مُبدع المخلوقات جَلَّ وعَلا[(٢)]، ولذا جمع القرآن بين الذِّكر والتَّفكر في معرض الثَّناء والمدح على أصحاب العُقول المؤمنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هَذَا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾[(٣)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَة، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ...﴾»[(٤)] .

وهذا أهم ما يميز التفكير في القرآن عن غيره من الفلسفات المختلفة، والمناهج العقلية المادية المعاصرة التي تدعو إلى تنوير عقل الإنسان وتطويره، والتي ركزت على جِسْمِه دون أن تعيد له روحه، والعقل والجسم لا يعملان إلَّا إذا كانت الروح هي العامل الذي بوجوده في الإنسان تكون

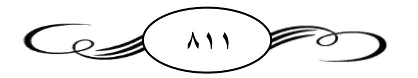
---

(١) منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبياقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة "تصور مقترح"، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدري ص ١١٤، جامعة أم القرى، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، دكتوراه ،١٤٢٢هـ .

(٢) التفكر من المُشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية إسلامية، د/ مالك بدري ص ٨٧ .

(٣) سورة آل عمران: (١٩٠، ١٩١) .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٨٦/٢ برقم ٦٢٠، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، ط: الرسالة، الثانية، ١٤١٤هـ .



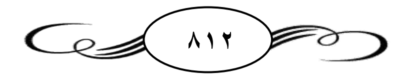
الحياة، وبغيابه تتوقف الحياة، وما عليك إلَّا إعادة النَّظر في الآيات التي تناولت بشكل أو بآخر بعض جوانب التفكير، وستجدها تمثل فرداً في أسرة متآخية متناسقة متناغمة فيها: الجانب الاجتماعي، والجانب النفسي، والسياسي، والاقتصادي، والخُلقي وغير ذلك من جوانب الحياة مشمولة ومُحَاطة بالإطار العقائدي .

إنَّ التفكير في القرآن والسنة يأخذ بمبدأ الأبحاث والتجارب، ودراسة المادة، وجمع المعلومات والإحصائيات وترتيبها، وبالنهج والتخطيط، والإدارة والتنظيم، والتقويم والتوجيه، والبناء والإعداد والتدريب، إنَّه يأخذ بكل ذلك وأكثر منه، لكن يربطه بالإيمان، ويسخره في طاعة الرَّحمن، ومن أجل صلاح الإنسان؛ ليكون منهجاً متكاملاً متماسكاً متناسقاً لا يؤخذ منه جزء ويُترك الآخر[(١)] .

وأمَّا عن قيمة التفكر والتأمل من حيث هو عبادة بالنسبة للصحة الجسمية والنفسية للمؤمن، فقد أكدت الدراسات الحديثة ومئات الأبحاث التي أجريت في الآونة الأخيرة في ميدان الطب السيكو سوماتي «النفْسَجسمي» على يد غير المُسلمين أنَّ التفكير والنشاط المعرفي للإنسان له دور فعَّال في علاج التوتر والقلق وضغط الدم، والصداع النصفي والأرَق، وتخفيض نسبة الكُولسترول في الدم وغيرها من الاضطرابات النفسية والعقلية، وصدق الله العظيم في مُحْكم التنزيل:

---

(١) النهج الإيماني للتفكير، عدنان علي رضا النَّحوي ص ٣٩، ٨٩، ط: دار النَّحوي، الرياض، الأولى، ١٤٢١هـ .



﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١] ، أمَّا الحضارة الغربية القائمة على التقنيات الحديثة، والتي اعتمدت على التصور المادي البَحت البعيد عن هدي الله، فأورثت أهلها ومَن تبعهم شقاوة وضلالاً ظاهراً؛ تؤكده الإحصائيات المذهلة للانتحار والإدمان والإجرام، ويبدو الآن واضِحَاً في كتابات العقلاء من المفكرين الغربيين أنَّه لا صلاح للبشرية إلَّا إذا قامت نهضتها بجناحين متوازنين بين الجهد البشري العلمي، وهدي السَّماء[٢] .

ومنذ عهد بعيد يحاول الإنسان أنْ يدرس النفس البشرية تحت مصطلحات مختلفة، لكنه لم يقدم معلومات أسبق وأدق ممَّا جاءت به الشرائع الربانية، فكل أنماط التفكير التي عرفتها البشرية قديماً وحديثاً في الهند وأوروبا وأمريكا وغيرها، كلها تعود إلى أصل واحِد هي الرسالات السماوية – وإن اختلفت المسميات وتعددت المصطلحات– فهي أوَّل مَن دعا إلى التأمل والتفكر العميق في كل ما يدور حول الإنسان؛ ليكون هذا التأمل باباً للولوج إلى معرفة الآيات الدالة على وجود الخالق[٣] .

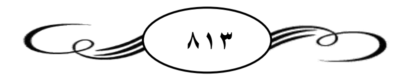
ثانيـاً: اتَّجـه القـرآن الكـريم إلى طـرح أسـلوب الحِـوار والنِّقـاش «التفكير النَّقدي» : ، بهدف حمل الإنسان للحق بدعوته إلى التفكير السليم، سواء كان هذا الحوار بين الله وملائكته، أو بين رُسله وأنبيائه، أو

---

(١) سورة الرعد: (٢٨) .

(٢) ينظر: التفكر من المُشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية إسلامية ص ٥٠، ٨٥، ١١١ باختصار.

(٣) النهج الإيماني للتفكير ص ٦٤.



بين الرُّسل وأقوامهم، أو بين المؤمنين والكافرين والمُنافقين وأهل الكِتاب، أو بين الآباء والأبناء أو العكس، أو بين أصحاب الجَنَّة والنَّار في الآخرة، وبدراسة أسلوب الحِوار في القرآن يمكن أن نخرج بقواعد رئيسة في التربية والبناء، وتعليم أنفسنا وأجيالنا التفكير القويم القائم على كِتاب الله وسُنَّة نَبِيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يؤلم النفس، ويحير العقل أنَّ كثيراً من الباحثين، يهملون هذا الحشد العظيم، والكم الوفير من آيات رَبِّ العالمين، ويُرجِعون القضية إلى فلاسفة اليونان كسقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من أهل الفكر لدى الغرب[1] .

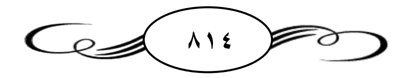
إنَّ القدرة على طرح الأسئلة يعمل على صَقْل التفكير وتوجيهه بطريقة تعطي فرصة للمتعلمين لتطوير أسئلة تتعلق بما يدور حولهم، أو حول مشاعرهم ومعتقداتهم، وطرحها على أنفسهم أوَّلاً، ومِنْ ثَمَّ طرحها على الآخرين في جلسات الحِوار والنِّقاش، فتتيح لهم فرصة ليستمعوا لأفكار الآخرين والبِناء عليها، وتبني أفكار جديدة، مع اعتبار أنَّ الحِوار المنشود هو المُثْمِر الذي يُوصِّل إلى شيء نافع، لا أنْ يقود إلى طريق مسدود لا نِهاية له[2] .

لقد دعا القرآن إلى استنفار العقل البرهاني؛ للبحث عن حجته من غير التفات إلى الأماني والظُنُون المرجوحة، ولكي يكوِّن عقلية علمية متفتحة لا تخضع للتلاعب بها؛ إذ البرهان أحد النتائج المباشرة لعمليات

---

(١) النهج الإيماني للتفكير ص ٤٣، ٤٤.

(٢) تنمية مهارات التفكير نماذج نظرية وتطبيقات عملية، أ.د/ عدنان يوسف العتوم وآخرون، ص ٥٠، ٥١ .



العقل العليا، وقد كثر ذلك في المسائل العقدية التي لا تقبل إلَّا الدليل القاطع الناصع الذي لا مرية فيه لمن ينكرها أو يشك فيها أو يعرض عنها[1]، كقوله تَعَالَى: ﴿وَقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُعْرِضُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَنَزَعْنا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾[5]

من هنا وجب علينا ضرورة تعليم أولادنا التفكير النقدي حتى يكونوا قادرين على التمييز بين الصواب والخطأ، وبذلك نوفر لهم الحماية من الانسياق وراء دعاوى الجمود والانغلاق، أو أي دعاوى أخرى هدَّامة ترمي إلى محو هويتهم، حيث تشير بعض الدراسات أن الطفل يولد وهو على درجة عالية من القدرة على الإبداع، وأن الأطفال حين تكون أعمارهم بين سنتين وأربع سنوات يكون ٩٥٪ منهم مبدعين، وإمكاناتهم في ارتقاء، ولديهم قدرة على التجريد والتخيل النشط، أمَّا عدم إعطائهم فرصة للتعبير

---

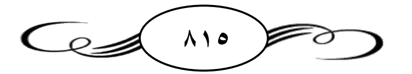
(١) ينظر: معرفة القرآن، مرتضى مطهري ص٧٢، ت: جعفر صادق الخليلي، ط: دار التعارف للمطبوعات، بيروت .

(٢) سورة البقرة: (١١١) .

(٣) سورة الأنبياء: (٢٤) .

(٤) سورة النمل: (٦٤) .

(٥) سورة القصص: (٧٥) .



عن رأيهم يؤسس في أذهانهم أن من الخطأ الخروج عن الدرب المعهود، وعن أطر التفكير السائدة في أسرته، ويأتي التعليم التلقيني المباشر بعد ذلك ليكمل المهمة في وَأْد الإبداع والنقد!! فلا ينتج إلَّا أُناساً باهتة لا وزن لها، ويخرج لنا شخصيات متواكلة استسلامية، أمَّا التفكير النقدي فإنَّه ينتج شخصيات فاعلة لها رأي وفكر، ولها نظرة ثاقبة فاحصة في الأمور، فتحرك المياه الراكدة، وتوقظ العقول النائمة التي تمَّ تخديرها بشكل أو بآخر، وهذا يعني إثراء المجتمع بأعضاء عاملين يدفعون بعجلة الحياة إلى التَّقدم والازدهار، وينهضون بمجتمعهم على جميع المستويات(١) .

ثالثاً: توجيه التفكير نحو الغرض المنشود والهدف المقصود؛ إذ التفكير ينشط إذا سبقه موقف إنفعالي، يحرضه ويدفعه نحو مقصوده، لكي يؤدي إلى نتائج إيجابية في حياة الفرد والمجتمع، وإلَّا وقع في الغفلة التي نهى الله عنها، ولا شك أنَّ هناك اختلافات بين الناس في قدرتهم على التركيز، تعود إلى خصائص الجهاز العصبي الذي وهبه الله للإنسان، فهناك فريق من البشر يضخم التكوين الشبكي من الإشارات العصبية التي ترسلها الأعضاء الحسية إلى الدماغ، فيتمتع بقدرة كبيرة على التركيز ولفترات طويلة نسبياً، بينما تقوم الألياف العصبية لدى فريق آخر بكف الإشارات والنبضات العصبية المرسلة إلى الدماغ، والتخفيف منها، وهؤلاء

(١) الفكر الديني وقضايا العصر، أ.د/ محمود زقزوق ١/٧٨، ٨١، واكتشاف الذات، دليل التميز الشخصي ، أ.د/ عبد الكريم بكار ص١٣٣، ١٣٤، ط: مؤسسة الإسلام اليوم، الرياض، الرابعة، ١٤٣١هـ .



أقل قدرةٍ على التركيز من الفريق الأوَّل، إلَّا أنَّ غالبية البشر وسط بين الفريقين[١] .

وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب من التَّوجيه؛ لإثارة الوعي والإدراك، ولفت أنظار الناس إلى ما ألفوه واعتادوه؛ وليتدرب العقل على تركيز التفكير، وتوجيه الانتباه إلى كل ما حولهم، لكنهم غفلوا عنه فلم يأخذوا منه العِظة والعِبرة، ولذا كثر مجيء صِيغ الاستفهام التقريري، والتوبيخي التقريعي، والإنكاري في كتاب الله عقب ما عرضه من قضايا في هذا الصدد؛ لأنَّه يُشكِّل دافعاً قوياً لإثارة النظر وتحريك الأذهان، وإيقاظ العقول، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [٢]، وقَالَ تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[٣]، فهذه المشاهد وأمثالها توحي إلى القلب شيئاً بمجرد النظر الواعي، والتأمل الصاحي، وهذا القدر يكفي لاستجاشة الوجدان، وتحرك الروح والقلب نحو المُبدع الخالق لهذه الأشياء، فانظر كيف خاطب القرآن الوجدان الديني بلغة الجمال الفني والتناسق التصويري، وكيف يعتنقان في حس المؤمن الشاعر بجمال الوجود[٤] .

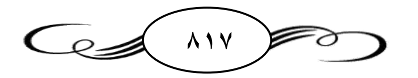
---

(١) ينظر: التفكر من المشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية إسلامية ص ٨٨، ٨٩ .

(٢) سورة الغاشية: (١٧، ٢٠) .

(٣) سورة الصافات: (١٣٧، ١٣٨) .

(٤) أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير من خلال سُورة الغاشية، أ. رديف يوسف المقداد ص ٢٠، بدون طبعة وسنة نشر.



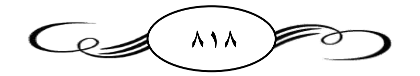
وقد جاءت الحروف المقطعة في بداية السُّور القرآنية؛ لجذب أنظار المعرضين عن هذا القرآن، إذ يطرق أسماعهم لأوَّل وَهْلَة ألفاظ غير مألوفة في تخاطبهم، فينتبهوا إلى ما يُلقى إليهم من آياتٍ بينات[١]، كما استخدم القرآن أيضاً أسلوب القَسَم في فواتح كثير من السُّور المكيّة؛ من أجل إثارة الانتباه، وتوجيه تفكير السَّامع؛ كي يوجِّه طاقاته الذِّهنية للاستماع إليه، والتَّركيز فيما يُتْلى عليه، وفي هذه الحال يكون الإنسان أشد تأثُّراً، ولديه تهيؤ نفسي بما يَسْمَع ويلقى إليه، بخلاف لو كان فاتحته مشتمة على الجِدال والمناقشة[٢]، كما سلك أيضاً في إثارة التفكير أسلوب السؤال المُثير للنظر والتأمل؛ خاصَّة إذا كان المسْؤل عنه ممَّا يستحوذ على اهتمام المُخاطبين كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[٣]

رابعاً: حث القرآن الكريم على تجديد التفكير عن طريق تنمية القدرة على التخيل "التفكير الإبداعي": فكلما كان الخيال نشطاً، وكانت قدرة العقل في التحليل والتركيب كبيرة، كان الإنسان أقدر على

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ١/ ٥٩، ط: دار الفكر، بيروت،،١٤٢٠هـ، وصفوة التفاسير للصابوني ٢٥/١، ط: دار الصابوني، القاهرة، الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

(٢) ينظر: فواتح سور القرآن الكريم، أنواعها، ودلالتها، تأليف: أ.د / السيد إسماعيل علي سليمان ص ٨٩، ٩٠، ط: مكتبة الإيمان، القاهرة، الثانية، ١٤٣١هـ، والقرآن وعلم النَّفس، د/ محمد عثمان نجاتي ص ١٨٤، ط: دار الشروق، السابعة، ١٤٢١هـ .

(٣) سورة التكوير: (٨، ٩) .



إيجاد البدائل على مستوى التفسير، وعلى مستوى الاستخدام العملي، ونحن بوجه عام في أمسّ الحاجة إلى وجود البدائل والتصورات والتفسيرات المتعدِّدة، فالإنسان في حاجة مستمرة إلى الشُّعور بأنَّه حُرٌّ، وأنَّ أمامه خيارات عديدة في معظم أمور حياته، وهذا لا يتوفر إلَّا إذا كان هناك بدائل جيدة يستطيع ممارسة حريته تجاهها(١)، إذاً هذه القدرة على التخيل لها أهمية كبيرة حيث تمكن الفرد من فرض الفروض ووضع الاحتمالات، فإنَّه لا يتأمل في الواقع المحسوس فقط، وإنما يتجه إلى ما وراءه؛ ليدرك أبعاد الموقف واحتمالاته، فأي عمل ابتكاري إنَّما هو نتيجة لجهد متواصل لإدراك ما وراء الأشياء الحالية الحقيقية مع بذل الجهد؛ للتحقق من صدق هذه الأفكار التي يتوصل إليها الباحث(٢) ، والمتأمل في حياة البشر يجد أنهم يختلفون في قدرتهم على التصور والتخيل، إلَّا أن التدريب والممارسة والخِبرة تؤثر في ذلك تأثيراً كبيراً، وقدرة الإنسان على التفكير تتأثر بدرجة كبيرة بقدرته على التخيل .

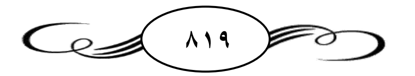
ولو نظرتَ في آيات القرآن لوجدت أنَّ هناك مواقف وحوادث صورها القرآن كأنَّها مُشاهدة محسوسة وواقعة ملموسة، وأطلق العنان فيها للخيال، فانظر مثلاً إلى قول الحَق: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ *إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ﴾(٣) ، فلا شَكَّ أَنَّهم كانوا لا يعرفون رؤوس

---

(١) خطوة نحو التفكير القويم، ثلاثون ملْمحاً في أخطاء التفكير وعيوبه، أ.د/ عبد الكريم بكَّار ص٩٣ .

(٢) التفكير التأملي، تأليف: جولدن هلفش ، فيليب سميث، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٣) سورة الصافات: (٦٢، ٦٥) .



الشياطين، وإنَّما شبَّهها بها، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ؛ لِأَنَّهُ قَدِ اسْتَقَرَّ فِي النُّفُوس أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَبِيحَة الْمَنْظَر[1]، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ أقبح الأشياء في الوهم والخيال هو رؤوس الشَّيَاطِين، فَهَذِهِ الشَّجَرَة تُشْبِهُهَا فِي قُبْحِ النَّظَرِ، وَتَشْوِيه الصُّورَة، وَالَّذِي يُؤَكِّد هَذَا أَنَّ الْعُقَلَاء إِذَا رَأَوْا شَيْئًا شَدِيد الِاضْطِرَاب، مُنْكَر الصُّورَة، قَبِيح الْخِلْقَة، قَالُوا إِنَّهُ شَيْطَانٌ، وَإِذَا رَأَوْا شَيْئًا حَسَنَ الصُّورَة وَالسِّيرَة، قَالُوا إِنَّهُ مَلَكٌ[2] ، والإنسان بعد هذا كله يذهب ذهنه وخياله كل مذهب في تصوُّر الأشياء، لكن قطعاً سيكون الواقع خلاف ذلك، وهذا من أقوى الأساليب التي استعملها القرآن في تنمية التفكير، فيرى بعين الخيال مشاهد وصوراً حية ذات أبعاد مختلفة، وأحجام متفاوتة، فيتولد عن ذلك إحساس ذاتي في نفس القارئ وذهنه، فتترجم المشاهد والصور إلى معان وأفكار، فيشعر القارئ بالتَّجاوب مع القرآن، هذا التَّجاوب هو الذي يُنمِّي الفكر، ويشْعل الذكاء، ويُوقِد القريحة، وينمِّي الذوق الأدبي الرفيع لديه .

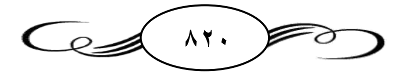
وفي قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[3]، صوَّر الله الشيء المادي المحسوس بالأمر المعنوي، بحيث يجعل الفكر يتخيل استحالة دخول الجمل في ثقب الإبرة، فكذا استحالة دخول الكافر الجنة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٧/٧، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩هـ .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للفخر الرازي ٣٣٧/٢٦، ط: دار إحياء التراث العربي، الثالثة، ١٤٢٠هـ .

(٣) سورة الأعراف: (٤٠) .



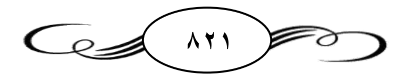
وقد انتشرت ممارسة «التَّأمل الارتقائي» في أُوروبا وأمريكا بشكل واسع لم يسبق له مثيل خاصَّة بعد أنْ أثبت هذا التأمل مقدرته الفائقة في علاج الأمراض المرتبطة بالمشاكل الانفعالية والمعرفية وغيرها، ولو نظرتَ في آيات القرآن التي دعتْ إلى التفكر، لظهر لك بجلاء أنه سبق هذا كله بمراحل، فيستطيع المؤمن أن يحصل على جميع الفوائد التي ذكرها العلماء في ممارسة «التَّأمل الارتقائي»، بل يزيد عليها أضعافاً مضاعفة بسبب صحَّة عقيدته وبساطتها، ونفاذ بصيرته، ووضوح رؤيته الدينية، وتدريبه المستمر على التفكر في صلاته وتسبيحه منذ نعومة أضفاره[(١)] ، بل إنَّه قد يصل إلى هذه الفوائد بأقل جهد وأقصر وقت[(٢)]، فقد أثبت د/ أحمد القاضي[(٣)] بعد سلسلة من التجارب الدَّقيقة التي أجراها في عيادات فلوريدا في أمريكا أنَّ مجرد استماع آيات من القرآن سواء أكان من المتحدثين بالعربية أم بغيرها، يأتي بجميع التغيرات الفسيولوجية الدالة على خفض الأمراض المتنوعة من التوتر والقلق، وزيادة المناعة ضد الأمراض النَّفسية التي تشتمل عليها رياضة «التأمل الارتقائي»، وقد استخدم أحدث أجهزة المراقبة الالكترونية التي تظهر ذبذبات تصدر عن جسد السامع للقرآن تسجلها مراصد علمية مخبرية، وكان لها أثر مهدئ

---

(١) ينظر: التفكر من المُشاهدة إلى الشهود ص ٤٩، ٦٠ باختصارٍ .

(٢) بخلاف «التأمل الارتقائي» الذي يحتاج إلى وقتٍ أطْول وجُهد أكبر، فضلاً عن اشتماله على أقوال لا معنى لها .

(٣) هو طبيب مصري، ولد في أغسطس ١٩٤٠م، بدسوق، مصر، حصل على الدكتوراه في الجراحة من جامعة ميزوري بكولومبيا، كما رأس معهد الطب الإسلامي للتعليم والبحوث بنماستي في ولاية فلوريدا الأمريكية منذ عام ١٩٨٠م وحتى وفاته، توفى في أبريل ٢٠٠٩م . ينظر ترجمته: الموسوعة الحرة، ويكبيديا على النت .



واضح في ٩٧٪ من الحالات التي تم إجراء البحث عليها[١]، وصدق الله إذ يقول: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٢]

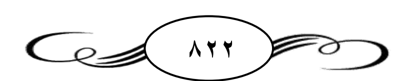
إنَّ القرآن يربي الإنسان على إعمال عقله، وتربية ذهنه على التأمل والاستنتاج والقياس والاستقراء، فعند دراسة كتاب الله يستطيع المتعلّمِ أنْ يستفيد منه، ويمكنه استخدام كلماته في تعبيرات خارج النَّص القرآني، فالشخصية ذات القدرات العقلية والإبداعية التي أشار إليها القرآن ترتقي في الاستنتاج والاستنباط والعلم على قدر عقلها، وبُعدها الإيماني فكراً وعقيدة وأخلاقاً، وتؤكد الحقائق العلمية التي جاءت بها نظريات البرمجة اللُّغوية العصبية أنَّ الإنسان كلما استنشق كمية من الأوكسجين، استعاد الجهاز اللِّيمفاوي حيويته ونشاطه، فكذلك الحقائق القرآنية تؤكد أنَّ الإنسان كلَّما قرأ وفكر وتدبَّر، استعاد نشاطه الذهني، وطور قدراته العقلية، واكتسب مهارات التفكير السليم من خلال الآيات التي تحث على ذلك، بالإضافة إلى تنمية روح الإبداع والإتقان، فالله هو المبدع والمتقن والصانع لكل شيء[٣] .

---

(١) ينظر: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ص٣٠، عبد المتعال محمد الجبري، ط: مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى، ١٩٨٨م، وروائع الإعجاز في الوضوء والصلاة والصوم، د/ أمل ياسين ص ١٠٩، ١١٠، ط: مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م .

(٢) سورة الزمر:(٢٣) .

(٣) أثر القرآن في بناء القدرات والتصورات العقلية وتنميتها دراسة تطبيقية عصرية على البرمجة اللغوية العصبية، د. حمزة حسن سليمان صالح، جامعة القرآن الكريم ==



من خلال ما سبق ظهر لنا أنَّ الخيال الخَصب يخرج الإنسان من سجن الواقع، وضغوط الظروف السيئة، وينطلق إلى تمثل آفاق وأوضاع ترسل إشارات النجاح، وتجاوز الأزمات إلى جهازه العصبي ممَّا يحدث فيه تغييرات إيجابية لصالح الانطلاقة الجديدة التي يرنو إليها؛ إذ الكثير من إنجازات البشرية مدين فيها لأصحاب الخيال المُتوثِّب، والذين يمهدون السُّبل أمام كل المبدعين، وهذا يعني: أنَّ علينا أن نشجع أنفسنا على تخيل ما يمكن أن يحدث من الخير والنجاح؛ لننطلق بعد ذلك إلى بحث السُّبل التي تقربنا ممَّا تخيلناه، ونحوِّله إلى ما يشبه الحقيقة[1] .

*طُرُق تنمية وتجديد "التفكير الإبداعي" :

يستطيع الإنسان مُعلِّماً كان أو مُدرِّباً أنْ يُنمي «التفكير الإبداعي» عند مَنْ يتعامل معهم بالطرق التالية، والتي لها أصل في القرآن والسُّنَة النَّبوية، ومنها:

١- تقبل الأنشطة والأفكار غير المألوفة وتعزيزها، وعدم السخرية منها بما يضمن حرية التعبير .

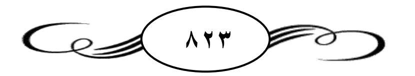
٢- احترام المخاطب احتراماً يتناسب مع آدميته .

٣- إشاعة جو من المرح والفُكاهة تجنباً للسآمة والملل .

==

والعلوم الإسلامية، السودان، مقال بمركز تفسير للدراسات القرآنية، تاريخ النشر، ١٢ ذو القعدة ١٤٣٥هـ = ٧/ ٩/ ٢٠١٤م .

(١) اكتشاف الذات، دليل التميز الشخصي ، أ.د. عبد الكريم بكار ص ٦٩ .



٤- إثراء البيئة بالخبرات المتنوعة سواء كانت ثقافية أو دينية أو اجتماعية أو علمية ... الخ، وإتاحة الفُرص للتفاعل معها .

٥- مراعاة الفروق الفردية لدى المخاطب .

٦- تشجيع فرص المنافسة بين الأفراد والجماعات؛ لإثارة دافعيتهم للابتكار والإبداع .

٧- تعزيز الاستجابات الصحيحة، وتجاهل الاستجابات الخاطئة .

٨- العمل بروح الفريق، ومشاركة جميع الأطراف، وتشكيل مجموعات تعليم صغيرة، وتزويد كل مجموعة بمهمة أو مُشكلة مُعينة للعمل على حلِّها، ومناقشة الحل مع المجموعات الأخرى .

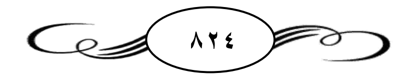
٩- اعتماد الأسئلة الوصفية والتأملية والعلمية التي تثير تفكير المخاطب، وعدم الاعتماد على أسئلة تتطلَّب الإجابة ب «نعم» أو «لا»(١) .

خامساً: الفِكَاك من النَّمطيَّة والتَّقليد الأعمى شرطٌ للتَّجديد:

لقد فطر الله العقل البشري على العمل ضمن مسارات محددة، وإذا ما تجاوز تلك المسارات حطَّم منطقيته، ولم يَجد منطقية أخرى تسْعفه في الاستمرار في ذلك التجاوز، وهو لا يستطيع أن يفكر إلَّا ضمن أنماط معينة، يستفيدها من كسبه الثقافي والمعرفي، ومع مرور الأيام يميل العقل إلى التَّطابق مع الأنماط السائدة والخضوع لها، ويصبح إنتاجه عبارة عن تدعيم للواقع الموجود وإثرائه دون تفكيكه وتغييره .

---

(١) تعليم التفكير ومهاراته، تدريبات وتطبيقات عملية ، د/ سعيد عبد العزيز ص ٩٧، ٩٨، ١٤٩ .



كما ذهبت بعض الدراسات إلى أنَّ العقل البشري لم يستثمر منه حتى الآن إلَّا نحو١٥٪، وإنَّ الاستفادة من باقي إمكاناته الكامنة تحتاج إلى شروط تربوية وثقافية واجتماعية لا بُدَّ من توفيرها، وإلَّا فما أسهل أن ينصاع العقل البشري لأمر العادة والإلْف والتطابق(١)، فعلى أي إنسان يريد أن يحدث تغييراً إيجابياً في حياته عليه أوَّلاً أن يحدث التغيير في أفكاره الداخلية، فيستبدل الأفكار السلبية بالأفكار الإيجابية؛ لأنَّ الفِكر الجديد يصنع واقعاً جديداً(٢)، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(٣)، ولذا دعا القرآن في كثيرٍ من آياته إلى خلع الموروثات والمألوفات القديمة، وبيَّن طريق الحق والصَّواب فيها، فقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِم مُهْتَدُونَ * وَكَذلِكَ مَا أَرْسَلْنا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن نَذِيرٍ إِلاَّ قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُم بِهِ كافِرُونَ﴾(٤)، ودعوة القرآن إلى ذمِّ التَّقليد، إنَّما هي تهيئة للذِّهن وبقوَّة لممارسة قاعدة من أهم قواعد مناهج البحث وهي: «اسْتِبْعَاد أساليب الفَهْم المتوارثة»، والتي تكون في أغلب الأحيان خاطئة، وتؤدي إلى نتائج خاطئة أيضاً(٥) .

---

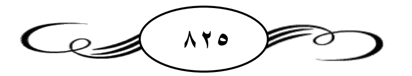
(١) مدخل إلى التنمية المُتكاملة رؤية إسلامية ، أ.د/ عبد الكريم بكَّار ص ٦٥، ٦٧ .

(٢) قوة التفكير، د/ إبراهيم الفقي ص٢٨٠، ٢٨١، ط: شركات د/ إبراهيم الفقي العالمية للتنمية البشرية، ٢٠٠٧م .

(٣) سورة الرعد: (١١) .

(٤) سورة الزخرف: (٢٢، ٢٤) .

(٥) القرآن والنَّظر العقلي ، فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل ص١٠٦ .



إنَّ معرفة خطوط دفاع الآخرين، والتغلل وراءها ضروري؛ لإحداث التجديد المطلوب؛ إذ الإنسان عادة ما يتمسك بما هو عليه من معتقدات وعادات وتقاليد، ينافح عنها ويرفض كل جديد، فإذا تمكن العاقل الفَطِن من تحطيم ذلك كله مخاطباً العقل تارة، والعاطفة تارة أخرى، نجح في تحقيق غرضه المنْشُود، «ولن يكون لنا استغناء عن القديم من الأفكار والمفاهيم، ولكن حاجتنا إليه يجب أنْ تتجسَّد في جعله مواد يشتغل عليها العقل اقتباساً وتوظيفاً وتعديلاً وتنمية ونقداً، لا أن نصبح أسرى له، والتعامل معه على أنَّه مجموعات من المعطيات الجاهزة والصافية سيضر بحركة التفكير، وسيبعدها عن الواقع المعيش، وهذا يجعلها جهاداً في غير عَدو»[١] ، وقد حذَّرنا رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التَّقليد الأعمى؛ فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً[٢]، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»[٣]، فهو لمْ يرتض للمسلمين أن يكونوا مقلدين يسيرون وراء كل ناعق، فيكونون كالريشة في مهب الرياح تميلها حيث شاءت، بل عليهم أن يحكِّموا عقولهم، ويميزوا بين ما يضرهم وما ينفعهم، وبالتالي يصبح لهم دور إيجابي في حركة الحياة؛

(١) خطوة نحو التفكير القويم، ثلاثون ملْمحاً في أخطاء التفكير وعيوبه ص ١٠٩ .

(٢) «إِمَّعَة»: الَّذِي يُتَابِع كُل نَاعِق، وَيَقُولُ لِكُلِّ أَحَدٍ: أَنَا مَعَكَ؛ لِأَنَّهُ لَا رَأْيَ لَهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَمَعْنَاهُ: الْمُقَلِّدُ الَّذِي يَجْعَلُ دِينَهُ تَابِعًا لِدِينِ غَيْرِهِ بِلَا رِوَايَةٍ وَلَا تَحْصِيلِ بُرْهَانٍ . ينظر: الفائق ١ / ٥٦، ٥٧، وتاج العروس ٢٠/ ٢٩٩ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٣٦٤ برقم ٢٠٠٧، بَاب مَا جَاءَ فِي الإِحْسَانِ وَالعَفْوِ، وقال:«هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وقال الْهَرَوِيُّ: «رَوَاهُ التِّرْمِذِي، وَيصِح وَقفه على ابْن مَسْعُود» . مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٢٠٣ .



«لأن توطين النفس البشرية على الانفصال عمَّا هو سائد يعني اكتساب عادات جديدة في التفكير، وبلورة الرؤية والتواصل مع الناس، وهذا كله في عمق التغيير والتجديد الذي نحن بصدد الحديث عنه»[١] ، أمَّا إذا غلبت على العقل سَطوة التقليد، وقُيدت بذلك حريته في التفكير والتأمل، فإنَّه سينصرف عن النظر في مشكلة الحياة الواقعية ليتخذ من غابر الآباء، وغائب تاريخهم مادة للنظر، يصوغ منها موازين وأحكاماً يسقطها على مشاكل الواقع في شيء من المثالية التاريخية على سبيل الانقياد لموروث الآباء لا على سبيل البحث في وقائع التاريخ للاعتبار والعِظة[٢].

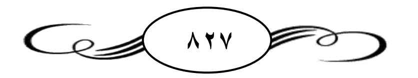
إنَّ كل فكرةٍ جديدة تواجه سَرَطان القديم ممثلة في أبنيته المادية والمعنوية الحارسة له ليستمر ويبقى، وتبقى معه المصالح والمكاسب التي ترتبت عليه، تلك هي الفكرة العابرة للزمان والمكان، وهي مشكلة تواجه كل تجديد، وكل عمل يطالب بالتفكر في حصادِ عصر سَبَق، فالاستسلام لسلطة القديم هي جوهر حالة الركود، والانفكاك منها لا يتم إلَّا بممارسة التفكير بجميع أنماطه وأشكاله من خلال آي الذِّكر الحكيم[٣]، وقد شهد بتلك الحقيقة الكاتب «ليوبولد فايس» فقال: (من مفاخر الإسلام أنَّه مبني على العقل، ولا يطالب معتنقيه أبداً بتجميد طاقاتهم الفكرية، مُخالفاً بذلك

---

(١) ينظر: قطار التَّقدُّم، مبادىء وأساليب للتغيير الشخصي، أ.د/عبد الكريم بكار ص ٣٥ .

(٢) دور حُرية الرَّأي، في الوحدة الفكرية بين المسلمين ، د. عبد المجيد النَّجار ص ٥٨ .

(٣) ينظر: أنا والقرآن مُحاولة فَهَم نحو فهم حضاري للقرآن «١» ، تأليف: د/ جاسم سلطان ص ١٩١ .



عقائد أخرى تلزم تابعيها بالاعتقاد الأعمى لمذاهب وآراء معينة دون تفكير فيها.)[1]

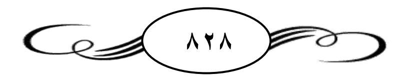
سادساً: تحسين البيئة المادية والنفسية للإنسان؛ لأنَّه إذا كان مضطرباً مادياً ومعنوياً، لن يستطيع أن يصل إلى التفكير السليم المبني على قواعد علمية، وكلَّما كانت البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد أفضل، كان الشَّخص أقدر على استثمار طاقاته إلى أَقْصى مدى مُمكن، فالقُدرات العقليَّة عند أغلب النَّاس مُتقاربة، ولا شَكَّ أنَّ نموها يتوقَّف في جانب كبير منه على البيئة التي تتفاعل معها هذه القدرات، ويتفق علماء النفس أنَّ الأفراد الأسوياء لديهم قدرات إبداعية، لكنهم يختلفون في مستويات امتلاكهم لها، فيجب تهيئة بيئة صفية محفزة للإبتكار، يشعر فيها الشخص بأمان سيكولوجي[2] .

إنَّ الإنسان الذي يعيش في بيئة يتوفر له فيها الأسباب المادية، وليس لديه مشكلات أو متاعب تشغل فكره، فإنه سيكون أقدر على النظر والتفكر، بخلاف الشخص الذي ترهقه المطالب المادية والحاجات

---

(١) علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، الحسيني معدى ص٩٢، وهو ليوبولد فايس، مفكر، وصحفي نمساوي، ولد عام ١٩٠٠م، أشهر إسلامه، وتسمَّى ب «محمد أسد»، وحكى في كتابه «الطريق إلى مكة» تفاصيل إسلامه، وكتب دراسات وفيرة معظمها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام . ينظر ترجمته: رجال ونساء أسلموا، د/ عرفات العشي، ١٥٧/٢، وقالوا عن الإسلام د/ عماد الدِّين خليل ص٧٧، ط: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الأولى، ١٤١٢هـ .

(٢) ينظر: التَّفكير طبيعته وتطوره، تأليف: نوري جعفر ص ١٩٨، ط: الثانية، بغداد ١٩٧٧م .



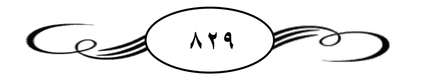
المعيشية، فإنَّ تفكيره سيصاب بالشَّلل، ولا يتجاوز به أُمور معاشه، كما أنَّ الإنسان المصاب بالقلق أو الاكتئاب أو غير ذلك من الاضطرابات النفسية، لن يكون قادراً على التفكير بتركيز وعمق؛ إذ المرض النفسي أشد تأثيراً على الإنسان من المرض العضوي؛ لأنَّ الهم والحزن أعداء للصفاء الذهني الذي يحتاجه المؤمن المُفكر، وهناك العديد من الأبحاث والدراسات التجريبية الحديثة تؤكد أنَّ التركيز الذهني، وحل المشكلات يَضْعف مع ازدياد التوتر والقلق(١) ، حيث أثبت علم المناعة النفسية العصبية أنَّ حالتنا المِزاجية تُؤثر في أفكارنا، فمثلاً بعض الأفكار الغاضبة أو العدائية أو الخائفة ... الخ، تؤدي إلى تسريع خفقان القلب أو رفع ضغط الدم، أو إلى نوبات تعرُّق، فالدِّماغ هو الذي يقوم بنقل المعلومات حول الوضعية النفسية عبر مراسلات عصبية مثل جهاز الإرسال العصبي والعصارات الهضمية إلى جميع الخلايا، فحسب حالتنا النفسية نقوم إمَّا بتقوية وإمَّا إضعاف نظامنا المناعي، وبناء على ذلك يجب علينا أنْ نمحو برمجات عقلنا الباطن الخاطئة والسلبية، وإدراك الخطأ في مسيرة حياتنا، عندئذ يمكننا تصحيح أفكارنا وتجديدها وتغييرها للأحسن والأفضل(٢) .

ولو تفحصت آي الذِّكر الحكيم لوجدتَ أنَّ القرآن يدعو لمواجهة الاحتياجات المادية للأشخاص، وتلبيتها من خلال الدعوة إلى الصدقات والترغيب في الإحسان والإنفاق، كما جاء بالتشريعات الكفيلة بتأمين هذه الحاجات للبشرية، وفي الوقت ذاته يرغب المؤمن أن يتوجه بعقله وقلبه

---

(١) ينظر: التفكر من المُشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية إسلامية ص ٩٠، ٩١ .

(٢) ينظر: سر ينبوع الشباب بسبع خطوات تُصبح أكثر شباباً بعشر سنوات، روبرت سباستيان ص ٣٤، ٣٥ .



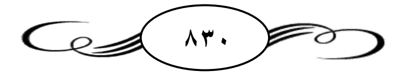
نحو العمل الصالح الذي ينفعه في الآخرة، وأن يتحرر من الانشغال والانْكِباب على ملذات الحياة الفانية، فقال: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى﴾[(١)]، والبشر حينما ينفِّذون ذلك، يهديهم الله لاكتشاف بعض الحقائق التي شاءت إرادته إلهامهم إياها، فتبدوا لهم كما لو أنَّها أشرقتْ في عقولهم فجْأة؛ إذ الخالق هو المتصرف المدبر لما يحدث في خلايا مُخ الإنسان من عمليات فسيولوجية وما يصاحبها من تغيرات سيكولوجية، وهو المُوجِّه لما يدور فيها من عمليات عقلية، وهذا ما أشار إليه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْن عَبْدِكَ، ابْن أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ... إلخ»[(٢)]، والنَّاصية: هي مُقدم الدِّماغ[(٣)] الذي يحتوي على الفصين الجبهيين اللَّذين توجد فيهما مراكز العمليات العقلية للإنسان، فحينما يُفكِّر في مشكلة ما مدة طويلة دون أنْ يهتدي لحلها، فإنَّه عادة ما يتركها فترة من الزَّمن يرتاح فيها ذهنه، ثُمَّ يعود للتفكير فيها، وتحدث في هذه الفترة – والتي يُسميها العُلماء «فترة الحضانة» – تغيرات هامة في عملية التفكير، فيتخلَّص من بعض الشوائب التي كانت تعوقه عن الوصول إلى حل مناسب، فينظم معلوماته، ويُصبح أكثر صفاء، وأحسن نضارة، فتظهر

---

(١) سورة طه: (١٣١) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٤١/٧ برقم ٤٣١٨، وابن حبان في صحيحه ٢٥٣/٣ برقم ٩٧٢، وقال شعيب: «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح»، والهيثمي في المجمع ١٣٦/١٠ برقم ١٧١٢٩، وقال: «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ وَأَبِي يَعْلَى رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ أَبِي سَلَمَةَ الْجُهَنِيِّ، وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ» .

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٥ / ٤٣٣ ، ولسان العرب ١٥ / ٣٢٧ .



لـه بعض الأفكـار الجديـدة والآراء السـديدة التـي لـم تكـن مُتاحـة لـه مـن قبل[1].

كما أنَّ القرآن عالج الاضطرابات النفسية بجميع أشكالها وألوانها؛ بما اشتمل على آياته من توجيهات إيمانية، تصل بقلب الإنسان إلى السكينة والوقار، وتعصمه من الشَّطط في التفكير، والزَّلل في التوجيه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَساراً﴾[3]

كما وضع القرآن أيضاً قواعد متعدِّدة كفيلة لحماية العقل البشري من إحداث ضرر به أو فقدانه، فحَّرم شُرب الخمر وجميع المُسكِرات، فقال: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، كما حذَّر من المذاهب الهدامة، والاتجاهات الفكرية المختلفة التي تُشوه صفاءه وفطرته النقية كالإلحاد وغيره، فرد على عدد لا بأس به من الشُبهات العقلية بإسلوب علمي رصين، يضمن للعقل الاقتناع بها، كما حفظه من الضياع عن طريق نهي الإنسان من التمادي في التفكير في الأمور الغيبية التي لا يستطيع إدراكها والوقوف على كُنْهها، فأمره بتفويض العلم فيها لله وحده .

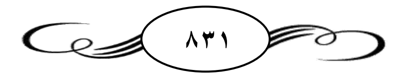
---

(١) القُرآن وعلم النَّفس، د/ مُحَمَّد عُثْمان نجاتي ص ٢٠١، ٢٠٢ .

(٢) سورة يونس: (٥٧) .

(٣) سورة الإسراء: (٨٢) .

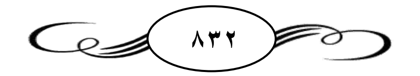
(٤) سورة المائدة: (٩٠) .



سابعاً: **دعا القرآن الكريم إلى تجديد التفكير عن طريق استخدامه لعدَّةأساليب[1] ومهارات يمكن من خلالها تنشيط وتفعيل العقل البشري**، **من هذه الأساليب**: «أسلوب التعلم بالاستكشاف»، أو ما يعرف ب «العَصف الذهني» حيث اسْتخدمها مع العقل المتسائل، فلم تكُن هناك إجابة مباشرة للسؤال الذي يمكن لصاحبه الإجابة عليه من خلال إعمال عقله فيما تنقله حواسه، فهو أسلوب تعليمي يستخدم من أجل توليد أكبر عدد من الأفكار للمشاركين في حل مشكلة مفتوحة خلال فترة زمنية محددة، في جو تسوده الحرية والأمان في طرح الأفكار بعيداً عن المصادرة، وقد أثبت نجاحه في كثير من المواقف التي تحتاج إلى حلول إبداعية، وهو أكثر المنهجيات شيوعاً واستخداماً في الميدان التربوي لتنمية التفكير؛ حيث يقوم على تصور حل المشكلة على أنَّه موقف به طرفان يتحدى أحدهما الآخر، العقل البشري «المُخ» من جانب، والمشكلة التي تتطلَّب الحل من جانب آخر، ولا بُدَّ للعقل من الالتفاف حول المشكلة

---

(١) من هذه الأساليب: أسلوب الجدال والحوار، المنطق الإقناعي، المنطق البرهاني، التوازن بين الترغيب والترهيب، التحدي والإعجاز، التأمل، ذكر الله تَعَالَى، ضرب الأمثال، التساؤل والتدرج به من المستويات الدنيا إلى العُليا، القصة والأخبار التاريخية والاستدلال بالآثار على صحيح الأخبار، القراءة المستمرة، التعلم التعاوني، الرحلات التي تعمل على توسيع قاعدة التفكير وتزويده بالعلوم والثقافات المختلفة، الإخبار التقريري، السخرية التهكميَّة من الشرك والعدول عن الصراط المستقيم إلى سُبُل مُنحرفة . ينظر: التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، عبد الوهاب حنايشة ص٩٠: ١١٢، ووسائل الإقناع في القرآن الكريم، د/عبد القادر محمد دهمان، ط: دار الفتح، الأولى، ٢٠١٧م .



والنَّظر إليها من أكثر من جانب، ومحاولة تطويقها واقتحامها بكل السُّبل الممكنة، وهناك أربع قواعد أساسية لهذه العملية «العصف الذهني» هي:

١- النقد المؤجل: وهذا يعني أنَّ الحكم المضاد للأفكار يجب أن يُؤخر حتى وقت لاحق حتى لا نكْبِت أفكار الآخرين، وندعهم يعبِّرون عنها بحرية تامة دون تقييم عاجل .

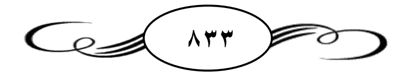
٢- التَّرحيب بالانطلاق الحُر: فكلَّما كانت الأفكار أشمل وأوسع كان هذا أفضل .

٣- الكَم مطلوب: كلَّما ازداد عدد الأفكار، ارتفع رصيد النتائج المفيدة .

٤- التركيب والتطوير عاملان يكون السعي لإحرازهما: فالمشتركون بالإضافة إلى مساهمتهم في أفكار خاصة بهم، يخمنون الطرق التي يمكنهم بها تحويل أفكار الآخرين إلى أفكار أكثر جودة، مع كيفية إدماج فكرتين أو أكثر في فكرة أُخرى أفضل(١) .

وقد استعمل إبْرَاهِيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ- هذا الأسلوب مع قومه؛ ليكشف لهم زيْف وبُطلان ما هُمْ عليه من عِبادة الأصنام والأوثان، واستمع إلى الآيات وهي تُصوِّر هذا الحدث في مشْهد عجيب فريد لا مثيل له على الاطلاق في كلام البشر، قَالَ تَعَالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ * قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنا يَا إِبْراهِيمُ * قالَ بَلْ فَعَلَهُ

(١) تنمية التفكير بأساليب مشوقة ، أ.د/ عبد الواحد حميد الكبيسي ص ١١٧، ١١٨ .



كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِن كانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ * قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(١)، فانظر كيف كان اسْتخدام «أسلوب التعلم بالاسْتكشاف» له صدى كبير على التفكير الإنساني، حيث أعلنوها صراحة ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، ثُمَّ صرحوا بلازم بُطلان عبادتهم لتك الأصنام، وهو أنَّهم لا ينطقون .

إنَّ اسْتخدام هذا الأسلوب يسهل للإنسان وصوله للمعلومة الصَّحيحة إذا الْتزم بتوجيهات معينة، ووجِدت الآليات المثيرة كما في هذه القصة، حيث توصل قوم سَيدنا إِبْرَاهِيم إلى النتيجة الصحيحة دون أن يمليها عليهم امْلاء(٢)، ولذا حث علماء التربية على الاستفادة من هذا الأسلوب بوصفه أسلوباً يركِّز على قُدرات الشَّخص، ويجعله محوراً للعملية التَّعليمية؛ إذ يستند على إعطاء الطَّالب دوراً نشطاً من أجل اكتشاف المعلومة، وذلك عن طريق إثارة تفكيره وتفاعله معها، بدل تلقينه إياها، وتقديم المعلومات المُعلَّبة الجاهزة(٣) .

---

(١) سورة الأنبياء: (٥٨، ٦٧) .

(٢) ينظر: التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم ص ٩٣، ٩٤ .

(٣) تنتمية التفكير من خلال المنهج المدرسي، د/ رشيد النوري البكر ص ٢٥٨، ط: مكتبة الرشد، وقد أُجريت دراسة مقارنة على بعض الطلاب حول العالم، فتبيَّن أنَّ ذاكرة الشَّرقي أفضل- نظراً لكثرة ما يحفظ - من ذاكرة الغربي، وحين عرضت مشكلات تتطلَّب حلولاً كان الطالب الغربي أقدر على حلِّها؛ لأنَّه تعلَّم بطريقة أقرب إلى التفكير . ينظر: مدخل إلى التنمية المُتكاملة رؤية إسلامية ص ٧٩ .



وقد استعمل رَسُولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الأُسلوب؛ ليشحذ أذهان أصحابه، فتتهيأ للإصغاء لما يقوله لهم، فعن عَبْد اللهِ بْن عُمَر، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ، فَقَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ، قَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَ: هِيَ النَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا»(١) .

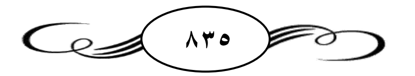
والدارس المُتبصر للقرآن يجد فيه آيات محفزة على مُمارسة عدد من مهارات التفكير، منها على سبيل المثال لا الحصر: مهارة الإصغاء، مهارة الربط بين المتشابهات، مهارة التفريق بين المختلفات، مهارة التتبع، مهارة الملاحظة، مهارة التصنيف، مهارة التفسير، مهارة النقد، مهارة البحث عن افتراضات، مهارة التلخيص.... الخ(٢) .

كل منا لديه طاقات هائلة، وذهن مرن، وقُدرة كبيرة على الاسْتكشاف، فكل مُخ إنساني يضم مائة بليون خليَّة مُخيَّة، ويُمكِن لكُلِّ عصبون أنْ يُقيم روابط مع آلاف أو عشرة الآلاف من العصبونات الأخرى، وفي كل ثانية يُقيم المُخ مليون رابط جديد؛ لذا بمُجرَّد أنْ نلتزم إزاء مشروع معيَّن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ٢٢/١ برقم ٦٢، ومسلم في صحيحه كتاب صِفَة الْقِيَامَة وَالْجَنَّة وَالنَّار بَاب مَثَل الْمُؤْمِن مَثَل النَّخْلَة ٢١٦٤/٤ برقم٢٨١١، واللَّفظ له .

(٢) ينظر: فن التَّفكير، رؤية إسلامية ، د/ أحمد البراء الأميري ص١٠، ١٩، ٢١ .



ونواظب عليه بالعمل والمثابرة، يمكننا أنْ نُحقِّق فيه تقدُّماً رائعاً وإنجازاً غير مسبوق[١] .

ثامناً: اللُّغة وأثرها في تجديد التفكير "تنمية المهارات اللُّغوية"[٢]:

لقد درس الباحثون في علم النفس العلاقة بين التفكير واللُّغة، ورأى بعضهم أنَّ اللُّغة عند الإنسان ليست وسيلة للتخاطب والاتصال فحَسْب، وإنَّما هي في الحقيقة النظام الأساسي الذي يستخدمه الإنسان في التفكير، واعتقد هؤلاء أنَّه بغير القوانين التي تحكم نقل المعاني المحسوسة والمجردة عن طريق الكلمات، لا يستطيع الإنسان أنْ يُكوِّن المفاهيم المجردة، وأن يستفيد من قدرته على التخيل والتذكر والإدراك الحسي في التعامل مع شتى الخبرات التي حدثت في الماضي، فيربطها بحاضره، ويستنتج منها ما يجب أنْ يفعله في مستقبل حياته، وما التفكير إلَّا استخدام هذه الرموز من خلال هذه العمليات المعرفية[٣] .

إنَّ اللُّغة وسيلة لتخزين الأفكار والمعلومات، ووسيلة لاسترجاعها من الذاكرة أيضاً، فنحن حين نودِع ذاكرتنا ما امتلكناه من معان نودِعه مُجسَّداً في كلمات وجُمل وتعبيرات وقصائد وحِكم وأمثال، فإذا ما أردتَ أنْ

---

(١) التفكير الابداعي، كيف تُكفر؟ ٥٠ لُغزاً تدريبياً للعقل لتغيير طريقة تفكيرك، تشارلز فيلبس ص ٨ .

(٢) للوقوف على معرفة مدى أهمية تأثير القرآن في تنمية مهارة اللُّغة يُراجع: الفروق بين الحافظين وغير الحافظين للقرآن الكريم في تنمية التحصيل الدراسي في اللُّغة العربية عند تلاميذ المرحلة المتوسطة بمدينة الوادي، سليم حمي، عبد اللطيف فارح ص١٤١: ١٦٢، جامعة الوادي، الجزائر، مجلة العلوم النفسية والتربوية، ٢٠١٦م .

(٣) ينظر: التفكر من المُشاهدة إلى الشهود ص ٢٧، ٢٨ .



تتذكَّر ما جرى بينك وبين فُلان من تبادل الأَفكار تحاول أنْ تتذكَّر جانباً من الجُمل والعِبارات التي سمعتها منه أو قلتها له، فاللُّغة هي التي أتاحتْ لنا فرصة الوعي بأفكارنا، ولولاها لكان ما في عقولنا عبارة عن خليط من التهويمات الغامضة والمُختلطة، ومنطقية الأفكار وترابطها يجعل استدعاءها من الذاكرة أسهل وأيسر، وكُلَّما كان الإنسان أكثر انْتِباهاً وحضوراً وقت اخْتزانها، صار الاسترجاع أسرع وأسهل، والعكس صحيح[1].

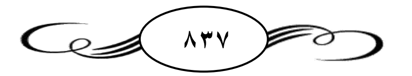
وكان من فضل الله على العرب والمسلمين، بل والبشرية أنْ اختار أعظم اللُّغات وأرقاها وأنضجها لدينه الحق الإسلام؛ لتكون لغة الوحي والعبادة، فمَّن الله على العربية بخصائص لا تتوفر في أي لُغة أُخرى، فقد اسْتكملت جميع المخارج الصوتية، وتوفر فيها جرْس موسيقي مُتميِّز، كما توفر فيها بناء وبيان متفرد، حتى جاء القرآن معجزاً كل الإعجاز .

إن للغة تأثيراً حقيقياً في تفكير الإنسان؛ إذ نمت في كل قوم نمواً تاريخياً مع نمو هؤلاء الأقوام، فارتبطتْ بتاريخه وبيئته ونفسيته وفكره، فشملت بذلك حياته وطبيعته؛ لذا جعل القرآن اختلاف اللُّغات آية من آيات الله، تدعو الإنسان إلى التبصر والتأمل، وتثير فيه حوافز شتى للتفكير، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ﴾[2] ، كما أنَّ إتقانها والتدرب المستمر على بيانها، واستخدامها صحيحة سليمة ضرورة هامة؛ لسلامة تلقِّي الفكر أو

---

(١) تكوين المُفكر خطوات عملية ، أ.د/ عبد الكريم بكَّار ص ٥٨، ط: دار السلام، الثانية، ١٤٣١هـ .

(٢) سورة الروم: (٢٢) .



إعطائه، والمُلاحظ في واقعنا المعاصر يجِد أنَّه قد ضعفت العربية بين المسلمين وغلبت العامية، وكانت أهم نتيجة لذلك هو اضطراب الفكر بين المسلمين، والذي تغذيه عوامل أُخرى كثيرة، لكن ضَعْف اللُّغة وتباينها سبب رئيس في اضطراب الأفكار والمذاهب، وتباين العواطف والتصورات، فتوحيد اللُّغة ضرورة لتوحيد الأُمَّة بأسرها، فما أحوجنا اليوم إلى وضوح الفكر ودقَّته، واللُّغة أساس لهذا الوضوح؛ إذ الإنسان تُصاغ نفسيته وعقله منذ اللَّحظة الأُولى في طفولته، وتُصاغ قدراته كلها أثناء نموه، وتلعب اللُّغة الدَّور الأكبر في ذلك[١]، ولذا امتنَّ الله على البشر بأنْ بعث كل رسول بلغة قومه؛ ليتمكن من إبلاغ دعوته ومخاطبة قومه فقال تَعَالَى: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[٢]

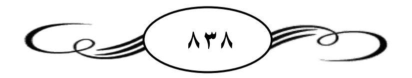
إنَّ الخبرة والثقافة التي تتعرَّض له عقولنا، والتي تعطينا القوام النهائي تنتقل إلينا عبر اللُّغة بكل التباساتها، وبكل قدرتها على التفريع والتنويع، ولهذا مراجعتنا للمفردات والأساليب التي نستخدمها، هي مراجعة لمقدماتنا الفكرية، وأساليب عمل عقولنا، لا سيما في مجال الاتصال بالنَّاس، وبين الأُمم والشُّعوب، خاصَّة في أوقات الأزمات[٣]، فعلى من يطمح من الشَّباب أنْ يكون من المفكرين الكِبار أنْ يجعل من اكتساب المهارات اللُّغويَّة عاملاً مهماً في تكوينهم المعرفي؛ ولذا يلفت القرآن أنظارنا في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسانَ * عَلَّمَهُ

---

(١) النهج الإيماني للتفكير ص ٢٥٩، ٢٦٦ باخْتصارٍ .

(٢) سورة الرعد، إبراهيم : (٤) .

(٣) خطوة نحو التفكير القويم ص ١٥٥ .



الْبَيانَ﴾[1] إلى أنَّ الله زوَّد الإنسان بنعمة البيان؛ ليتمكَّن بالكلام الواضح، واللُّغة المفهومة من التَّعبير عمَّا في مكنونه وضميره، ويقدر على استيعاب أفكار الآخرين .

وقد ثبت في الدراسات الحديثة التي قام بها علماء تشريح الدِّماغ أنَّ تحفيظ القرآن للنَّشء الجديد مع مراعاة أحكام التجويد النَّظرية والتَّطبيقية له فوائد دينية وتعليمية وتربوية، ويساعد في البرمجة اللُّغوية للدِّماغ، أو في تسمين العصبونات في المنطقة السمعية، وتفعيل وظائفها، وشحذ الذَّكاء اللُّغوي، وبناء شبكة الارتباطات اللُّغوية الدِّماغية وتوسيعها[2] .

وقد أخبر ربنا في القرآن أنَّه عندما أراد أنْ يهبط آدَم عَليه السَّلام على الأرض سلَّحه بأدوات العِلم؛ ليستطيع تمهيد الأرض وإعمارها، وكانت اللُّغة بلا شك إحدى هذه الأدوات، بل أهمها على الإطلاق، والتي بها يُعبر عن الأفكار والمشاعر المختلفة، فكان عليه أنْ يجتهد هو وذريته في فتح مغاليق هذا العلم، والكشف عن أسرار هذا الكون؛ وهذا لن يتحقَّق إلَّا باستخدام الإنسان لكل ما منحه الله له من ملكات عقلية وقدرات علمية[3] .

---

(١) سورة الرحمن: (١: ٤) .

(٢) التفكير والتعليم والذَّاكرة في ضوء أبحاث الدِّماغ، إبراهيم أحمد الحارثي ص١١٥، ط: مكتبة الشقري، الرياض، ١٤٢١هـ .

(٣) ينظر: هوامش على أزمة الفكر الإسلامي المعاصر ص١٢٢ بتصرُّفٍ .



من خلال ما سبق تبيَّن لنا أنَّ القرآن - كتاب الله المسطُور- قد حضَّ على تجديد التَّفكير بطرق ضمنية في عدد لا بأس به من الآيات، تكاد تشمل شتى مجالات الحياة، وأطلق للعقل عنان الحُريَّة للتَّأمل في الكِتاب المنظور المتمثل في الكون، وفتح أمامه آفاقاً رحبة من العمل المتواصِل الذي لا نِهاية له، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ(1)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: «تَفَكَّرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ»(2) .

وقد كان الأستاذ الكبير والأديب القدير/ عباس العَقَّاد على صواب عندما أطلق على أحد مؤلفاته عنوان: «التفكير فريضة إسلامية»، وكان الفيلسوف «ابن رُشد» على صواب أيضاً عندما اعتبر التفكير، أو ما أطلق عليه «النظر العقلي» في الموجودات واجباً شرعياً، وعلى الرَّغم من دعوة القرآن لتجديد التفكير حتى دعا على مَنْ ألغى عقله في الوصول إلى الإيمان بالله، فقال: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ * قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/٢٥٠ برقم ٦٣١٩، ط: دار الحرمين، القاهرة، والأصبهاني في العظمة ١ / ٢١٠ مرسلاً، ط: دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤٠٨هـ، والسَّخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ص٢٦١ وقال: «أسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح»، ت: أ.د/ محمد عثمان الخشت، ط: دار الكتاب العربي، الأولى، ١٤٠٥هـ . قُلتُ: لمعناه شواهد يحسن بها، والله أعلم .

(2) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٤٦ برقم ٦١٨، ط: مكتبة السوادي، جدة، الأولى، ١٤١٣هـ، وقال ابن حجر: «مَوْقُوفٌ وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ» . فتح الباري ١٣/ ٣٨٣ .



يُؤْمِنُونَ﴾[1] ، إِلَّا أَنَّ الواقع يُؤلِم حقًّاً؛ إذ التفكير يكاد يكون معطَّلاً في مساحة غير قليلة من حياتنا، وتجد البعض يخاف من ممارسته، الأمر الذي أغلق أمامهم فرص الإبداع والابتكار، والأعجب أنَّه إذا فُعِّل فإنَّ سماته الإسلامية قد تغيب وتختفي .

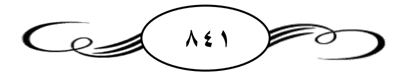
إننا اليوم بحاجة إلى إعادة بناء المنهج الإيماني للتفكير، ومعالجة مظاهر الخلل الواضحة فيه – حيث التَّغير الذي يشهده العالم اليوم لم يعد يترك للفرد وقتاً للتفكير الجاد المنهجي إلَّا عند مَنْ رَحِمَ ربي– ؛ ليتمَّ إعادة بناء علاقة المسلم مع ربه، وبناء وعيه للواقع؛ ليعي مسؤوليته المنطوة به على عاتقه، قبل أنْ يطويه الموت، فلا يجد فرصة لعلاج أو بناء أو إصلاح، كما يجب تدريب المسلم على التفكير الجيِّد منذ نعومة أظفاره؛ ليتكون لديه تفكير فطري سليم، تنمو بها أجهزة تفكيره من جهاز عصبي ودماغ وقلب وغير ذلك، يبدأ في ذلك دور الوالدين، ثُمَّ تأتي مرحلة دُور الرِّعاية والتربية، وكذا المجتمع ومؤسساته[2]، ففي ذلك حماية لهم من الانزلاق في مهاوي الانخداع بشعارات زائفة برَّاقة يطلقها أصحابها باسم الدِّين، ويقصدون من ورائها إلغاء دور العقل، وتعطيل المسيرة العملية والحضارية للأُمة، وبذلك يحققون ما يريدون من أهداف خفية، وأطماع ذاتية[3] .

---

(١) سورة يونس: (١٠٠، ١٠١) .

(٢) ينظر: النهج الإيماني للتفكير ص ١٢١، ١٢٢، ٣٢١ بتصرُّفٍ .

(٣) الحضارة فريضة إسلامية، أ. د / محمود حمدي زقزوق ص ٥٨ .



يقول بوازار: (إنَّ هناك إجماعاً على الجهر بأنَّه لا يمكن اعتبار الإسلام مسؤولاً عن جمود العالم الإسلامي الطويل، وانحطاطه الواضح، فحين كان المسلمون يحيون حسب إرشادات الدين التي تحض على التفكير، وتشجع الروح النقدي، أثبت الإسلام أنَّه حامل مَشْعل التقدم والرقي.)[1]

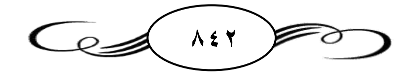
كما يلزم أيضاً تدريس مادة تعتني بالتفكير، وتساعد على تحسينه وتجديده، فالغرب يبذلون عناية فائقة في هذا الجانب، ففي فنزويلا فرضت حكومتها على طلاب مدارسها أن يدرسوا ساعتين في الأسبوع مادَّة سموها «مهارات التَّفكير»، ودربوا على تدريسها أكثر من مائة ألف مُعلِّم، ووضع لهم مقرر هذه المادة د/ «إدوارد دو بونو»[2]**، واسْتُخدِم هذا المقرر في عدة بلاد منها: كندا، بريطانيا، أيرلندا، أستراليا، نيوزيلندا**[3] **.**

---

(١) قالوا عن الإسلام ص ٤٤٧، وهو مارسيل بوازار، مفكر، وقانوني فرنسي معاصر، أَوْلَى اهتمامًا كبيرًا لمسألة العلاقات الدولية وحقوق الإنسان . ينظر ترجمته: علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام ص ٢٣.

(٢) هو طبيب وعالم نفس مالطي، من مواليد ١٩ مايو ١٩٣٣م، يكتب بشكل احترافي في التفكير الإبداعي، يعمل حالياً كمستشارٍ لدى العديد من الشركات العالمية، وفي جامعة كامبريدج، وجامعة بريتوريا، من مؤلفاته: قبعات التفكير الست، التفكير الجانبي كسر للقيود المنطقية . ينظر ترجمته: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا على النت .

(٣) ينظر: فن التَّفكير، رؤية إسلامية ص ٧، ٨ .



إنَّ الأمر جِد لا هزْل فيه، ولمْ يعد يحتمل التأخير من أجل تغيير الواقع المُحزن، وإنقاذ أُمتنا ممَّا يتهدَّدها، ولنستعيد مسيرةِ أسلافنا العِظام في العطاء الفكري المُتجدِّد بِلا حدود[١]، والتي يقول عنها جوليفة كستلو[٢]: (كان التقدم العربي بعد وفاة الرَّسُول عظيماً، جرى على أسرع ما يكون، وكان الزمان مستعداً لانتشار الإسلام، فنشأت المدنيَّة الإسلامية نشأة باهرة، قامت في كل مكان مع الفتوحات بذكاء غريب، ظهر أثره في الفنون والآداب، والشعر والعلوم، وقبض العرب بأيديهم خلال عدة قرون مَشْعل النور العقلي، وتمثلوا جميع المعارف البشرية التي لها مساس بالفلسفة، والفلك، والكيمياء، والطب، والعلوم الروحية، فأصبحوا سادة الفكر مبدعين ومخترعين، لا بالمعنى المعروف، بل بما أحرزوا من أساليب العلم التي استخدموها بقريحة وقَّادة للغاية، وكانت المدنيَّة العربية قصيرة العُمُر، إلَّا أنها باهرة الأثر، وليس لنا إلَّا إبداء الأسف على اضمحلالها .)[٣]

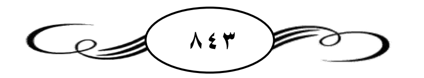
من هنا يتحتم علينا الانطلاق بلا تردد نجدد التفكير الإنساني؛ كي يلقى آذاناً صاغية، وقلوباً واعية، وبخلاف هذا سنبقى راضين بالتبعية والتقليد، والتخلف عن ركب الحضارة، تمر بنا مواكب الشعوب تحمل الراية والقيادة، وتمارس السيادة، ونحن نكتفي بإعلان الرفض

---

(١) مجلة الأزهر، جزء ١٠، سنة٩٠، عدد: شوال ١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م، مقال بعنوان: تجديد الفكر الدِّيني أ.د/ محمود حمدي زقزوق ص ١٩٤٣، ١٩٤٤.

(٢) جوليفة كستلو: مؤرخ فرنسي معاصر، صاحب كتاب «قانون التاريخ» .

(٣) الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، أبو الحسن النَّدوي ص٩٢، ط: دار الصحوة، الأولى، ١٤٠٦هـ .



والإنكار، وهذا مناف لتعاليم ديننا الحنيف وشرعنا القويم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]

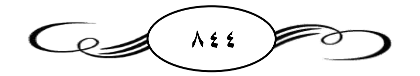
المطلب الثاني

التجديد في أسلُوب الحياة الزوجية

إنَّ الإنسان في العصر الحديث، وفي ظل المتغيرات التي يعيشها، ويلاحظها ليل نهار، أوجد عنده حالة من السَّآمة تجاه نمط الحياة الزوجية التي يحياها، فاحتاج إلى طرد الكآبة والروتين اليومي، وعلاج مشكلاته بحل جديد يقوم على كِتاب الله وسُنَّة نَبِيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما أنَّ كل شيء في الحياة تطاله الرتابة، يفقد بريقه وجماله شيئاً فشيئاً حتى ينطفئ بالكلية، ولا يبقى من وهج بريقه إلَّا مجرد ذكريات تتناثر هنا وهناك، فكذلك الحياة الزوجية حين تتراكم الأيام، وتتشابه تفاصيل الحياة، يسود الصمت والملل، رُغْمَ أن الحياة هادئة لا يعكر صفوها المشكلات .

والتجديد في الحياة الزوجية يعني: كسر نمطية الحياة بشيء جميل ومُبْهِج، وعلاج الخِلافات بأسلوب عصري جديد؛ إذ الحياة مهما كانت ثرية وسعيدة هي بحاجة ماسة لهذا التجديد، فلا معنى لانتظار رُكود الحياة حتى نبدأ في البحث عمَّا يجددها، ويعيد لها رونقها وتألقها، والإسلام علمنا كيف نعيش حياتنا، ونحول أعمالنا التي نعتادها إلى حسنات ندخرها لآخرتنا، والمستقرِء لحياة النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع زوجاته يجد فيها خير ما يمثل هذا التجديد الذي نفتقده اليوم في حياتنا، ولو عملنا بهذه السنن لساهمت في استقرار بيوتنا، وتقوية علاقتنا

(١) سورة الرعد: (١١) .



الزوجية, والمؤمنون مأمورون بالتأسي والاقتداء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أُمور حياته، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(١)

لقد عرف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف يتعامل مع النِّساء، مُراعياً الجوانب العاطفية والنفسية التي خُلِقن عليها، فحقق لهنَّ السعادة في أرقى صورها، رُغْمَ ضِيق العيش، وقلة ذات اليَد، ولو وقفتَ على ما كان يفعله معهن مِن ملاطفة وأشياء قد تبدو في الظاهر أنها صغيرة، لكن لو أمعنتَ النظر فيها لوجدتَ أنها قد تكون سبب سعادتهن في كثير من الأحيان؛ لِمَا لها من أثر نفسي على الزوجة التي تتحكم فيها العاطفة، لقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير البشر على الإطلاق لأهله؛ لذا فإنَّ معاشرته لهن لا بد أن تكون مثالية حقاً بكل ما تعنيه الخيرية، كما أوضحت ذلك كُتُب السُّنَّة والشمائل، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ»(٢) ، وقال أيضاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ لَهْوٌ أَوْ

---

(١) سورة الأحزاب: (٢١) .

(٢) أخرجه الترمذي في سُننه ٩/٥ برقم ٢٦١٢، بَابُ مَا جَاءَ فِي اسْتِكْمَالِ الإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وأحمد في مسنده ٢٤٢/٤٠ برقم ٢٤٢٠٤، وقال شعيب: «حديث صحيح لغيره»، والمناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٣٤٩، وقال: «بِإِسْنَاد حسن، لَكِن فِيهِ انْقِطَاع»، ط: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الثالثة، ١٤٠٨هـ.



سَهْوٌ، إِلَّا أَرْبَعَ خِصَالٍ: مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ، وَتَعْلِيمُ السِّبَاحَةِ»(١) .

فقوله: «وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ» يشمل جميع أنواع المُلاطفة سواء كانت مادية أو معنوية، القديمة منها والمُستحدثة، والتي تختلف باختلاف حياة البشر عبر الأزمنة والأمكنة .

وقوله: «وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ» دعوة للزوج إلى السَّعي في حُسن معاملة زوجته ولو بأبسط الأمور، المهم أن يكون بأشياء مفيدة، وأفكار متجدِّدة تتناسب مع طبيعة وظروف الرجل والمرأة .

ولو نظرتَ في قول الله: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِن بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَن يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(٢)، لوجدت أنَّ كلمة «الصُّلح» في قوله: ﴿يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً﴾، «إشارة إلى الدواء، الذي يمكن أن يقدم في مثل هذه الحالة لهذا الصَّدع الذي وقع بين الزوجين، وذلك العلاج هو أن ينشىء الزوجان بينهما مصالحة، وأن

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٤ / ١٧٤، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الرَّمْيِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والنسائي في السنن الكبرى ٨ / ١٧٦ برقم ٨٨٨٩، كتاب عشرة النساء، ملاعبة الرجل زوجته، واللفظ له، ط: الرسالة، الأولى، ١٤٢١هـ، والهيثمي في المجمع ٥/٢٦٩ برقم٩٣٩٠، وقال: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ وَالْبَزَّارُ، وَرِجَالُ الطَّبَرَانِيِّ رِجَالُ الصَّحِيحِ خَلَا عَبْدَ الْوَهَّابِ بْنَ بُخْتٍ وَهُوَ ثِقَةٌ» .

(٢) سورة النساء: (١٢٨) .



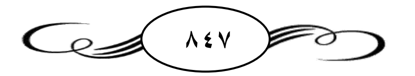
يعملا على ما يحقق لكل منهما بعض ما يطلب من صاحبه»[١]، ولفظ «الصُّلح» عام يشمل صوراً وأحوالاً كثيرة، ويتسع لمعان متعددة كما ذكرها الطاهر بن عاشور[٢]، ولا ريب أن تجديد أُسلوب المعيشة في ضوء إمكانيات الرجل جزء من هذا الصلح المطلوب، وعليه فإن التفكير في كيفية هذا التجديد والممارسة العملية باب خير كبير يحتسبه الزَّوجان عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

***وها أنا أسوق بعض الأفكار والأساليب لتعزيز العلاقة الزوجية، وإلقاء بعض لمحات الجمال عليها، والانتقال بها من الرَّتابة إلى الإثارة، وهذا يتطَّلب توافر الرَّغبة والاستعداد للعمل على تحقيق ذلك من جانب الطَّرفين وذلك من خلال الآتي :**

أولاً: التَّبصر بأسباب المشكلة الزَّوجية والتَّغير السُّلوكي: **وهما حليفان قويان، فلا يكفي أنْ يُدرك الرجل والمرأة الدوافع غير الواعية وراء الزواج؛ إذ التبصر بالمشكلة وحده لا يكفي لمعالجة جراح الطفولة، وكذلك لا يكفي أيضاً إجراء تغيرات سلوكية في العلاقة الزوجية بدون فهم للأسباب الكامنة وراء هذه السلوكيات، وأَنْجَح صُور العِلاج هي التي تجمع بين الاثنين، فكلما عرفتَ أكثر عن دوافعك غير الواعية، ثُمَّ قمتَ**

(١) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ٩١٧/٣، ط: دار الفكر العربي، القاهرة .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ٢١٥/٥، ط: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ .



بتحويل هذه المدركات إلى سلوكيات نافعة، استطعتَ أن تصنع من علاقتك الزوجية علاقة واعية مثمرة[(١)] .

إنَّ حياتنا الزوجية أشبه ببحيرة صغيرة، يَرفدها الناس بأعمالهم، فمنهم مَنْ يصب فيها ماء الورد من خلال العطاء والتسامح والحب، ومنهم مَن يلوثها بالمياه القذرة من خلال المعاصي والجَفَاء، ولكل واحِد منا أن يسأل نفسه: إلى أي الفريقين ينتمي؟[(٢)] .

ثانياً:التسامح حتى لا تتسع هُوة الخلاف والشقاق بين الزوجين: مع مراعاة المرونة في التعامل خاصة حال الجِدال، فيكون بصورة راقية دون تجريح بعضهما، ويجب عليهما معرفة كيفية العبور والتغلب على تلك اللحظات دون أن تترك أي مشاعر للكراهية، مع المحافظة على الابتسامة في أغلب الأوقات، بعيداً عن العبوس، ومظاهر الحِدَّة، يتنازل الرجل عن كبريائه، والمرأة عن عنادها، وليكونا كالأطفال ما أسرع أن يختلفوا، وما أجمل أنْ يصطلحوا، وقد أشار القرآن إلى حسن المعاشرة فقال: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[(٣)]، وقال أيضاً: ﴿وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[(٤)]

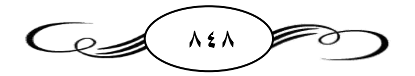
---

(١) كيف تحصل على الحُب الذي تُريده، دليل الأزواج، تأليف: أ.د/ هارفيل هندريكس ص ١٩١.

(٢) المسلم الجديد مقولاتٌ قصيرةٌ في بناء الذَّات، أ.د/ عبد الكريم بكَّار ص٩١، ط: دار السَّلام، الأولى: ١٤٣٢هـ .

(٣) سورة البقرة: (٢٣٧) .

(٤) سورة النساء: (١٩) .



مفهوم الاحتواء: من المعروف أنَّ الغضبَ هو تعبير عن الطاقة الحياتية، فعندما نكْتِم غضبنا فقد نمْرض أو نكتئب أو نغرق في حالة من الصَّمت، وإذا عبرنا عن غضبنا هذا فسوف نلحق أذى جسدياً ونفسياً بالآخرين، فالسؤال هنا هو: كيف يمكننا أن ننفس عن غضبنا دون إلحاق الأذى بمَن نحِب ؟

والإجابة تكمن في عملية تُسمَّى «الإحتِواء»، والتي من خلالها يتحول ذلك الوقود «الغضب» من قوة تدميرية إلى طاقة نافعة، فلا بد من التنفيس عن الغضب بجرعات محددة، وفي بيئة مناسبة، ومِن ثَمَّ تحويله إلى طاقة حياتية، وهذا التمرين يفرِض على الزوجين، ألَّا يُدمِّرا الأغراض الموجودة في البيت، أو أن يستخدما أي سُلوك عنيف، وأن يقتصر التمرين على إبدَاء ملاحظاته على السلوك لا على الشخصية، وهذا التمرين عبارة عن إجراء احتوائي يمتد لأربع وعشرين ساعة، يلعب كل منهما دور الشخص المحتوي، في حين يسمح الآخر بأن يخرج كل ما في ذاته من مشاعر غاضبة، ويكون على الشخص المحتوي أن يستمع، ويتفهم، ويواسي، ويدعم، دون أن يكون دفاعياً أو انتقادياً، أو أن يقابل مشاعر شريكه بمشاعر مماثلة[1]، ولو وقفت على سيرة خير الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوجدتَ هذا الأسلوب بصورة تطبيقية عملية؛ فعن أَنَس قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ عِنْدَ إِحْدَى أُمَّهَات الْمُؤْمِنِينَ، فَأَرْسَلَتْ إحدى أُمَّهَات الْمُؤْمِنِين بصحفة فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فجمع النَّبِيُّ فلق الصَّحْفة، ثمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ

(١) كيف تحصل على الحُب الذي تُريده ص ٢٥٩، ٢٦٣ .



الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفة، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَى بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فدفع الصَّحْفة الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ»[1] .

*خطوات مُستمدَّة من القرآن الكريم لمعالجة الخلاف بين الزوجين:

(١) تفهم الأمر هل هو خلاف أو سُوء فهم؛ إذ التعبير عن حقيقة مقصد كل واحد منهما، وعمَّا يضايقه بشكل واضح، يساعد على إزالة سوء الفهم، فربما لمْ يكنْ هناك خلاف من الأصل .

(٢) حصر الخلاف عن أنْ ينتشر بين النَّاس، وتحديد موضوع النِّزاع والتركيز عليه، وعدم الخروج عنه بذكر تجاوزات سابقة، أو فتح ملفات قديمة، ففي هذا توسيع لنطاق الخلاف .

(٣) لا تجعل الحقوق ماثلة دائماً أمام العين، فلا بُدَّ من التنازل عن بعض الواجبات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2]

(٤) الاعتراف بالخطأ عند استبانته، وعدم اللجاجة فيه، وينبغي للطرف الآخر شكره على فعل ذلك، بحيث لا يستعمل هذا الاعتراف أداة ضغط، بل يعتبرهِ من الجوانب المشرقة في حياتهما .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب الغيرة ٣٦/٧ برقم ٥٢٢٥ .

(٢) سورة البقرة: (٢٣٧) .



(٥) الصبر على الطبائع المتأصلة في المرأة كالغيرة، والرضا بما قسم الله لهما، والتكيف مع جميع الظروف والأحوال[١]، وقد بيَّن القرآن أنَّ الرجل والمرأة كلاهما سَتْر للآخر فقال:﴿هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ﴾[٢]، فكما أنَّ اللباس ستر يمنع أنْ يظهر منه السَّوأة، يجب عليهما ألَّا يفضحا بعضهما، وأن يعملا على سدِّ الخلل الواقع بينهما بكل وسيلة مُمكِنة، فكأن القرآن يريد أن يقول لنا: إنَّ الرجل حماية لزوجته من زعازع الدهر، وكذلك المرأة حماية لزوجها في أسراره وماله وأولاده وعِرضه، فلا يبرز أحد منهما عيوبه إلَّا على سبيل الإصلاح والتحسين، لا من باب التشهير والتجريح، فإنَّ هذا يتعارض مع هذا التعبير اللطيف، وعليه تكون العلاقة قائمة على جوٍّ من الصفاء والتواد والتمازج حتى يغدوان كشخص واحد وروح واحدة وقلب واحد[٣] .

(٦) لا يفترض كل منهما الكمال في الآخر، وإلَّا جلبا الشقاء والتعاسة لحياتهما؛ حيث لم يفهما طبيعتهما التي خُلِقا عليها، ولهذا أشار القرآن إلى أنَّ الزوجة مخلوقة من نفس الزوج: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها﴾[٤]، وهذا فيه

---

(١) رومانسيات في عش الزَّوجية، صفاء شمندي ص١٦٣،١٦٦ باختصارٍ، ط: دار المعرفة، الأولى،١٤٣١هـ .

(٢) سورة البقرة: (١٨٧) .

(٣) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي ٤٢/٢ ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٨هـ، والتفسير الحديث، محمد عزت دروزة ٣١٧/٦ بتصرف، ط: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ .

(٤) سورة النساء: (١) .



دلالة أنَّ المرأة من طِينة الرجل، فيها ما فيه من ضَعْف ونقص، فلا ينبغي أن يفترض فيها الكمال، والأمر كذلك بالنسبة له، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» أَوْ قَالَ: «غَيْرَهُ»(١) .

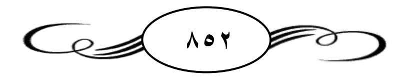
ثالثاً: لطف الحوار بين الزوجين والإصغاء الجيد: فالمحادثة الجيدة بينهما أمر حيوي لعلاقة مرضية، والكلمات العاطفية الدافئة الطَّيبة مفاتيح سحرية للسَّعادة، والتفنُّن فيها يضفي على حياتهما لمسة تجديد كل يوم؛ ولهذا أجاز الإسلام الكذب في هذا الأمر، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَا يَحِلُّ الكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالكَذِبُ فِي الحَرْبِ، وَالكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ»(٢) .

والملاحظ أن الحوار الهادئ من الأشياء القليلة بين الأزواج، فأغلبهم يميلون إلى استخدام قوامتهم في إنهاء أي حوار بينهم وبين زوجاتهن، لكن بالحوار لا شك أن المرأة ستتجدد لديها آمال تفيض أثرها عليهما، وكذا الزوج سيشعر بالتغيير حيث وجد من زوجته تفهماً للأوقات التي يرغب بالمناقشة فيها، ورأى تغيراً حقيقياً يلمسه في المواقف

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كِتَاب الرِّضَاعِ بَاب الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ ١٠٩١/٢ برقم ١٤٦٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَاب تَحْرِيم الْكَذِب وَبَيَان مَا يُبَاح مِنْهُ ٤ / ٢٠١١ برقم ٢٦٠٥، والترمذي في سننه ٣٣١/٤ برقم ١٩٣٩، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» ، واللفظ له، وأحمد في مسنده ٤٥/ ٥٨٢ برقم ٢٧٦٠٨ .

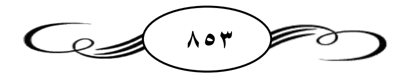


والأفكار، بحيث يشعر معه بجدوى النقاش وحيويته، ويتجسد هذا في مفاجأة كل طرف للآخر بتغير رأيه حيال بعض المسائل أو العادات .

إنَّ سِيادة الحوار بينهما والإصغاء الجيد وسيلة رائعة لتبديد الملل، والتخلص من رتابة أساليب الأمر والنهي السائدة في بعض البيوت، والذي يفضي إلى حالة الخرس الزوجي، لكن الأمر يتطلب منهما أنْ يهجرا بعض العادات المتأصلة فيهما، وأن يبدأ كل منهما انْتِهاج طرائق جديدة في التواصل مع بعضهما، وفي أغلب الأوقات سوف يشعران بأنهما مرغمان على هذا الأمر، ولكم مع بداية جني الثمار سوف تقل نسبة مقاومتهما، وتكون حياتهما قد وصلت إلى درجة الاتفاق لا التضاد(١) .

رابعاً: قائمة السلوكيّات المرحة: وهو عمل برنامج ولو شهري للخروج مع الزوجة للنزهة والمَرَح، وكسر الروتين اليومي، والتفكير في أنشطة جديدة يمكن ممارستها سوياً، كتناول وجبة العَشاء في جو رومانسي يسوده الطمأنينة والسعادة، والسير معاً خارج المنزل كل على حسب ميوله وإمكانياته، وممارسة بعض الرياضات معاً؛ فهي تساعد على تنشيط الدورة الدموية، وتضيف روحاً خاصة للعلاقة العاطفية بين الزوجين وغيرها من الأنشطة العفوية، الأمر الذي يترتب عليه أن يرى كل منهما الآخر كمصدر للمتعة، وهذا الأمر الذي من شأنه تعزيز رابطتهما العاطفية، وقد فعل ذلك سيِّد الخَلق مع زوجاته، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَطَارَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ فَخَرَجَتَا مَعَهُ

(١) ينظر: كيف تحصل على الحُب الذي تُريده ص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٢ .

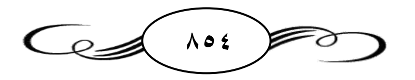


جَمِيعًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ، سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ مَعَهَا»[١]، وعَنْ عَائِشَةَ أيضاً قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ» فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ» فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بِتِلْكَ»[٢] .

فما أحوجنا إلى هذا الهدي النبوي خاصة في هذا العصر الذي نسي الأزواج كيف يمارسون المرح معاً، وقد توصل بعض العلماء إلى أن معدل الزمن الذي يقضيه الأزواج في اللعب أو الضحك معاً لا يزيد على حوالي عشر دقائق في الأسبوع، كما اكتشف إخصائيو علم العقاقير النَّفسي أنَّ الزوجين المحبين يكونان سُكارى بالحب حقيقة لا مجازاً؛ حيث تتدفق بعض الهرمونات والمواد الكيميائية لتملأ أجسادهم بشعور طيِّب، وخلال مرحلة الانجذاب يُطْلِق المُخ «الدُّوبامين» أو «النوربين فيرين» وهما من المواد الكيميائية الموجودة في الجسم، والتي تعمل كناقلات عصبية تساعد على إضفاء ظلال وردية على الحياة، وهي العملية التي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب القرعة بين النساء إذا أراد سفراً ٣٣/٧ برقم ٥٢١١، ومسلم في صحيحه كتاب فَضَائِل الصَّحَابَةِ بَاب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ ١٨٩٤/٤ برقم ٢٤٤٥ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٣ /٢٩ برقم ٢٥٧٨، وأحمد في مسنده ٣١٣/٤٣ برقم ٢٦٢٧٧، وابن حبان في صحيحه ١٠/ ٥٤٥ برقم ٤٦٩١، وقال شعيب: «إسناده صحيح» .



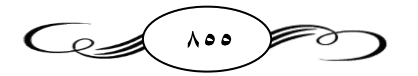
تصحبها ظواهر مثل ازدياد النبْض، وزيادة الطاقة، والإحساس بتحسن الإدراك، وخلال تلك المرحلة التي يكون فيها لدى الزوجين رغبة في قضاء كل لحظة من لحظات اليوم معاً، فإن المخ يزيد من إنتاجه للإندورفينات وهي المسكنات الطبيعية، ممَّا يعزز من إحساس المرء بالأمان والسكينة، ومع ذلك فإن العلماء لم يستطيعوا أن يشرحوا لنا ما الذي يسبب إطلاق هذه المواد الكيماوية، أو ما الذي يُقلِّل إنتاجها، غاية ما توصلوا إليه هو إثبات حقيقة أن «الحب الرومانسي» هو عملية فيزيائية لها مكونات بيولوجية يمكن قياسها(١)، وصدق الله حيث قال: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢)

خامساً: تغيير شكل وأسلوب العلاقة الحميمة: ممَّا يعود بالإثارة، ويدفع الملل، وينشر السعادة بينهما، فأي عَلاقة بين الطرفين إنَّما هي نتاج لمجهود ورغبة الطرفين معاً، وليس كما يعتقد البعض أن المسئول عنها المرأة فقط، وإنْ كان لها الدور الأكبر في ذلك؛ لما لديه من قدرة على التغيير والإغراء، إلَّا أنَّ دور الرجل لا يُمْكِن إهماله أو إغفاله، فعليهما أنْ يعملا على جذب انتباه الآخر، ويحاولا التجديد من أنفسهما حتى لا ينظرا إلى ما حرمه الله عليهما .

---

(١) كيف تحصل على الحُب الذي تُريده ص ٨٩، ٩٠، ١٨٦ .

(٢) سورة الروم: (٢١) .



وانظر في قوله تَعَالَى: ﴿نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، تجد أنَّ قوله: ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ إطلاق لأي قيد في اتِّصال الرَّجل بزوجه، بعد أنْ يلتزم الحدود التي بيَّنها الله، وهو ألَّا يُباشرها إلَّا بعد أن تطهر من الحيض، ثُمَّ أن تكون المباشرة فيما ينفع ويثمر(٢)، فلفظ: ﴿أَنَّى﴾ في الآية مَعْنَاهُ عِنْدَ الْجُمْهُور مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْفَتْوَى: «مِنْ أَيِّ وَجْهٍ شِئْتُمْ مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَة»، كما نَصَّ على ذلك غير واحد منهم(٣)، فيكون المُستفاد حينئذٍ تعميم الجِهات من القُدام والخلف، والفوق والتَّحت، واليمين والشمال لا تعميم مواضع الإتيان، فلا دليل في الآية لمن جوَّز إتيان المرأة في دبرها(٤).

إنَّ الآية فيها إشارة إلى تجديد إتيان الزوجة بأي كيفية كانت، لكن بشرط أن تكون في نطاق الحلال الذي أباحه الله، وقد ذكر أهل التَّخصص في هذا الفن أنَّ من «الأساليب التي تجدي دائماً في وضع حد للملل الجنسي بين الزوجين تغيير أماكن الجماع، والظروف المحيطة به كالإضاءة ولون الفِراش، وتغيير الأوضاع الجنسية التي يجامع الزَّوج بها زوجته؛ إذ لا يمنع- غالباً- من وجود بعض أوضاع الجماع المُملَّة

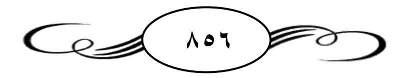
---

(١) سورة البقرة: (٢٢٣) .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٦/ ٤٢٢، وأحكام القرآن للجصاص ١/ ٤٢٥، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥هـ .

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٢/ ٤٢٩، والجامع لأحكام القرآن ٩٣/٣ .

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص ١/ ٤٢٦، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٥٠٨/١، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥هـ .



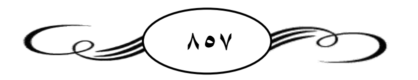
والمُؤلمة لكِلا الزَّوجين، كما أنَّ هناك أوضاعاً محرَّمة شرعاً كالمعاشرة في الدُّبر، بل إنَّ هناك بعض الأعراض التي قد يتصوَّر البعض أنَّها خطيرة مثل سُرعة القذف لدى الرِّجال، أو البرود الجنسي عند النِّساء، يمكن التغلُّب عليها بتغيير وضع الممارسة الجنسية بين الرَّجل وزوجه، كما أنَّ هناك أوضاعاً تُناسب الحوامل، وأوضاعاً لمرضى آلام الظهر والعمود الفقري، وأوضاعاً تناسب مرضى القلب، ومَن يُعانون من الإرهاق والضَّغط العصبي، والحقيقة أنَّ هناك «مائة وخمسين» وضعية للجماع الجنسي بين الرَّجل وزوجه يُمكن تطبيقها، أو اختيار المُناسب منها للحصول على النَّشْوة الجنسية بين الزَّوجين، ويلزم لتحقيق ذلك والوصول إليها البَدء بالغزل والتَّقبيل وغير ذلك»[1] .

والمدقق في ذلك يجد أنَّ الآية السالفة قد أشارت إلى ذلك كله بطريقة إجمالية في قوله: ﴿أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾، وتركت تفاصيل ذلك تبعاً لحياة الناس في كل زمان ومكان؛ لكن شريطة موافقته للشريعة، وفي نِطاق ما أحل الله لعباده، مُستخدمة في ذلك لُغة راقية عفيفة، قلَّما تجدها في غير القرآن خاصة في هذا النَّوع من العلاقات، رابطة ذلك بتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ .

سادساً: قائمة السُّلوكيَّات المُفاجئة: إنَّ من المُثيرات المُحببة للنفس تفقد فعاليتها إذا ما أخذت في التكرار بشكل مُطْرد، وعلى النقيض من ذلك تخلق الهبات العشوائية حالة من الترقب والتشويق، فمثلاً عندما يتبادل

---

(١) فنون في غُرفة النَّوم، محمد حسَّان، محمد السَّعيد ص١٧١، ١٧٢، ط: شركة ومكتبة ألفا، الجيزة، الأولى، ١٤٢٦هـ .

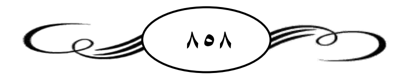


معظم الأزواج الهدايا في مناسبات خاصة فقد يُعجب أحدهما بالهدية، أو يستمتع باقتنائها إلَّا أنَّه لن يكون لها نفس التأثير العاطفي الذي يكون للهدايا غير المتوقعة، ويعتقد علماء السلوك أن السبب في هذا أن النظام النفسي أصبح متبلداً تجاه المُتع المتكررة، فعندما يتقيد الزوجان بنمط محدد من أنماط السلوكيات يقل مدى استمتاعها بهذه السلوكيات بالتدريج، ولإضفاء عنصر التشويق هذا هناك تمرين «قائمة المفاجآت»، وهو عِبارة عن بعض السلوكيات التي تهدف إلى رعاية الزوجين لبعضهما البعض، إلَّا أنَّ تلك السلوكيات تتعدى مطالب كل منهما، وعندما يضيفا هذه السلوكيات غير المتوقعة إلى البرنامج اليومي لعلاقتهما، فإنَّ التحسن يستمر في حياتهما[1]، وقد صدق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»[2] .

إنَّ الهدية إذا قدمت للمرأة من زوجها أو العكس بشكل مفاجىء لها مفعولها العجيب، فتكون بداية جيدة لصناعة لمسة لطيفة بين الطرفين، حيث ينعم المُعطِي بنعمة القدرة على العطاء والوفاء، وإسعاد زوجه، وينعم الآخذ بمشاعر الود والحب واللطف والتقدير من شريك حياته، وليراعى في اختيارها حسن مناسبتها للطرف الآخر، ووقت وطريقة

(١) كيف تحصل على الحُب الذي تُريده ص ١٨٣، ١٨٥ باختصارٍ.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بإسناد حسن ٢٠٨/١ برقم ٥٩٤، ط: دار البشائر الإسلامية، الثالثة، ١٤٠٩هـ، والمناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ١ / ٤٥٧، وقال: «بِإِسْنَاد جيد»، وقال ابن عبد البر: «وَهَذَا يَتَّصِلُ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى حِسَانٍ كُلِّهَا». التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢١ / ١٢، ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ .



تقديمها، فإن كل ذلك ممَّا يضاعف تأثيرها في نفس المُهدَى إليه، ولو وقفتَ على قصة خَلِيل الرَّحمن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام مع زوجه سارَّة، وما كان من بشارتهما بِإِسْحَاق ويَعْقُوب عَلَيْهِما السَّلَام، حيث أثر فيهما ذلك تأثيراً كبيراً، وأضفى على حياتهما الزَّوجية حالة من التَّغيير المُفاجىء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾(١)

سابعاً: **تجديد المظهر والشكل والنظام اليومي**: ولو بأشياء بسيطة؛ بأنْ تُغيِّر الزَّوجة مثلاً نمط ملابسها، وتستخدم قطعة إكسسوار، ولتكن قدوتها في هذا السيدة عَائِشَةَ فقد كانت ترتدي القَلائِد، وتُنوِّع في ألوان ثيابها، فعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ، فَأَرْسَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا فوجدوها(٢) .

وعلى الزَّوج أيضاً أنْ يمهلها ويُعطيها فرصة حتى تتزين وتتجمَّل له، فعَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي غَزَاةٍ، فَلَمَّا أَقْبَلْنَا تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ خَلْفِي، فَنَخَسَ بَعِيرِي بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَانْطَلَقَ بَعِيرِي كَأَجْوَدِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الْإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ، فَقَالَ: «مَا يُعْجِلُكَ يَا جَابِرُ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، فَلَمَّا قَدِمْنَا

---

(١) سورة هود: (٧١، ٧٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب استعارة الثياب للعروس وغيرها ٢٣/٧ برقم ٥١٦٤، ومسلم في صحيحه كِتَاب الْحَيْض بَاب التَّيَمُّم ١ / ٢٧٩ برقم ٣٦٧ .



الْمَدِينَةَ، ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، فَقَالَ: «أَمْهِلُوا حَتَّى نَدْخُلَ لَيْلًا – أَيْ عِشَاء – كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ(١)، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ»(٢) .

كما يجب على الزوج أيضاً أن يتزيَّن ويتجمل لزوجته، سُئِلتْ عَائِشَةَ، قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: «بِالسِّوَاكِ»(٣) ، وقد ذكر بعض أهل العلم فائدة ونكتة علمية دقيقة قالوا: لعلَّ الْحِكْمَة فِي ذَلِكَ أَنَّهُ رُبَّمَا تَغَيَّرَتْ رَائِحَةُ الْفَم عِنْدَ مُحَادَثَةِ النَّاس، فَإِذَا دَخَلَ الْبَيْت كَانَ مِنْ حُسْنِ مُعَاشَرَة الْأَهْل إِزَالَةُ ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيث دَلَالَة عَلَى اسْتِحْبَابِ السِّوَاك عِنْدَ دُخُول الْمَنْزِل، وَقَدْ صَرَّحَ بِهِ أَبُو شَامَةَ وَالنَّوَوِيُّ(٤) ، فانظر إلى هذا الهدي النبوي وما عليه بعض الرجال اليوم؛ إذ تشم منه رائحة كريهة عفنة كالتدخين وإهمال الشعر ... الخ ، فأين هو والتجمل ؟ فالخير كل الخير في امتثال المنهج الإسلامي في التزين

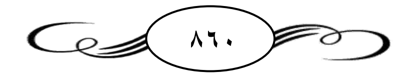
---

(١) «الشَّعِثَةُ»: لِأَن الَّتِي يغيب زَوجهَا فِي مَظَنَّة عدم التزين، وَقيل: منتشرة الشَّعْر مغبرة الرَّأْس، «تَسْتَحد»: تسْتَعْمل الحديدة فِي إِزَالَة الشَّعْر، «الْمُغِيبَةُ»: من أغابت الْمَرْأَة إِذا غَابَ زَوجهَا فَهِيَ مغيبة . ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١٢٣/٩، ط: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، وشَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم ٤/ ٦٧٦، ط : دار الوفاء، مصر، الأولى، ١٤١٩هـ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب تزويج الثيبات ٥/٧ برقم ٥٠٧٩، ومسلم في صحيحه كتاب الرضاع بَاب اسْتِحْبَاب نِكَاح الْبِكْر ١٠٨٨/٢ برقم ٧١٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كِتَاب الطَّهَارَة بَاب السِّوَاك ٢٢٠/١ برقم ٢٥٣ .

(٤) حاشية السندي على سنن النسائي «مطبوع السنن» للسيوطي ١٣/١، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الثانية، ١٤٠٦هـ .



والاهتمام بالمظهر، وهو حق شرعي للمرأة، وسبب أكيد في كسب قلبها وحبها, فالنفس جُبِلت على حب النظافة، وجمال الهيئة والشكل .

وعليها أيضاً أن تجدد في مظهر بيتها، وتضيف بعض اللمسات الفنية والإبداعية البسيطة، فالسيدة عَائِشَة اشْترت نُمْرُقَة بسيطة كي يجلس عليها الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن عَنْ عَائِشَةَ، «أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفْتُ، أَوْ فَعُرِفَتْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ فَمَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ، تَقْعُدُ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدُهَا ...»[١] ، فالحديث يُشير إلى الفُرُش التي بها تصاوير، وبمفهوم المُخالفة[٢] أن الفُرش التي ليس بها تصاوير لا شيء فيها، فالزوجة لو صنعت أو اشْترتْ شيئاً تدخل به الفرحة والبهجة على زوجها، فما أجمله من صنيع أن يشعر الرجل باهتمام زوجه به .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس باب من كره القعود على الصورة ١٦٨/٧ برقم٥٩٥٧، ومسلم في صحيحه كتاب اللِّبَاس وَالزِّينَة بَاب لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ ١٦٦٩/٣ برقم ٢١٠٧ ، واللَّفظ له .

(٢) «مَفْهُومُ الْمُخَالَفَة»: مَا يَكُونُ مَدْلُول اللَّفْظ فِي مَحَلِّ السُّكُوت مُخَالِفًا لِمَدْلُولِهِ فِي مَحَلِّ النُّطْقِ . ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٦٩/٣، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، وشرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه لسعد الدين التفتازاني ١/ ٢٦٦، ت: زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٦هـ .



ولو قام الرجل بتجهيز طعام الإفطار لزوجه، وتهيئة جو مريح، فيتم بدأ اليوم بشكل مختلف، ويكون ذلك بداية التغيير المنشود والتجديد المطلوب، وهذا يترك أكبر الأثر في نفس الزوجة أو كليهما معاً، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُئِلْتُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ(١)، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ»(٢)، وفي رواية: «وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ».(٣)

من خلال ما سبق تبين أنَّه يجب على الزوجين أن يعملا على إضفاء روح المرح في جو الأسرة، وأن يعملا على قتل الروتين في حياتهما، في مأكلهما ومشربهما، بل في جل أمور حياتهما بكل السبل والوسائل المشروعة، كما ظهر لنا بجلاء مدى الفرق بين نظرة الإسلام إلى تجديد الحياة الزوجية، وما هو مُسطرٌ في الكتب الأجنبية، والتي تخلو

(١) «يَفْلِي ثَوْبَهُ»: يَنْظُرُ فِي الثَّوْبِ هَلْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقَمْلِ؟ ، أو يَلْتَقِطُ الْقَمْلَ . مختار الصحاح ص ٢٤٣، لسان العرب ١٥/ ١٦٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤٣/٢٦٣ برقم٢٦١٩٤، وقال شعيب: «حديث صحيح»، وأبو يعلى في مسنده ٨/٢٨٦ برقم ٤٨٧٣، وقال محققه: «إسناده صحيح»، ت: حسين سليم أسد، ط: دار المأمون للتراث، الأولى، ١٤٠٤هـ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٧ / ١٥٨، وقال: «هذا حديث صالح الإسناد»، ط: الرسالة، الثالثة، ١٤٠٥هـ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤١ / ٣٩٠ برقم ٢٤٩٠٣، وابن حبان في صحيحه ١٢/٤٩٠ برقم ٥٦٧٧، وقال شعيب: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، والمناوي في التيسير ٢ / ٢٧٤، وقال: «إسناده صَحِيح»، وقَالَ الْعِرَاقِيّ: «رِجَاله رجال الصَّحِيح» . المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ص٨٤١، ط: دار ابن حزم، بيروت، الأولى، ١٤٢٦هـ .



في كثير من الأحيان من الأمثلة الحقيقية الواقعية, ولا تعدو أن تكون شعارات على الورق، وتعجز أكثر الكتب مَبِيعاً في هذا الشَّأن أنْ تبلغ ما بلغه نبي الرحمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ضرب أروع الأمثلة في ذلك، ممَّا يعجز القلم عن تسطيره وتحبيره، فما ذكرته هنا إنَّما هو غَيْضٌ مِنْ فَيْض، أحْبَبتُ أن أهمس به في أُذن كل زوج وزوجة؛ لتنبثق الآمال بينهما، وتنضر جوانب المعيشة معاً في جو يسوده المشاعر الفياضة ممَّا يعود بالإيجاب والعطاء على أُسرتهما خاصة وعلى مجتمعهما عامة ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

✍ المطلب الثالث

التجديد فِي أساليب الدَّعوة إلى اللّه تَعَالَى

المستقرء للقرآن يجد أنَّه دعا ضِمناً في كثير من آياته إلى التجديد في أسلوب الدعوة، فعندما يستعرض القارىء رِسالات الْأَنْبِيَاء –عَلَيْهِمُ السَّلَام– يجِد أنَّهم دعوا أقوامهم بأساليب وطُرق مختلفة، حيث أتى كُل نبي بما هو جديد ومُعْجِز في بابه؛ ليُناسِب حال مَنْ أُرسِلَ إليهم، فصَالَح عَلَيْه السَّلَام أتى بمعجزة الناقة؛ لتتناسب مع بيئة قومه آنذاك، ومُوسَى عَلَيْه السَّلَام جاء بمعجزة العصا واليَد ... الخ؛ لمَّا بلغ السِّحر في عهده مبلغاً عظيماً، وجاء عِيسَى عَلَيْه السَّلَام بآية إحياء الموتى وشِفاء الأعمى والأبرص في زمن تقدم الطب فيه وبلغ ذروته، وسيدنا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى بمُعجزة القرآن في عصر بلغت الفصاحة والبيان أزهى وأرقى عصورها، وهكذا استخدم كل نبي منهم الوسائل بكافة أنواعها ومختلف أشكالها على حسب طاقتهم وإمكانيتهم .



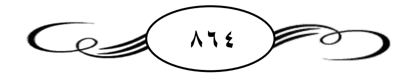
ولو استقرأت أيضاً خطاب المكي والمدني في القرآن[1] لوجدتَ أنَّ فيه إشارة إلى تنويع أسلوب الدعوة؛ حيث راعى طبيعة المرحلة التي كان يعيشها المسلمون آنذاك، ففي مكة كانوا يعانون صدود المشركين ومقاومتهم، وفي المدينة بنوا الدولة، وقاوموا مكر اليهود، وتآمر المنافقين.

كما أنَّ القُرآن لم يجعل وسائل الدَّعوة محصورة في شيء معيَّن لا يُمكن تجاوزه، بل وضَعَ الإطار العام لمنهج الدعوة ووسائلها، حيث قَالَ جَلَّ شَأنه: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2]، فالآية قد ذكرت أنَّ من وسائل وأساليب الدعوة إلى الله «الْحِكْمَة» والتي تعني وضع الأشياء في مواضعها السليمة؛ كي تحقق أهدافها وأغراضها المطلوبة منها، دُون التقيد بأفعال هذه «الْحِكْمَة»؛ إذ تختلف من ظرف إلى آخر في تطبيق تلك الأحكام، ولكنها حتماً مناسبة ومحكمة على حكمها الخاص بها، تبعاً لاختلاف الزمان والمكان والأحوال والأشخاص، وتتنوع معانيها حسب استعمالاتها، وحسب تنوع المهارات

---

(١) إنْ شئتَ فأقف على خصائص وضوابط المكي والمدني في كُتب علوم القرآن. ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ١٨٧، ط: دار إحياء الكتب العربية، الأولى، ١٣٧٦هـ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٦٨/١، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٣٩٤هـ .

(٢) سورة النحل: (١٢٥) .



والوظائف العقلية والنفسية والجسدية التي يجب على الإنسان أن يمارسها، فهي تجعله يميز بين الصواب والخطأ، والنافع والضار[1] .

ولا يفهم من هذا أنَّ «الْحِكْمَة» لا تقبل التطور والتغيير، ومِنْ ثَمَّ يكون المنهج الدعوي مثلها، فالآية قطعية الثبوت، لكنها ظنية الدَّلالة[2]، وتلك الظنية تتيح لنا تطوير المنهج الدعوي، وتطويع خاصية الحكمة الأساسية فيه، و«الْحِكْمَة» موهبة فِطْرية يؤتيها الله من يشاء مِن عباده كما قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[3]، ومواهب الإنسان الفطرية يُمكِن إضعافها بالتربية السيئة، ويمكن صَقْلها وتنميتها بالتربية الجيدة، والممارسات الدائمة، وهي موجودة لدى البشر، لكن مع فروق فردية بحيث تتفاوت تفاوتاً شديداً فيما بينهم، فاختُص أصحاب الحِكمة منها بلقب «الْحُكماء»، وهؤلاء هم الذين يستطيعون فهم القرآن والسُّنة، وفيهما منهج الدعوة، وتنمية تلك الموهبة إنما يكون بالتحصيل والتدريب، ومِن ثَمَّ يبرزون في تجديد مناهج الدعوة،

---

(١) ينظر: التربية في عهد الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نشأتها وتطورها، د/ حامد سالم عايض الحربي ص٥٩، ٦٠ ، ط: رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السنة السابعة عشرة، عدد ١٨٦، ١٤١٩هـ .

(٢) «قطعية الثبوت، ظنية الدَّلالة»: أي ثبت بالدلائل العلمية، والحُجج العقلية، والبراهين المنطقية أنَّها كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، لكنها تحتمل التفسير على أكثر من وجه كقوله تَعَالَى: ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ ، فلفظ: «الْقُرْء» يحتمل معنى الطُّهر، أو الْحَيْض . ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٥٠، ط: دار الكتب العلمية، الثالثة، ١٤٢٤هـ، وأحكام القرآن الكريم للطحاوي٢/ ٣٧٢، ط: مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول، الأولى، ١٤١٨هـ .

(٣) سورة البقرة: (٢٦٩) .



وقوله تَعَالَى: ﴿خَيْراً كَثِيراً﴾ يُمكِن أنْ يتسع لكل فكر سديد، وعمل جديد مفيد للدعوة، من هنا ندرك أنَّ «الْحِكْمَة» تقبل التجديد بما يناسب حال المدعوين اليوم وغداً وبعد غد، وهذا يفتح المجال أمام الدعاة لاستخدام كل وسيلة ممكنة لنشر دين الله، ويتفق مع كون لفظ «الْحِكْمَة» ظني الدلالة، وكذا قوله تَعَالَى: ﴿خَيْراً﴾[(١)]، و«الْحِكْمَة» تستلزم ما يلي:

(١) استيعاب الأدلة العلمية المقنعة، والبراهين العقلية الساطعة؛ خاصَّة عند دعوة قوم يُؤمنون بالعلوم التجريبية، وتسيطر عليهم الفلسفة المادية والحِسية .

(٢) أنْ نُحدِّث كل قوم بما يناسبهم وواقعهم ومشكلاتهم ومستوياتهم وآلامهم وآمالهم، فيكون الخِطاب الديني مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمشاغل الأُمَّة لا ينفصل عنها، وفي الوقت ذاته يجب ألَّا يسمح للتَّوجهات السائدة أن تجرفه بعيداً عن مبادىء الإسلام ومقاصد شريعته .

(٣) الرفق بتبني منهج التيسير في الفتوى، والابتعاد عن خطاب التنفير، والاتجاه لخطاب التبشير في الدَّعوة إلى الله، فيكون الخطاب الديني جامعاً بين الترغيب والترهيب .

(٤) ترتيب الأُصول والأولويات، ثُمَّ ندعو إلى الفروع كالتَّدرج من العقائد والأخلاق إلى باقي أحكام الإسلام .

---

(١) ينظر: قضية تطوير الخطاب الديني، تطوير الدعوة إلى الإسلام، د/ أحمد عبد الرحمن ص١٩٣: ١٩٥، ط: مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى،١٤٣٠هـ .



(٥) إشاعة خطاب الكليات، والبعد عن خطاب الجزئيات المؤدية إلى التناحر، وإشاعة خطاب التعاون والاتفاق، ومجابهة خطاب التنافر والاختلاف، فالقيم لا تُفرض على النَّاس فرضاً، لكنها تجذبهم إليها جذباً، فيتمثلونها ويستجيبون لها عن طيب خاطر(١) .

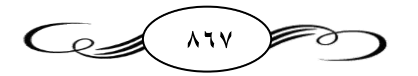
(٦) تعميم «الْحِكْمَة» لتشمل جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية؛ لتسدَّ الفراغ الذي أوجده دُعاة التشدد والتَّنطع في هذا العصر، ولكي يشعر المسلم بالراحة النفسية من خلال تطبيقه لأحكام دينه، وهذا يُحسن من صورة الإسلام، وتقديمه في صورته الحضارية الربانية التي تهتم بالروح والمادة والواقع معاً، وتسعى لتوفير ذلك للبشرية جَمْعَاء(٢) .

كما ذكرت الآية أسلوباً آخر من أساليب الدَّعوة ﴿وَجادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: الأفضل والأرقى والأسمى، ومنه اختيار الجوامع المشتركة مع المخالفين وهي كثيرة منها: مواجهة موجة الإلحاد والإباحية، والجريمة، وتلوث البيئة، وعدم تجاهل الكوارث الإنسانية، والحث على

---

(١) ينظر: واقع الخطاب الديني المعاصر، مقاربة في الوصف والحل، أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد ص ٤٧، ٤٨، من منشورات المنظمة العالمية لخريجي الأزهر الشريف، سلسلة تفنيد الفكر المتطرف «١٩»، جامعة الأزهر، مدينة نصر، والخطاب الإسلامي الواقع والتجديد«رؤية معاصرة» ص١٨١ .

(٢) البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية، د. سالم محمد أبو الفتح البيانوني ص ٢١٦، ط: دار اقرأ، الكويت، القاهرة، الثانية، ١٤٢٨هـ .



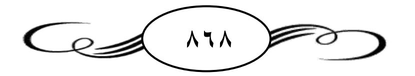
تقديم المساعدات والدَّعم البشري للجميع، وقضايا الأُسرة، والقواسم الأخلاقية الإنسانية، ولا نُركِّز على نِقاط الخِلاف ومواضع التباين[1] .

لقد جاءت صيغة التفضيل ﴿أَحْسَنُ﴾؛ لتتسع وتشمل معاني جمَّة لا يُمكن لأحد أن يدَّعي حصرها واحتكارها، وكأنَّ القُرآن يريد أن يعطينا ملمحاً مُهمَّاً ألا وهو أنَّ الجُمُود في ظِل عالم مُتغيِّر ومُتجدِّد لا يَنُم عن الحِكمة، ولا ينبىء عن اليقظة، ولا يشير إلى الوعي بمجريات الأحداث وآثارها .

من هنا وجب على الداعية أن يخاطب البشر بما يعرفونه، ومن خلال ما يفكرون فيه؛ لأنَّ هذا أدعى للإستمالة والاستجابة السريعة لما يدعوهم إليه، وأحرى بالدخول والولوج إلى عقله وقلبه، وعليه أن ينوِّع في استخدام تلك المناهج الدعوية سواء أكانت عقلية أم عاطفية أم حسية تجريبية؛ فالحديث إلى أُناس قد وصلوا سطح القمر، يختلف جذرياً عن الكلام إلى أقوام يستوطنون الغابات، ويعيشون في الأدغال، وآيات القرآن تسْعِف الكاتب والمتحدِّث والمؤلِّف على خير وجه، فكتابنا عامر بالإشارات والأوصاف البليغة الرائعة لكل الأذواق في كل البيئات وعلى جميع المستويات .

---

(١) الإسلام وتجديد دين الأُمَّة في عصر العولمة ص١٢٠، وجمالية الإسلام من خلال الوسائل والأساليب الدَّعوية وأثرها في الدَّعوة المعاصرة، د/ بسيوني محمد نحيلة، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، عمادة البحث العلمي وضمان الجودة، الجامعة الأردنية، مجلد ٤٤، العدد الثالث، ص ٢٢٩، ٢٠١٧م .



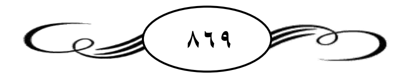
وهذه الوسائل الحديثة على تنوعها وكثرتها والتي قد لا يُمكن حصرها(١)، لا تخرج عن الوسائل الثلاث التي ذكرتها الآية آنِفاً، فيدخل فيها كل أسلوب ووسيلة تعين المسلم على أداء رسالته، وما يتناسب مع العصر الذي استحدث فيه، منذ نزول القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فتكون تلك الوسائل المشروعة جامِعة بين الأصالة والمعاصَرة؛ مصداقاً لقوله تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(٢) ، كما أن الأصل في هذه الوسائل الإباحة، وكل وسيلة جديدة يتفتق عنها في العصر الحاضر، أو المُستقبل إذا لم يقم الدليل على تحريمها، فالأصل جواز استخدامها(٣)، وهناك من البشر مَنْ لا تصل

---

(١) أذكر من هذه الوسائل: الكُتيبات والنشرات "المطويات"، الإذاعات، الصحف والمجلات، الدروس والمحاضرات والنَّدوات، المؤتمرات، الدورات العلمية، الأشرطة السمعية والمرئية، اللَّوحات المُعلَّقة، الشبكة العنكبوتية "الإنترنت"، غرف الحوار «البالتوك»، البريد الإلكتروني، مقاهي «الإنترنت»، القافلة الدعوية وغيرها . ينظر: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر ،عدنان بن محمد آل عرعور، حائز على جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسُّنَّة النَّبوية والدِّراسات الإسلامية المعاصرة، الأولى، ١٤٢٦هـ .

(٢) سورة فصلت: (٥٣) .

(٣) وردت أدلَّة كثيرة تُشير إلى أنَّ الأصل في الأشياء الإباحة إلَّا إذا ثبت التَّحريم بدليل قطعي لا شُبْهَة فيه، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَافِيَةٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ اللَّهِ الْعَافِيَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ نَسِيًّا»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ مريم: (٦٤) . أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٠٦ برقم٣٤١٩، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، وقال الذَّهبيُّ: «صحيح» ، والهيثمي في المجمع ١/١٧١ برقم ٧٩٤، وقال: «رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ» .



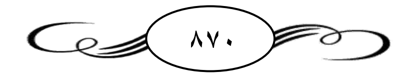
إليهم الدعوة إلَّا بواسطة مثل هذه الوسائل، وما لا يتم به الواجب فهو واجب، ولا يشترط في الوسيلة أنْ تكون توقيفية أي: مأخوذة عن الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد استخدم المسلمون الأوائل عدَّة وسائل لم تكن متوفرة في عصر المُتقدمين، لكن كانت موجودة عند الأُمم الأُخرى فنقلوها وانتفعوا بها، وكيَّفوها حسب شريعتنا، ففَرْق بين «الحرمة الذاتية العينية والحُرمة الغيرية في الوسائل، فمِنْ الوسائل ما حُرِّم لذاته؛ لمفسدة فيه كالزِّنا والخمر، وأمَّا الحرام لغيره فهو ما كان في أصله مُباحٌ، لكن دخل فيه ما حرَّمه، فإذا زال رجع إلى أصله كالتلفاز والانترنت، فهذه الوسائل لا حكم لها في نفسها، بل هي صالحة للإستعمال في الخير والشر، وقياساً على ذلك الوسائل الحديثة، فهي جائز استعمالها في الدعوة بإلحاق غير المنصوص بالمنصوص إذا وُجِدت العِلَّة»(١) ، كما أنَّ الشرع يتسامح في باب الوسائل، فيجيز بعض الأفعال التي لا يتسامح بمثلها في باب المقاصد، وبهذا يفتح المجال أمام تطويرها، وإيجاد الملائم منها للواقع؛ أخذاً من القاعدة الأُصوليَّة: «يُغْتَفَر فِي الْوَسَائِلِ مَا لَا يُغْتَفَر فِي الْمَقَاصِدِ»(٢) .

ولا شك أنَّ الوقوف مكتوفي الأيدي دون الأخذ بروح هذه الآية في تجديد أساليب الدعوة، ودون أنْ نتجَشم عناء تعديلها بما يجعله فعالاً

---

(١) ينظر: وسائل الدَّعوة بين الأصالة والمُعاصرة ، أ.د/ علاء الدِّين الأمين الزَّاكي ص ١٦٧ .

(٢) ينظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن العطار، ٢ / ٢٠٥، ط: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، والأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشَّافعيَّة للسيوطي ص ١٥٨، ط: دار الكتب العلمية، الأولى: ١٤١١هـ .

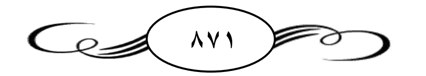


نَاجِعَاً إزاء التحديات الخطيرة التي تحاصره من كل جانب، يبعث على الفُتور والملل، وفيه من المفاسد التي لا تحصى في ظل تكالب خُصُوم الإسلام علينا، ودليل على انطماس البصيرة، وغباء القريحة، والجهل بالجغرافية المعاصرة والواقع الذي نعيشه، وفيه فوت كثير على الإنسانية ليتعرفوا على الإسلام، أو يغزوهم المضللون بهذه الوسائل، فيصل إليهم الشر، ولا يدركهم الخير والنفع، ولا يكون منهم إلَّا الإعراض والنفور، ممَّا يؤثر سلباً على سمعة الدعوة وحِراكها، وبالتالي فإنَّ رفض نفخ روح جديدة في أساليب الدعوة يعد أكبر إفلاس لدى القائمين بها؛ ولهذا قال ابْن مَسْعُودٍ مُبيِّناً خطر مُخاطبة الإنسان بما يجهله: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَة»[1] .

«لقد كانت الوسيلة المتبعة لدى الدعاة من الأنبياء والمرسلين المُشافهة والقول، وعندما ظهرت الكِتابة استخدموها، ونزلت بعض الكتب والصحف السماوية مكتوبة، فكان منهجهم في جانب الوسائل استخدام المتوفر في عصرهم ما دامت لا تخالف شرعاً ولا خُلُقاً»[2]، فنُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مثلاً استخدم طرائق مختلفة لإيصال دعوته، ونوَّع في أسلوبه، فدعاهم مرة بالليل ومرة بالنهار، تارة سِرًّا وعلانية، ثُمَّ زاوج بين الجهر وَالإِسْرَار، وتارة بالترغيب والترهيب، ومرة بلفت الأنظار إلى الاعتبار بآيات الله المبثوثة في الكون الفسيح، وبيان فضله العميم بسوق الرزق الوفير عن طريق المطر الغزير، كما تنوعت أيضاً الوسائل التي استخدمها

(١) أخرجه مُسلم في مقدمة صحيحه بَاب النَّهْي عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ١ / ١١ .

(٢) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني ص٣٤٠، ط: الرسالة، الأولى، ١٤٢١هـ .

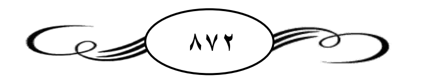


رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كُفار مكة؛ لعلهم تلين قلوبهم، وتَنْقَشع الغشاوة عن أبصارهم، فيدركوا الحق، ويهتدوا إليه، وبنظرة فاحصة في موقف واحد ك «صُلْح الْحُدَيْبِيَة» نجد أنَّه استعمل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من وسيلة للدعوة كاستبداله المواجهة الحربية بالمواجهة السلمية مع قريش وحلفائها، والحركة والانتقال، وإرسال الرسل، واستقبال الوفود، والكتابة، والحِوار، والمزاوجة بين اللين والشدة وغيرها(١) .

ولمْ يقف المسلمون عبر تاريخهم الطويل جامدين تِجاه استخدام الأساليب المتوفرة، وإحداث ما يتناسب وكل زمان، ومن المعلوم أنَّ الحياة تتغير والوسائل تتنوع، وديننا دين عالمي رسالته عامة، فلا بد أن تكون وسائله مُتجددة، والمؤمن مُطالب بالإبداع والتفنن في إيصال المعلومة للمدعو، وعليه أن يستفيد من كل المستجدات والتقنيات الحديثة التي ظهرت في عصر ثورة المعلومات والاتصالات «فيس بوك، تويتر، يوتيوب، انستجرام ... الخ» ؛ ويوظفها في إيصال الدعوة وبكل اللُّغات إنْ أمكن ذلك، ولا يحصر نفسه في دائرة ضيقة من الوسائل في ظل انفتاح العالم وتقاربه، وتغير شكله واتجاهه نحو عَوْلَمة شاملة قربت المسافات، وتخطت حواجز الطبيعة واللُّغة والثقافة، وأصبح العالم قرية صغيرة، وصارت تلك الوسائل تصوغ عقول الناس وأفكارهم، ولعلَّ ما يُسمى: «البث المُباشر» الذي تخطط له الدول الغربية عبر الأقمار الصِّناعية، بحيث تسقط آلاف البرامج على البلاد الإسلامية؛ ليتلقاها الناس في قَعرِ بُيُوتهم أكبر شاهد

---

(١) ينظر: الدَّلالات الدعوية في «صُلْح الْحُدَيْبِيَة»، د/ خالد الدِّيب عبد العزيز محمود، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، العدد السابع والثلاثون، الجزء الرابع، ص٤٠٧٤ بتصرُّفٍ، ١٤٤١هـ =٢٠١٩م .



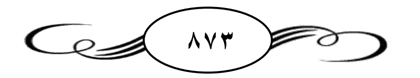
على ذلك، وهو غزو جِد خطير؛ إذ يخاطِب شريحة غير صغيرة في آن واحِدٍ، وصدق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي جاء عَنْ أُسَامَةَ «أَنَّ النَّبِيَّ أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ [(١)]، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ، كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ»[(٢)] ، وهذا ما يشبه الأقمار الصناعية التي في السماء تمطر البيوت بقنوات الفِتن والشر، حتى لو كنت في الصحراء لوصلك البث والإرسال، من هنا دخلت الدعوة مرحلة التطبيق للدعوة العالمية الشَّاملة، لكن ينبغي عند أداء ما سبق الحِفاظ على ثوابت الدعوة في ضوء الكِتاب والسُّنة[(٣)] ، من هنا وجب على الدعاة استيعاب التراث الإسلامي، وإعمال المنهج الرباني ومتطلباته فيه، ثم الخلوص إلى حصر معطياته العامة، نُجوِّد جيدها، ونحسن رديئها، ثُمَّ

---

(١) «آطَامِ الْمَدِينَة»: الأُطُم: بناءٌ مُرْتَفِع كَالْحُصُونِ، وَجَمْعُهُ آطَامٌ. ينظر: غريب الحديث للخطابي ١ / ١٠٥، ط: دار الفكر، ١٤٠٢هـ، «مَوَاقِع»: مَوَاضِع السُّقُوط، «خِلال»: نَوَاحِيهَا، شَبَّهَ سُقُوطَ الْفِتَنِ وَكَثْرَتَهَا بِسُقُوطِ الْقَطْرِ وهو المطر فِي الْكَثْرَةِ وَالْعُمُومِ، وَهَذَا مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ لِإِخْبَارِهِ بِمَا سَيَكُونُ وَقَدْ ظَهَرَ مِصْدَاقُ ذَلِكَ . فتح الباري ٤/٩٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل المدينة باب آطام المدينة ٣/٢١ برقم ١٨٧٨، ومسلم في صحيحه كتاب الْفِتَن وَأَشْرَاط السَّاعَة بَاب نُزُول الْفِتَن كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ ٤ /٢٢١١ برقم ٢٨٨٥ .

(٣) ينظر: الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية، د: صالح الرقب، الجامعة الإسلامية، مؤتمر كلية أُصول الدين، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، المُنعقد في الفترة: ٧:٨ ربيع الأول: ١٤٢٦هـ = ١٦: ١٧: أبريل: ٢٠٠٥م، والإسلام وتجديد دين الأُمَّة في عصر العولمة ص ١١٣، ١١٥، ١١٦ بتصرُّفٍ .



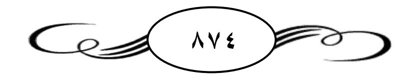
يتم التعامل معها بثقة وانفتاح وفاعلية(١)، إننا لو استطعنا فعل ذلك، لوجد العالم أجمع الحل الأمثل لكثير من الأمراض المادية والمعنوية التي يضج منها ليل نهار، وفي هذا يقول دوكلاس أرثر: (لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأَمْكَنَ به حل كافة المشكلات، ولأَمْكَنَ تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون في ظل الرأْسمالية والشيوعية على السواء، فقد فشل هذان النظامان في حل مشكلات الإنسان، أمَّا الإسلام فسوف يُقدم السلام للأشقياء، والأمل والهُدى للحيارى والضَّالين، وهكذا فالإسلام لديه أعظم الإمكانات لتحديث هذا العالم وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الإنتاج والكفاية.)(٢)

ما أحوجنا إلى تجديد أساليب دعوتنا من أجل إظهار ديننا بصورته الراقية التي ترفع من شأن الإنسان وتكرمه في ظل التكتلات الرهيبة التي يحارب بها، وإذا لم نفعل ذلك فإنَّنا نكون قد تخلينا عن مسئوليتنا، وارتضينا لأنفسنا أنْ نجلِس في مقاعِد المتفرجين نشاهد ما يعرضه الآخرون علينا، فتعجبه بعض المواقف فتتهلل أساريره، ولا تعجبه بعض

---

(١) ينظر: مقدمات للنُّهوض بالعمل الدَّعوي، أ.د/ عبد الكريم بكَّار ص ٢٢، ٢٣ .

(٢) مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حياته، معجزاته، دلائل عظمته، محي الدين محمد عطية ص ١٠٦، ط: دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، أكتوبر، ٢٠١٢م، وهو مدير المعهد التربوي في منطقة الكاريبي جامايكا،عمل أستاذاً لعلم النفس وبناء الأُمة بأمريكا، ثم اعتنق الإسلام بعد عدة دراسات ظهرت من خلالها أن تعاليم الإسلام تقدم نموذجاً عالياً لبناء الفرد والمجتمع . ينظر: رجال ونساء أسلموا، عرفات كامل العشي ٥/٥٢: ٥٧ .

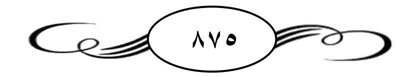


المشاهد فيَقْطب جَبِينه، ويمط شفتيه إمْتِعاضاً ؟! ، وإلّا فلسنا جديرين بالحياةِ[١] .

من خلال ما سبق ثبت لنا – بالبراهين الساطعة والحجج الناصعة – أنَّ التَّجديد في أُسلوب الدعوة إعداداً وأداء، واحتياجنا إلى خطاب الوسطية والاتزان، أمر دعت إليه الأدلة النقلية والعقلية والواقعية، أمَّا الانغلاق على الماضي وعدم التطلع إلى المُستقبل، فيتولد عنه خطاب الانفلات والانحراف الذي تتولَّاه جماعات التطرف والإرهاب والغُلو والتشدد، ويستلزم أيضاً الوقوف عند ظواهر النصوص دون فهم المقاصد والسياقات، الأمر الذي سيقود الإنسانية إلى الهلاك والدمار والفوضى اللّامتناهية، وهذا ما يرفضه الإسلام جُملة وتفصيلاً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

---

(١) هوامش على أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة نقدية، أ.د/ محمود زقزوق ص٩٦، ٩٧، مُلحق بمجلة الأزهر، هدية شوال، ١٤٣٥هـ .



المطلب الرابع

التجديد في الصناعة

المستقرء لآي الذكر الحكيم يجد أنَّ القرآن دعا إلى التجديد في الصناعة بشتى أنواعها، وإليك هذه الْإِشَارَات التي وردت في بعض الآيات: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُم مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1] ، لقد أمر اللهَ قوم هُود عَلَيْهِ السَّلَام في هذه الآية بعمارة الأرض، وهذا لا يتم إلَّا بتجديدها وفق مقتضيات كل زمان ومكان؛ لأن تسخير ما في السَّموات والأرض للإنسان يتضمن بشكل قوي الدفع نحو عجلة الِابْتِكَار؛ إذ لا يمكن الانتفاع بشيء من ذلك ما لم تتدخل فيه يد البشرية من تعمير وتصنيع، وجمع وتفريق، وتجربة وتحليل واستنباط، واختراع وابتكار ونحو ذلك؛ ولهذا سمَّى الله الإنسان خليفة، فقال: ﴿إِنّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] ؛ لأنَّه أودع فيه قابلية الإبداع بحيث يمكنه أن يلعب دوراً مُؤثِّراً في الحياة، ويأتي بجديد ما عهدته البشرية، عِلْمَاً أنَّ حياته تبدأ من الصِّفر، ثُمَّ يتدرَّج فيها حتى يخترع ما يبعث على الانبهار، وما تفننه في إنتاج طِراز مُتنوع كل عام في شتى الصناعات إلَّا أكبر دليل على تلك القابلية المودعة فيه، وبها يتقدم الإنسان ويصل إلى أعلى درجات سُلَّم الرقي[3] .

---

(١) سورة هود: (٦١) .

(٢) سورة البقرة: (٣٠) .

(٣) ينظر: الإسلام ومُتطلَّبات العصر، الشهيد مُرتضى مُطَهرَّي ص١٣١ بتصرُّفٍ .



لقد سمَّى الله إحدى سور القرآن ب «سورة الحديد» ؛ للاشادة بأهميته فقَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾(١)، وقد ارتكز مقصودها الأعظم حول ملامح قوة البناء الحضاري المادي المتمثل في الحديد، والبناء المعنوي المُشار إليه بقوله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ﴾(٢)، فالكتاب يوجههم، والميزان يضبطهم، والحديد يحفظ عليهم معاشهم(٣)؛ إذ هو من أهم المعادن الاستراتيجية، فالسبائك التي يدخل الحديد فيها تشكِّل ٩٥ % من إجمالي المعادن التي تدخل الصناعة، ويُقاس تطور الدول بمدى استعمالها للحديد والصُّلب(٤)، ولا يُعقل أنْ ينتفع النَّاس به إلَّا بعد تقطيعه وتطويره، فمِنْ الحديد تتنوع المصنوعات الثقيلة والخفيفة التى هي دعامة الحضارات المادية .

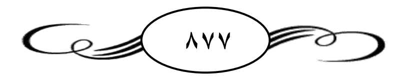
لقد أشارت الآية إلى مَلْمَح مُهم للاستفادة من خام الحديد باستخدامه في مجالات القوة؛ لإعلاء كلمة الله، وفي مجالات المنافع الدنيوية الكثيرة، أيستفاد منه مع إبقائه كُتَلًا غير مصنَّعة ؟ أم لا بُدَّ أنْ تدخل فيه يد الاختراع والتجديد بما يتوافق مع مُتطلبات البشرية ؟ ، وقد

(١) سورة الحديد: (٢٥) .

(٢) سورة الحديد: (٢٥) .

(٣) ينظر: سُورٌ من القرآن الكريم، مقاصد وقيم ودلالات «٤»، إعداد: أ.د/ سليمان محمد الدقور، د/ محمد سعيد بكر ص ٢٥، ط: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، السعودية، الأولى، ٢٠١٩م .

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة، الآثار والعمارة والفنون، د/عثمان عثمان إسماعيل ص١٧٧ .



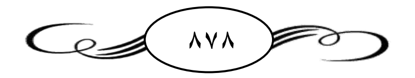
كانت طبيعة الاستفادة منه في الماضي في صناعة السيوف والرماح والدروع وغيرها، لكن اليوم بات الأمر جِد مُختلف حسب طبيعة الصناعة المُستخدمة فيه، لا سِيَّما مجال أسلحة الردع كالنووي والصواريخ وغيرها، ولعل ما وصلت إليه البشرية في صناعات الحديد لمْ يبلغْ مِعشَار المنفعة الكَامِنَة فيه؛ لِذا فإنَّ الآية تفتح الباب للبحث والكشف عن منافعه الجديدة، فهي بمثابة دعوة ضمنية للبشر أنْ يُطوِّروا انتفاعهم به في شتى مجالات الصناعة، فهل ثَمَّة أكثر إقناعاً لنزعة التحضر والتطبيق العلمي والتقني التي جاء بها القرآن، لكي يجعلها جزءًا أساسياً من أخلاقيات الإيمان وسلوكياته في قلب العالم من هذه الآية التي تَعْرِض «خام الحديد» كنعمة عظمى أنزلها الله لعباده؛ ليُسخروها في سبيل الحق، وإقامة العدل .

وفي حديث القرآن عن نِعمه التي أنعم الله بها على دَاود عَلَيْهِ السَّلَام ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾(١)، حيث كان الحديد معه يقبل الطرق من غير تسخين، واستطاع أنْ يصنع منه الدُّروع وغيرها ما لم يسبقه إليه أحد في زمانه، وإذا كانت المعجزة في قابلية طرق الحديد بلا نار، فإنَّ الصناعة غير مرتبطة بالمعجزة، وبالتالي لو واصلنا العمل في هذا المجال استطعنا أنْ نخترع أشياء لم نُسبقْ إليها، كما صنع دَاود من قبل(٢)، فالآية فيها تعليم ضمني للبشرية أنْ يلينوا الحديد بالنار عن طريق معالجات حرارية

---

(١) سورة سبأ: (١٠) .

(٢) ينظر: النظريات العسكرية بين الإعداد والتخطيط، دراسة قرآنية موضوعية، ماجستير، عبد الهادي سعيد الأغا ص٢٣١، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، رمضان، ١٤٢٦هـ= أكتوبر ٢٠٠٥م .



معينة، تكسب سبائك الحديد والصُّلب سهولة في التشكيل، فيستطيعوا أنْ ينتفعوا به في اختراعاته المضروب لها هنا المثل بعمل الدروع السابغة وغيرها[١] .

وفي قَوله تَعَالَى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[٢] أمر من الله لنُوح عَلَيْهِ السَّلَام بصناعة مخترع جديد لم تكن البشرية على دِراية به، لذا كان قومه يمرون عليه، وهو يصنع السفينة فيسخرون منه، لكن كان يرد عليهم بما يدل على ثقته، وقوة يقينه بربّه، فأحاطت هذا المخترع الجديد عِناية الله وتوفيقه، وبهذا نلاحظ أنَّ نقطة البداية لبناء السفن البحرية، قد كانت على يَد نبيٍ من أنبياء الله، دفعهم الله بها إلى شَقِّ طريق رُكوب البِحار، والابتغاء من فضله على ظهرها، فحَمَلَتْ عالماً جديداً؛ ليعمر الحياة بوجه جديد يقوم على التقوى والإيمان، لا الكفر والضلال[٣] ، وما يعرضه القرآن من أحوال الأنبياء، مِمَّا لم ينسخه بحكم جديد إنما هو باق، فأي دعوة للاختراع والابتكار أقوى من هذه الدعوة التي يتنوع تنفيذها باختلاف كل زمان ومكان .

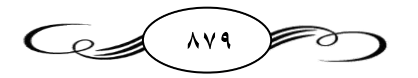
كما دعا القرآن إلى التجديد في وسائل المواصلات على اختلاف أنواعها، وتعدد أشكالها، قَالَ تَعَالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا

---

(١) ينظر: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د/ أحمد مصطفى متولي ص ٢٦٢، ط: دار ابن الجوزي، القاهرة، الأولى، ١٤٢٦هـ .

(٢) سورة هود: (٣٧) .

(٣) ينظر: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، علي علي صبح ص٢٨٦، ط: المكتبة الأزهرية للتراث .



وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، فالمُلاحظ أنَّ التعبير في قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قد جاء بصيغة المضارع الدال على الحال والاستقبال؛ للدلالة على أنَّ عمليات التجديد في الخلق الرباني للأشياء مستمرة غير منقطعة[2] ، فلولا تذييل[3] الآية بذلك، لكان فيها مأخذٌ على القرآن، وإلَّا فأين ما يستجد من وسائل حديثة ؟ فأراد الله أن يجعل في القرآن رصيداً لكل ما يستحدث من وسائل المواصلات والانتقال إلى يوم القيامة .

يقول ابن عاشُور: (فَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ الْغَيْبِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَأَنَّهَا إِيمَاء إِلَى أَنَّ اللَّهَ سَيُلْهِمُ الْبَشَرَ اخْتِرَاعَ مَرَاكِبَ هِيَ أَجْدَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، فَكُلُّ هَذِهِ مَخْلُوقَاتٌ نَشَأَتْ فِي عُصُورٍ مُتَتَابِعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا مَنْ كَانُوا قَبْلَ عَصْرِ وُجُودِ كُلٍّ مِنْهَا، وَإِلْهَامُ اللَّهِ النَّاسَ لِاخْتِرَاعِهَا هُوَ مُلْحَقٌ بِخَلْقِ اللَّهِ، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَلْهَمَ الْمُخْتَرِعِينَ مِنَ الْبَشَرِ بِمَا فَطَرَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذَّكَاءِ وَالْعِلْمِ، وَبِمَا تَدَرَّجُوا فِي سُلَّمِ الْحَضَارَةِ، وَاقْتِبَاسِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ إِلَى اخْتِرَاعِهَا، فَهِيَ بِذَلِكَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ من نعْمَته.)[4]

---

(١) سورة النحل: (٨) .

(٢) صراع مع الملاحدة حتى العَظْم لعبد الرحمن حَبَنَّكَة ص١٠٢، ط: دار القلم، دمشق، الخامسة، ١٤١٢هـ .

(٣) التَّذْيِيلُ: هو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها بعد إتمام الكلام؛ لِتَأْكِيدِ مَنْطُوقِهِ أَوْ مَفْهُومِهِ؛ لِيَظْهَرَ الْمَعْنَى لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ، وَيَتَقَرَّرَ عِنْدَ مَنْ فَهِمَهُ . ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ٣ / ٢٠٥، ط: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الثالثة، والإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٥٠ .

(٤) التحرير والتنوير ١١١/١٤ باختصارٍ .



لقد وُجدت وسائل كثيرة للنقل لم يكن يعلمها أهل ذاك العَصر، وستستجد وسائل أخرى لا يعلمها أهل هذا الزمان، ولعل الأيام القادمة ستظهر فيها مخترعات أخرى تفوق الحاضر من الصناعات الحديثة، وهذا داخل تحت مدلول الآيات السابقة، وتحت قَوله تَعَالَى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنا لَهُم مِن مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾[١] ، وها قد حَلَّت وسائل النقل الحديثة مكان رُكُوب الإبل والحَمير، وهذا ما أَوْمَأتْ إليه السُّنَّة، فعن أَبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «وَاللهِ...، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاص[٢] فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا»[٣] .

كما أشارت إلى وجود كثير من الصناعات التي ستستحدث بعد، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ»[٤] ، ومن المعلوم أنَّ الجَوَّال إنما يوضع في الجيب المُلاصق للفَخْذ، وما كان أحد يصدق أنَّ الجماد

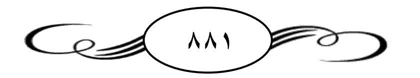
---

(١) سورة يس: (٤١:٤٢) .

(٢) «الْقِلَاص»: النَّاقة الصابرة على السَّير، وَقيل: الطَّوِيلَة القوائم الشابة. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم للأزدي ص ٤٥، ط: مكتبة السُّنَّة، القاهرة، الأولى، ١٤١٥هـ .

(٣) أخرجه مُسلم في صحيحه كِتَاب الْإِيمَان بَاب نُزُول عِيسَى بْن مَرْيَم حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّد ١/١٣٦ برقم ١٥٥.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٤٧٦ برقم ٢١٨١، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَلَامِ السِّبَاعِ، وقال:«هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، والحاكم في المستدرك ٤/٥١٤ برقم ٨٤٤٢، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، وقال الذهبي: «على شرط مسلم» .

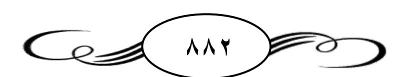


سينطق, لكنه الآن يتحدث «الراديو والتلفاز والهاتف الخلوي», ولم يكن من المتوقع أن يتمكن الجماد من التعرف على أحوال المنزل, ونقل أخباره إلى مالكه, حتى تمكن الباحثون من صنع أجهزة للتنصت تنقل الأخبار من أي مكان, وأصبح حجمه يصغر شيئاً فشيئاً, حتى إنَّ بعضها أصغر من حبة العَدس, وكما طور العلماء هواتف خلوية على شكل ساعة أو قلم، وأصبحت معروضة في محلات البيع, فإنهم غداً سيطورون أجهزة تنصت توضع في النعل, ظاهره أنه شِراك, وحقيقته أنه جهاز تنصت بالصوت والصورة، ووجِد الإنسان الآلي الذي يأخذ الأوامر من البشر فينفذها مباشرة .

إن الحديث فيه نبوءة صادقة تتفق مع الآيات القرآنية سالفة الذكر؛ حيث أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن وقوع أشياء ظهرت بالفعل في العصر الحالي، ولم يَصْدر منه تحريم صُنع أو استخدام هذه الأشياء، وفي سُكوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يَدل على جواز استعمالها .

وأشارت السنة أيضاً إلى تقارب الأسواق؛ نظراً لظهور الآلات الحديثة التي تُعين على التنقل والترحال من بلد لآخر في وقت قصير، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ... ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاق، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَان»[1] .

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٢٢/١٦ برقم ١٠٧٢٤، وقال شعيب: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين»، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه ١٥ / ١١٣ برقم ٦٧١٨، والهيثمي في المجمع ٧ / ٣٢٧ برقم ١٢٤٥٠، وقال: «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ سَعِيدِ بْنِ سَمْعَانَ وَهُوَ ثِقَةٌ» .



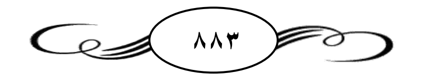
والظاهر – والله أعلم – أنَّ ذلك إشارة إلى ما وقع في زماننا من تقارب أهل الأرض؛ بسبب المراكب الجوية والأرضية والآلات الكهربائية التي تنقل الأصوات كالإذاعات والتلفونات، والتي تنقل الكتابة كالفاكس، والتي صارت الأسواق متقاربة بسببها، فلا يكون تغيير في الأسعار إلَّا ويعلم به التجار في جميع أرجاء الأرض، ويذهب التاجر في السيارة أو الطائرة إلى أسواق المدائن التي تبعد عنه مسيرة أيام، فيقضي حاجته منها، ثُمَّ يرجع في يوم أو بعض يوم(١) .

لقد أشار القرآن والسُّنة – إلى هذه المخترعات التي أبهرت عقول البشر– بطريق الإجمال، وتَرَكَا التفصيل الذي يختلف من جيل إلى جيل، وصدق المعصوم حينما ذكر الدجال ونُزُول عِيسى فقال: «وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى تَرَوْا أُمُورًا يَتَفَاقَمُ شَأْنُهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَتَسَاءَلُونَ بَيْنَكُمْ هَلْ كَانَ نَبِيُّكُمْ ذَكَرَ لَكُمْ مِنْهَا ذِكْرًا، وَحَتَّى تَزُولَ جِبَالٌ عَلَى مَرَاتِبِهَا»(٢) ، وكم أُزيل من الجِبال لشق الطرق والأنفاق، أو لبناء البيوت، أو للاستفادة من المعادن، وكل هذا باستخدام المعدات الثقيلة أو المتفجرات، ولعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك التفصيل؛ «خشية أنْ يُفْتَتن بسببه مَن لم يرسخ

---

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبد الله التويجري ١٩٦/٢ باختصارٍ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٤٦/٣٣ برقم ٢٠١٧٨، وقال شعيب:«إسناده ضعيف لجهالة ثَعْلَبَة بْن عَبَّادٍ، ولبعضه شواهد»، والهيثمي في المجمع ٣٤١/٧، ٣٤٢ برقم ١٢٥١٩، وقال: «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ بِبَعْضِهِ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُبَادَةَ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ»، والحاكم في المستدرك ٤٧٨/١ برقم ١٢٣٠وقال:«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي .



الإيمان في قلبه، وإذا كان المشركون قد أنكروا الإسراء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة واحدة؛ فكيف لو أخبرهم أن بني آدم سيصنعون في آخر الزمان مراكب من حديد تسير بهم في البر، وأخرى تطير بهم في الهواء، ونحو ذلك ممَّا لا تحتمله أكثر العقول دون أن ترى ذلك عيانًا، وتقف على حقيقته ؟، فكان مِن حكمة الشارع أنْ أخبر بذلك مجملًا بما أغنى من شاهده عن التفصيل»[1] .

لقد أراد القُرآن والسُّنة معاً أن يفسحا المجال أمام العقل البشري؛ ليتقبل أنماطاً جديدة من آلالات الحمل والركوب وغيرها، بحيث تكون مفتوحة ومستعدة لاستيعاب جميع مقدرات الحياة، فتتلقى كل ما هو جديد في عجائب العِلم وغرائب الصنع، وتتربى الأذهان على تقبل كل ما هو حديث يتوافق مع الشريعة، وتبتعد عن الجمود والتحجر الفِكري والثقافي المُنغلِق عند دائرة محدودة، فانظر إلى الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية اللذين صاغا هذه المعاني بألفاظ تتناسب مع أفهام وعلوم البشر المتفاوتة بحيث يشعر كل إنسان إنما خُوطِب على قدر حاجته وفهمه .

«هذا، وقد قامت جامعة هَارْفارد عام ١٩٦٤م بعمل بحث عن التغيير والسرعة والمنافسة، وكانت نتيجة البحث أنَّ العالم سيشهد تغييراً كبيراً لمْ يره من قبل وبسرعة كبيرة، وذلك سيؤدي إلى قوة المنافسة، وأضافت أنَّه إذا لم يتحرك الناس بسرعة تتماشى مع السرعة التي يعيشها العالم، وبمرونة تتفق مع هذا التغيير الكبير، وأيضاً بابتكار وتقديم كل ما هو جديد في عالم الصناعة يختلف عن المنافسة ستكون النتيجة كالآتي:

---

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ٢/٢٠١، ٢٠٢ .



على الصعيد المِهَنِي سَتُواجِه الشركات والمؤسسات والبلاد مشاكل مادية خطيرةٍ قد تؤدي إلى الإفلاس، وعلى الصعيد الشخصي ستؤدي إلى الإصابة بالأمراض النَّفسية والأمراض العضوية وغيرها»[1] .

كما أشار القرآن إلى العَسَلِ كمادة علاجية يتحقق بها الشفاء، فقال: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَاب مُخْتَلِف أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وتلك دعوة ضمنية إلى تجديد استخدام عسل النحل في الشفاء حيث لم تُحدِّد الآية كيفية الاستخدام، وإنَّما تركت ذلك تبعاً للمكان والزمان، فمثلاً تقدم بعض صناعات الأدوية غذاء ملكات النحل في كبسولات أو شراب كما هو معهود لدى المتخصصين، وأمكن دخول عسل النحل في كثير من الصناعات العلاجية كعلاج الجروح وأمراض الجهاز التنفسي، والجهاز الهضمي والعصبي، وعلاج أمراض العين، والفم والأسنان، وقُرحة المَثَانَة، وصِحة وجمال البشرة، وقد ثبت نجاح الحقن الوريدية بمحلول العسل بنسبة ٢٠ – ٤٠ % في الوقاية منه، وغيرها من المجالات التي يضيق المقام بحصرها[3]؛ ولذا ختم الله الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، والتي هي بمثابة دعوة للتأمل والتفكر في

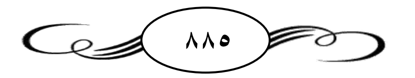
---

(١) ينظر: قُوَّة التَّفكير، د/ إبراهيم الفقي ص٧١ .

(٢) سورة النحل: (٦٨:٦٩).

(٣) ينظر: مُستشفى عسل النَّحل، التَّداوي بعسل النَّحل، عبد اللطيف عاشور ص١٢٣، ط: مكتبة القرآن، القاهرة، الأولى، ١٩٨٦م .

(٤) سورة النحل: (٦٩) .



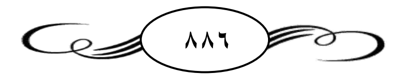
عالم النحل الواسع الرحب، ذلك العالم الذي ينطق بالإيمان، ويشهد بالوحدانية لله الواحد القهار؛ ولهذا يجب على الإنسان أنْ يُوظِّف قدراته العِلمية والمعملية في بيان هذا الإعجاز الرباني؛ لأننا ما زلنا في حاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات والأبحاث الجادة لكشف المزيد من أسرار العسل، ووجوه الإعجاز فيه كدواء، فالعلاج به متنوع تنوعاً ملحوظاً من حيث تناوله كغذاء، أو استعماله كمرهم، أو استنشاقه، أو استعماله بواسطة التيار الكهربائي، أو استخدام لسعات النحل للمريض مباشرة كنوع من الشفاء(١) ، فكل ما سبق أوجزه الله في ألفاظ معدودة في مُحْكم التَّنزيل، وفتح به المجال للبشرية للبحث والنظر في كل ما يُسْتَجَد، فما يظهر من إعجاز يتعلق بهذا الأمر إلَّا ويجد النَّص القرآني يَحتَمِله ويخدمه، فَسُبْحَانَ مَنْ دَقَّتْ حِكْمَتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ !.

ولو تأملت قول ربنا: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِن نَباتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعامَكُم إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى﴾(٢)، لظهر لك أنَّ الآيات فيها دعوة إلى التجديد في مجال الثروة الحيوانية؛ إذ الثانية تشير إلى ضرورة اتجاه الإنسان إلى تربية الحيوان وتنميته، والمحافظة عليه بكافة الوسائل الممكنة والأساليب المُسْتَطاعة، فهي تأمر الإنسان أنْ يأكل من هذا النبات، ويرعى فيه ماشيته، وبديهي أنَّ الله عندما أورد لفظ:

---

(١) ينظر: عسل النَّحل والطب الحديث، أحمد فوزي إبراهيم، بحث منشور بمجلة دراسات، الجامعة الإسلامية العالمية، شيتا غونغ، مجلد الرابع ص ١٢٢، ديسمبر ٢٠٠٧م .

(٢) سورة طه: (٥٣) : (٥٤).



«الرَّعي»، فإنه بذلك يوجه الإنسانية إلى استخدام كل السبل والوسائل المتاحة لتربية الحيوان، فالرعي يستلزم – علاوة على تغذية الحيوان- الاهتمام بحركته، والمحافظة عليه أثناء رعيه، ومباشرته بالسقي، وانتقاء المرعى بحيث يشتمل على أفضل مراتب الجودة الغذائية، فلفظ: «المَرعي» إنما يشمل توجيهات أكبر من الأمر بتغذية الحيوان، وهي تختلف عن الأمر بالأكل الذي ورد للإنسان في الآية الشريفة(١) .

كما أن التنوع والتجديد في المحاصيل النباتية والزراعية أشار إليه القرآن، وحث عليه في كثير من آياته كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ * فَأَنْشَأْنا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِن نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْها تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾(٢) ، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً لَكُم مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣) ، فقد بينت هذه الآيات أنَّ النظام الزراعي في القرآن مبني على تنوع المحاصيل، والمنتجات النباتية، ومن الأصناف التي ركَّزت عليها هذه الآيات: الزَّرع والزيتون والنخيل والأعناب، فهذه الأنواع تمثل مختلف الطبقات النباتية: العُشْبية، والجَنينية والشجرية،

---

(١) ينظر: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ، د/ أحمد مصطفى متولي ص ٣١٤ .

(٢) سورة المؤمنون: (١٨) : (٢٠) .

(٣) سورة النحل: (١٠) : (١١) .

وتواجد هذه الطبقات في النظام الزراعي يُمكِّن مِنْ التوازن الأيكولوجي في هذه الأنظمة البيئية .

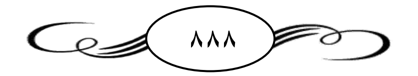
وفي التركيز على هذا التنوع البيولوجي داخل النظام الزراعي، تعريض غير مباشر على مساوئ الزراعات الوحيدة «mono culture» ، والتي أظهرت التجارب الزراعية الحديثة البعض منها كافتقار التربة، وكثرة الأمراض، والآفات النباتية والحشرات واكتسابها مناعة ضد المبيدات . وهناك أيضاً إشارة في الآيات إلى ضرورة احترام الدورة الزراعية، وتداول المنتوجات على المقسم الأرضي الواحد خلال السنوات، وما فيها من منافع: كخصوبة التربة، وارتفاع الإنتاج، والقضاء على الآفات والحشرات، ناهيك عن الفوائد الاقتصادية والتقنية التي تتمثل في الاستعمال الأمثل للأرض، واليد العاملة طِيلة العام[١] .

وفي قوله تعالى: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ من آية : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشابِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٢] ، ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ النهي هُنا خاص بالأكل، ومِنهم مَنْ قصره على تجاوز المفروض في الزكاة إلى حد يجحف به، وبعضهم جعله الإنفاق في

---

(١) ينظر: النظام الزراعي في القرآن والسُّنَّة ومظاهر إعجازه، بقلم م/ محمد عبد الهادي الشيخ، بحث منشور على الشَّبكة العنكبوتية «الإنترنت»، بتاريخ / الثالث من رمضان ١٤٢٤هـ، والموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ص ٤١٥ .

(٢) سورة الأنعام: (١٤١) .



المعصية، وهناك مَنْ قال: نُهوا عن السرف في كل شيء، فيعم الأمر جميع نواحي الحياة[١]، ورجَّحه ابن جرير فقال: (وَالصَّوَاب مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ نَهَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ عَنْ جَمِيعِ مَعَانِي الْإِسْرَاف، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهَا مَعْنى دُونَ مَعْنى، فَإِنَّ الْآيَةَ قَدْ كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِسَبَبٍ خَاصٍّ مِنَ الْأُمُورِ، وَالْحُكْمُ بِهَا عَلَى الْعَامِّ، بَلْ عَامَّة آي الْقُرْآن كَذَلِكَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.)[٢]

وأذكر في هذا السياق بعض مظاهر الإسراف في النظام الزراعي، والتي هي دعوة من المُشرِّع – سُبْحَانَهُ– لعدم الإسراف، والتي تكون بمثابة رؤية جديدة لزراعة مُتطورة ومُتوازِنة في نفس الوقت: الإسراف في الأسمدة واستعمال الأدوية والمبيدات: يحدث اضطرابات فسيولوجية للنبتة، ويتسبب في تلوث البيئة والمياه، ونقص المناعة الذاتية للنبات، واكتساب الحشرات الضارة مناعة قوية مما يستوجب استعمال مبيد آخر أكثر سمية وأغلى ثمناً، ومِن ثَمَّ الدخول في حلقة مُفرغة، ويؤدي أيضاً إلى إبادة كلية للحشرة الضارة، فيختل التوازن البيئي بين هذه الكائنات .

(١) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ٢/ ١٥٠، ط: دار الوطن، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ، والبحر المحيط ٤/ ٦٧٠، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٨٥/٢، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى ،١٤٢٢هـ، ومحاسن التأويل ٥٠٨/٤ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧٦/١٢، ١٧٧، ت: أحمد شاكر، ط: الرسالة، الأولى، ١٤٢٠هـ .



الإسراف في السقي: يؤدي إلى تعفن الجذور والتربة، وتؤخر موعد النضج، وانتشار الأوبئة ؛ لذا فإنَّ تطور وسائل الري مثل الري قطرة قطرة تمكِّن من الاقتصاد في المياه .

الإسراف في استعمال الآلات الميكانيكية الثقيلة: يسبب ضغط التربة خاصة عندما تكون مبللة، ويؤثر على قوامها، ويعرضها لكثرة الانجراف، ويُكوِّن طبقة من التربة غير نافذة للماء تؤثر سلباً على نمو النبات .

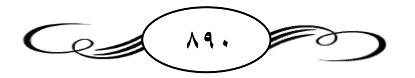
الإسراف في الاهتمام بكمية الإنتاج على حساب نوعية المنتوج: وهي المحاصيل المُعدَّلة جِينياً، يحدث كوارث بيئية وصحية؛ إذ ثبت في علم الجينات أنَّ تطوير الجين المسؤول عن كمية الانتاج يؤثر سلباً على جينات المقاومة للحشرات أو نقص المياه أو الملوحة(١) .

وبعد: هذه مجرد إشارات أظهرتها لنا الآيات السابقة؛ لتصوغ لنا نظاماً زراعياً متكاملاً متوازناً، فيه من الإعجاز والبلاغة ما يعجز عنه القلم، ويخرس اللسان، ويخشع له الجَنَان، ولو جلسنا نُعدِّد آيات القرآن الواردة في هذا ونحصيها، ما أدينا حقها، وما اسْتوفينا معانيها، وحَسْبك من القِلادة ما أحاط بالعُنُق .

ولو أَمعَنْتَ النظر في الخطاب الوارد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ

---

(١) ينظر : النظام الزراعي في القرآن والسنة ومظاهر إعجازه للمهندس/ محمد عبد الهادي الشيخ .



الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (١) لوجدته يتوجه إلى العقول والقلوب معاً بأسلوب نافذ، وإذا كان ما عدَّدته الآية مُسْتمداً ممَّا كان يمارسه العرب من وسائل؛ فلأنهم أوَّل من خُوطِبوا به، غير أنَّ ما تعنيه من التذكير بنعم الله على البشر، ونظامه في الكون، وقصد استرعاء الأسماع والأذهان، والِاسْتِدْلَال على قدرته وإحاطته بكل شيء، وإتقانه نواميس وأسباب الحياة، وشكره، وإسلام الوجه له، ممَّا يستقيم توجيهه إلى كل الْخَلَائِق في كل زمان ومكان(٢) ؛ ولذا قال سبحانه: ﴿مِمَّا خَلَقَ﴾، ولم يذكر شيئاً بعينه؛ لأنَّ أنواع ما خلق، وكان منه الظِلال كثيرة ومستمرة إلى يأذن الله بإنتهاء الدنيا ومَنْ عليها، وهذا يختلف باختلاف كل عصر، فلكل ما يناسبه(٣) .

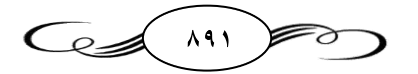
ممَّا سبق تبيَّن لنا أن القرآن قد حض على التجديد في مجال الصناعات المختلفة حربية كانت أو زراعية أو دوائية أو حيوانية ...الخ، واستجابة لهذا المطلب الإلهي يجب على الإنسان أن يتمكن من فهم نظام الكون وقوانينه التي يحيا بها، ويستفيد مِمَّا سخره الله له؛ لأنَّ الله فطره على هيئة تُؤهله لفعل ذلك، وزوَّده بالاستعدادات والقدرات العقلية والجسدية التي تمكنه من تطبيق الوحي على أرض الواقع، وتحويل ما يتلقاه من علوم وأفكار إلى ممارسات عملية في مَعِيشته، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ

---

(١) سورة النحل: (٨١) .

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٣/ ٤١٢، ط: دار الكتب العلمية، الأولى،١٤٢٢هـ، ومفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٥٣، والتفسير الحديث ١٦٢/٥ .

(٣) ينظر: زهرة التفاسير ٤٢٣٦/٨ .

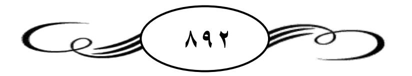


الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[1]، وإذا كان الله قد علَّم آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام جميع الأسماء قبل أن ينزله إلى الأرض، فمعنى هذا أنه وهبه مفاتيح العِلم التي هي في الوقت ذاته مفاتيح الحضارة والصناعة على ظهر البَسِيطة، وعلى ذريته من بعده أن يطرقوا أبواب البحث، ويسلكوا جميع السُّبل الموصلة إلى الوظيفة التي كلفهم الله بها واستَخلَفهم عليها، فهم لا يزالون جَاهِدين في إدراك أسرار هذا الكون إلى أنْ يَأذن الله بزواله وفنائه .

كما يجب على المسلمين أن يعضوا بالنواجذ على الآيات التي رغبت في الإبداع في مجال التصنيع؛ ليتمكنوا من التفوق على خصمهم عتاداً وتقنية، وبذلك يتم منافستهم والتغلب عليهم، وعليهم أيضاً أن يَسْتَضِئوا بما عرضه القرآن من حضارات الأُمم السابقة حيث وصفها وصفاً دقيقاً يَفيض بالروعة والجمال كحضارة «عاد، ثمود، صالح، داود، سليمان، بلقيس، ذي القرنين» ... الخ، والتي ما هي إلَّا نماذج تتجلى فيه قدرة الاختراع والتجديد، ممَّا يدفعنا إلى الإيمان بعبقرية العقل البشري على مر العصور، وتوالي القرون، ويحفزنا إلى أنْ نصْبُو إلى ما وصلوا إليه من تقدم وازدهار، بل نَرْبُو عليهم بما وهبنا الله من تقنيات حديثة معاصرة، اقْتِداء بمَنْ سبقونا من أَسْلافنا العِظام، وفي هذا يقول سنيوبوس: (بواسطة العرب دخل العالم الغربي الذي كان بربرياً في غِمار

---

(١) سورة البقرة: (٣١) .



المَدنِيَّة، فإذا كان لأفكارنا وصناعاتنا ارتباط بالقديم، فإنَّ جِماع الاختراعات التي تجعل الحياة سهلة لطيفة قد جاءتنا من العرب.)[1] ، **وَاللَّهُ أَعْلَمُ .**

---

(١) الحضارة والتَّمدُّن الإسلامي بأقلام فلاسفة النَّصارى، د/ عبد المُتعال محمد الجبري ص ٤٢، ط: مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى، ١٤١٤هـ، وهو شارل سنيوبوس مُؤرخ فرنسي مُعاصر، ولد في لاماستر ١٠ سبتمبر ١٨٥٤م، وتوفي في يلوبازلانك أبريل ١٩٤٢م، أحد أساتذة السربون، من مؤلفاته: تاريخ الحضارة، تاريخ شعوب الشرق. ينظر ترجمته: النقد التاريخي، ترجمها عن الفرنسية والألمانية: د/ عبدالرحمن بدوي ص١٠، ط: وكالة المطبوعات، الكويت، الرابعة، ١٩٨١م .



المطلب الخامس

التجديد في المجال العسكري

من يمعن النظر في الآيات التي تحدثت عن النظام العسكري يجد أنَّها قد صِيغت بأسلوب فريد يتصف بالشمولية، ووضع القواعد العامة، والخطوط العريضة للأصول والمبادىء التي تقوم عليها العسكرية، وتركت الفروع تبعاً لحاجة الأُمة التي تختلف من جيل إلى جيل حَسب الطاقات والإمكانيات المتوفرة لديها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]، يلاحظ أن الأمر الإلهي قد جاء في صورة عامة، بحيث يشمل إعداد وتجهيز القوات في أوقات السِّلم، والقيام بحشدها استعداداً لتنفيذ القتال، وواضح أنَّ «الإعداد» هنا يشمل عنصر القوة ممثلة في القوة البشرية وتدريبها وإعدادها، وتوفر الأسلحة والمُعدات، ووسائل الاتصال، والتجسس والتصنت والمراقبة، والمراسلة، ووضع الخطط والبرامج ... الخ، فكيف ينفذ المسلمون هذا الأمر الرباني، هل يستطيعون دون الاستعداد للعدو بمواكبة التطور، ومُستجدات الحياة في هذا المجال ؟

يقول الشيخ/ مُحَمَّد رشيد: (يجب إِعْدَاد الْأُمَّة كُلَّ مَا تَسْتَطِيعُهُ مِنْ قُوَّةٍ لِقِتَالِ أَعْدَائِهَا، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ عَدَدُ الْمُقَاتِلَةِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ السِّلَاح، وَهُوَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ وَالْأَحْوَالِ، وَقَدْ كَثُرَتْ أَجْنَاسُهُ وَأَنْوَاعُهُ وَأَصْنَافُهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَمِنْهُ الْبَرِّيُّ وَالْبَحْرِيُّ وَالْهَوَائِيُّ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الزَّادُ وَنِظَامُ سَوْقِ الْجَيْشِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الْكَثِيرَةِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ

(١) سورة الأنفال: (٦٠) .



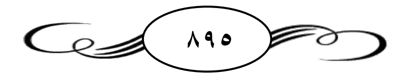
بِالْبَدَاهَةِ أَنَّ إِعْدَادَ الْمُسْتَطَاعِ مِنَ الْقُوَّةِ يَخْتَلِفُ امْتِثَالُ الْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ بِهِ بِاخْتِلَافِ دَرَجَاتِ الِاسْتِطَاعَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ بِحَسْبِهِ .

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ صُنْعُ الْمَدَافِعِ بِأَنْوَاعِهَا وَالْبَنَادِقِ وَالدَّبَّابَاتِ وَالطَّيَّارَاتِ وَإِنْشَاءُ السُّفُنِ الْحَرْبِيَّةِ بِأَنْوَاعِهَا، وَمِنْهَا الْغَوَّاصَاتُ الَّتِي تَغُوصُ فِي الْبَحْرِ، وَيَجِبُ عَلَيْهِمْ تَعَلُّمُ الْفُنُونِ وَالصِّنَاعَاتِ الَّتِي يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا صُنْعُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَغَيْرِهَا مِنْ قُوَى الْحَرْبِ.)[1]

لقد أشارت الآية إلى أنَّ أدوات الحرب تتغير؛ لأنَّ الناس لمْ يشغلهم شيء كما تشغلهم القوة التي يحمون بها أرضهم وأعراضهم، ولا يغفل عن ذلك إلَّا الذي لا يصلح للقيادة، فنصت على القوة التي ترهب عدو الله وعدوهم، وهذه لا تتغير، فإذا كان رِبَاط الخَيْل في زمن النزول هو العنصر الأقوى والأصلب في الجيوش، فإن هذا العنصر قابل لأن يتغير، وأنْ يكون بدل رِباط الخَيْل مصانع إعداد آلة الحرب، وشيوخ وعلماء، وعلوم الصنائع في مَحَارِيبهم التي هي معاملهم قائمين قاعدين؛ ليَصِلوا إلى ما يفاجأ به العدو في إعداد جيوشهم؛ فليس المطلوب أنْ نكون على مستواهم في صناعة السلاح، وإنَّما المطلوب أنْ نكون أفضل؛ لأنَّ القوة التي ترهب هي قوة الردع التي هي أعلى[2] ، وتماشياً مع الأمر الإلهي وسياسة الواقع فقد درَّب النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه على فنون

(١) تفسير القرآن الحكيم ١٠/٥٣، ٥٤، ١٢٥ .

(٢) مجلة الأزهر، يصدرها مجمع البحوث الإسلامية، جزء ١٢، سنة ٨٩، عدد: ذو الحجة ١٤٣٧هـ= سبتمبر ٢٠١٦م، مقال أ.د العلَّامة / محمد محمد أبو موسى، بعنوان: من مداخل التَّجديد ص٢٦٤٥ .



القتال المتعددة من رمي وفروسية وسِباق، وصناعة آلات الحرب، وإذا كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد فسَّر لفظ: «القُوة» في قَولِهِ: ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ بما رواه عُقْبَة بْن عَامِرٍ، حيث قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ﴾، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[1] ، لكن تفسيره هذا يشمل كل ما يرمى به العدو من سِهَام وقذائف ومدافع وطائرات عابرة للقارات، وإنْ لم يكن موجوداً ومعروفاً في عصره، فكل ما ذُكِر لا بد مِن توفر عنصر «القُوة» فيه، وليس المراد من تفسيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصر «القوة» في آلة الرمي، ولا يعقل أن يقف النَّص القرآني مع هذا الحد من التفسير النبوي، وإلَّا عمَّ الضرر المسلمين، وترتب على ذلك مفاسِد عظيمة لا يقادر قدرها إلَّا الخالِق، خاصة في هذا العصر الذي تقدمت فيه الدول، وبلغت مبلغاً كبيراً في مجال تصنيع الأسلحة الفتاكة، وتطورت في طريقة القِتال تِجاه أعدائها وخُصومها، بل أصبحت تتسابق وتتنافس في اختراع أشد أنواع المدمرات، وبما أن الجهاد ماضٍ في الأمة إلى يوم القيامة فإنَّه يحرم عليها أنْ تتوقف عن الإعداد والاستعداد، والإعداد ليس محصوراً في صورة واحدة، بل له صور كثيرة متعددة، فهو يستوعب كل صور الإعداد المادية والمعنوية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها؛ لأنَّ لفظ: ﴿مَا﴾ في الآية اسم موصول، وهو من ألفاظ العموم وصيغ الشمول، فتشمل كل صور الإعداد المعروفة في الماضي، والموجودة في الحاضر، وكذا المجهولة التي ستظهر في المستقبل، وأنت خبيرٌ أنَّ هذا

---

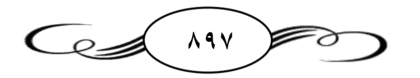
(١) أخرجه مُسلم في صحيحه كِتَاب الْإِمَارَةِ بَاب فَضْل الرَّمْي وَالْحَث عَلَيْهِ، وَذَم مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ ١٥٢٢/٣ برقم ١٩١٧ .

الاستنباط يتفق مع القاعدة التي تنص على أنَّ «القرآن يجري في إرشاداته مع الزمان والأحوال في أحكامه الراجعة للعُرف والعوائد»(١) .

وإذا كان الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه امْتطوا كل مركوب في عهدهم، وأتقنوا ركوبه، وإذا كان القرآن قد أشار إلى وجود مركوبات أخرى غير ما كان موجوداً، وقد وجد بالفعل في هذا العصر مركوبات مُدهشة برية وبحرية وجوية، وإذا كان الله قد أمر المؤمنين بإعداد ما يستطيعون إعداده؛ لإرهاب عدوهم، فإنَّه يجب عليهم السعي الجاد في اكتشاف كل مركوب يوجد على ظهر الأرض مِمَّا فيه فائدة لهم، وعليهم أنْ يتدربوا على ذلك، ابتداء من الدراجة العادية التي تُساق بالقوة البدنية، وانتهاء بالمراكب الفضائية والبحرية العملاقة، فقد يحتاجون إلى الصغير من المركوبات كما يحتاجون إلى الكبير منها(٢) ، ومن خلال التجربة والواقع اللذين يشهدان على أنَّ الجندي إذا لم يتم تأهيله حسب المستجدات الحديثة؛ ليصل إلى أفضل مستوى ممكن، تضعف لديه الإرادة والحماس عند القِتال، وهذا يتعارض مع النُّصوص والتوجيهات الإسلامية، فعن عُقْبَةَ بْن عَامِرٍ أنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ عَلِمَ

(١) ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي ص ٦٢، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ، ومختصر في قواعد التفسير، د/ خالد بن عثمان السبت ص ٢٨، ط: دار ابن القيم، دار ابن عفان، الأولى ١٤٢٦هـ .

(٢) ينظر: الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، د/ عبد الله بن أحمد القادري ١/٤٦٠، ط: دار المنارة، جدة، الثانية، ١٤١٣هـ .



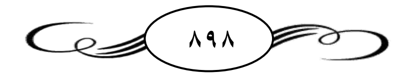
الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا»، أَوْ «قَدْ عَصَى»[١] ، فانظر إلى هذا التوجيه النبوي الذي يتضمن التحذير والتهديد من ترك الرمي؛ إذ فيه اضمحلال وفقدان للمهارة المكتسبة بالتدريب والممارسة، وتلك دعوة ضمنية للمداومة والاستمرار على التمارين والتدريبات العسكرية المختلفة، والحرص على التطوير والتجديد؛ «لأن الذي يشترك في صناعة الأسلحة من قريب أو بعيد فإنه سيثاب ثواب المجاهدين في سبيل الله؛ لأنَّه شارك في الإعداد، فلا جهاد بدون الإعداد»[٢] ، فالواجب إذاً على المسلمين أن يقابلوا الأعداء بمثل السلاح الذي يقابلهم به، بل بأسلحة وأساليب غير معروفة عنده حتى يفاجئهم، ويكسر شوكتهم، ويضعف معنوياتهم؛ لا سيما وأنَّه أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تعطيل السيف، فعَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله: «من أَشْرَاط السَّاعَة سوء الْجوَار، وَقَطِيعَة الْأَرْحَام، وَأَن يُعطَّل السَّيْف من الْجِهَاد»[٣]، وقد عطل السيف فلم يعد يقاتل به في الجهاد، واستُبدل بالأسلحة الحديثة، ولذا لم يقل «يُعطل الجهاد» ؛ لأنَّه ماضٍ إلى أن تقوم الساعة بأي سلاح أو وسيلة .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كِتَاب الْإِمَارَةِ بَاب فَضْل الرَّمْيِ وَالْحَث عَلَيْهِ، وَذَمّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ ٣/١٥٢٢ برقم ١٩١٩ .

(٢) ينظر: التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال، ماجستير، أحمد تالي إدريس ص١٥٤، ١٤١٠هـ، جامعة أم القرى، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية المقارنة .

(٣) أورده السيوطي في الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور٧ /٤٦٨ وعزاه لابْن مرْدَوَيْه والدَّيْلَمِي، ط: دار الفكر، بيروت، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «لَيْسَ هَذَا بصحيح؛ عُمَر بْن هارون لا يعرف» . العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي ٢ / ٣٦٨، ط: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، الثانية، ١٤٠١هـ .



وقد كان الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصاً على أنْ يحصل الصحابة على أحدث الأسلحة، فقد رأى في يد الزُّبَيْر بْن الْعَوَّام نوعاً جديداً من الرِّماح يقال له: «الْعَنَزَة»[1] أَعْطَاه إِيَّاهَا النَّجَاشِي، فَأَخَذَهَا مِنْهُ، ثُمَّ أمر الزُّبَيْر أن يصنع لجيشه مثلها، وأن يُدربهم عليها[2] ، وفي غزوة الأحزاب أشار عليه سَلْمَان الْفَارِسِي رَضِي الله عَنهُ بحفر خندق حول المدينة؛ يحميها من الغُزاة، فأعجب برأيه، ونفَّذه على الفور، مع كونها فكرة جديدة على المجتمع العربي آنذاك؛ ليفتح المجال للأُمة مِنْ بعده في استخدام كل ما هو جديد في المجال العسكري؛ لذا لمْ يقلْ هذا من أساليب المجوس لا نستخدمه، فلم يتقيَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقوالب العسكرية الجامدة التي أَلِفَها العرب عدة قرون مَضَتْ، كما استخدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَنْجَنِيق والدَّبابة في غزوة الطَّائف[3]، وترتيب الصفوف في غزوة

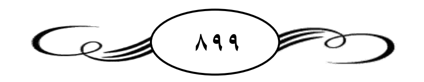
---

(١) «الْعَنَزَة»: أطول من العصا، وأقصر من الرمح، قدر النصف أَو أَكثر شَيْئاً، فِي أَسْفَلِهَا زُجٌّ كزج الرمح، يتوكأ عليها . ينظر: كتاب السلاح لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم ص ٢١، ط: الرسالة، الثانية، ١٤٠٥هـ، ومختار الصحاح ص ٢١٩ .

(٢) ينظر: صحيح البخاري كتاب المغازي ٥/ ٨١ برقم ٣٩٩٨، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس ٢٧٦/١، ط: دار القلم، بيروت، الأولى، ١٤١٤هـ .

(٣) ينظر: المغازي للواقدي ٩٢٧/٣، ط: دار الأعلمي، الثالثة، ١٤٠٩هـ، وإنسان العيون في سيرة الأمين المأمون للحلبي ٣/ ١٦٧، ط: دار الكتب العلمية،الثانية، ١٤٢٧هـ، وقال الصنعاني: «أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد فِي الْمَرَاسِيلِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ» . سبل السلام: شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ٢/ ٤٧٧، ط: دار الحديث .

والْمَنْجَنِيق: آلَة ترْمَى بِهَا الحِجارة على العدو، وَذَلِكَ بأَنْ تشَدَّ سَوار مُرتَفِعَة جِداً من الخشَب، يوضَعُ عَلَيْهَا مَا يُرادُ رَمْيُه، ثمَّ يُضْرَبُ بسارِيَةٍ تُوصله لمَكانٍ بعيدِ جِدّاً، ==



بدر؛ إذ العرب كانوا يعتمدون على طريقة الكَر والفر في الحرب[1]، فهذه الأساليب لمْ تكُنْ معروفة لديهم في هذا الوقت؛ وقد احتاجوا إليها بعد اتساع رقعة الدولة، واختلاطهم بجيوش لها تاريخ في التخطيط والتنظيم كالفُرس والروم وغيرهما[2] .

ولو نظرتَ في قول الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]، لوجدت أن فيه دعوة إلى الجِهاد والنفير في سبيل الله على كل حال حين تدعو دواعيه، وتقوم أسبابه، والمتفق عليه لدى العقلاء أنَّ هذا يختلف باختلاف الزمان والمكان، وتبعاً للإمكانيات والظروف والاحتياجات، وهذا ما يُعرف في العصر الحديث بـ «الجيش الاحتياطي» .

يقول أ.د/ محمد سالم أبو عاصي: (الصيغة عامَّة ﴿انْفِرُوا﴾، ﴿وَجَاهِدُوا﴾، والخطاب موجه إلى الأُمَّة كلها، والخصوص فيه مفهوم بأنه المقصود قيام القادرين المهرة بالفنون القتالية، فالمقصود الخصوص، ولو امتنع الجميع أثم؛ لأنَّ الدلالة في الأصل للعموم، وهذا ما يطلق عليه

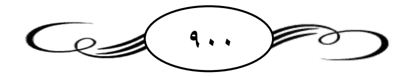
==

وَهِــي آلــةٌ قَديمــةٌ قبــلَ وَضْــع النَّصــارَى البــارُودَ والمَــدافِعَ . تــاج العــروس للزبيدي ١٣٢/٢٥ .

(١) «الْكَرُّ والْفَرُّ»: الهجوم والتراجع . ينظر: مختار الصحاح ص ٢٣٦، ٢٦٨، لسان العرب ٥/ ٥٠ ، ١٣٥ .

(٢) ماذا قدَّم المسلمون للعالم، إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، د/ راغب السّرجاني ٥٢٢/٢، ط: مؤسسة اقرأ، القاهرة، الرابعة، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م .

(٣) سورة التوبة: (٤١) .



بالفرض الكفائي، وبذلك تتحق الصيغة العامَّة والصيغة الخاصة، وكلتاهما مقصودة من الخطاب.)[١]

إن العالم يشهد مع كل شروق شمس تطوراً جديداً، واكتشافاً حديثاً، وتقنية فريدة، والمراقب لحالة التطور والاكتشاف يوشك أن يصعق؛ لشدة التسارع والتحول الدائم والمذهل، لذلك فإنَّ الإنسان الذي يغتر بإمكانياته، ويَقْنَع بمستواه، أو يقع تحت الحِصار المشدد، يجد نفسه بعد فترة قصيرة في ذيل القافلة، ولا قيمة للمهارات التي يمتلكها أمام المكتشفات الحديثة؛ لذا يتعيَّن على المسلم ألَّا يتوقف أمام عجلة الزمان؛ لأنَّها لا تعرف الوقوف، وأنْ يتحرك بكل قوة لينافس الآخرين، ويسابق المكتشفين، ويكون من أوائل الفائزين، ولا ينتظر ما يتفضَّل به الغرب علينا من فُتات علومهم، بل لا بُدَّ أن نكون على وِفق أحدث النظريات التنظيمية والإدارية، وأن تكون من نتاج أبحاثنا، ومن ثمرة جهودنا، وقد أثبتت التجارب عبر تاريخنا الطويل مقدرتنا الفائقة على الإبداع والابتكار والاختراع[٢] .

ممَّا سبق تبين لنا أنَّ القرآن قد دعا إلى مواكبة التطور التكنولوجي، والتجديد في المجال العسكري بما يتضمنه من أسلحة ومعدات ثقيلة وخفيفة، دفاعية وهجومية، جوية وأرضية وغيرها، بل ما توصل إليه العلم الحديث من مفاهيم وأُسس ونظريات في المجال العسكري

---

(١) مناشىء الدلالة في القرآن الكريم ص ٥١، ط: مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى، ٢٠٢٠م .

(٢) ينظر: النظريات العسكرية بين الإعداد والتخطيط ص ٢٠٧ .



إنَّما هو مأخوذ في الأساس من تعاليم الإسلام المجملة وقواعده الكلية، وأنه لا معنى للجمود والوقوف عند أشكال القوة التقليدية أمام النهضة العلمية الحديثة التي وصل إليها العالم في مختلف المجالات حتى غدا العالم قرية صغيرة، بل أصبح الإنسان في كثير من الأحيان عاجزاً عن متابعة التطور التقني المتلاحق؛ ولهذا لو توصل عدونا إلى اكتشاف جديد لا مانع من الاستفادة منهم، طالما ليس به مخالفة أو مصادمة لنص قرآني أو سنة صحيحة، وحقق مصلحة راجِحة للمسلمين، وبهذا يستطيع المسلمون مضاهاة أقوى جيوش العالم، وكُل هذا يأتي في إطار الأمر بالإعداد الذي أوجبته الآية الكريمة في قوله تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ﴾ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

المطلب السادس

التجديد في التفاعل الحضاري

لقد حث القُرآن في آيات كُثر على التفاعل الحضاري(١)، وتقوية الروابط بين البشر جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وبيَّن أنَّ هذا التنوع لا يقتضي النزاع والخِلاف، بل يوجب التعاون والتكاتف؛ لتلبية

(١) التفاعل الحضاري: هو سلسلة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين كائنين إنسانيين أو أكثر. ينظر: علم الاجتماع التربوي وقضايا الحياة التربوية المعاصرة لعلى أسعد وطفة ص١٦٢، ط: مكتبة الفلاح، الكويت، الثانية، ١٩٩٨م، وهو أيضاً التواصل الإنساني وتبادل المنافع بين الأُمم؛ للإستفادة من المعطيات والمعارف النافعة؛ ليتحقق بناء الفرد وازدهاره ازدهاراً صالحاً، علمياً وفكرياً وخُلقياً واجتماعياً ونفسياً واقتصادياً وعسكرياً . ينظر: كتاب الأُمة، بحث ضوابط التفاعل الحضاري وسائله وآثاره التربوية، عبد الوالي محمد يوسف ص ٣٣، ط: الأُولى، المحرم، ١٤٣٦هـ .



جميع مُتطلبات الحياة المُختلفة، وما انتشرت حضارات العالم المُتعددة إلَّا عن طريق تفاعل البشر مع بعضهم البعض، قَال تَعَالَى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾[١]، وقَال تَعَالَى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾[٢]

كما رسم القرآن حدود العلاقة الإنسانية، فبيَّن أنَّها يجب أن تكون سائدة على التعارف الذي يصحبه المودة والتعاون؛ ولذا كان الأصل في علاقات الدول السِّلم لا الحرب، فالمسلم ينظر إلى مَن يخالفه نظرة الود الراحم، لا العداوة القاطعة[٣]، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٤] ، فانظر كيف وصف الله الغاية الاجتماعية للنَّاس شعوباً وقبائل بأنها «التَّعارف»، لم يزد على هذه اللفظة التي لا تشذ عنها فضيلة من فضائل الاجتماع قاطبة، ولا تجد رذيلة اجتماعية يمكن أنْ تدخل في مدلولها ولن تجدها إلَّا منصرفة عنها في الغاية[٥] .

---

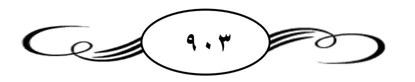
(١) سورة البقرة: (٢٥١) .

(٢) سورة الحج: (٤٠) .

(٣) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، تأليف: محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة ص ٣٥٩ بتصرُّفٍ، ط: دار الفكر العربي .

(٤) سورة الحجرات: (١٣) .

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص ٧٢ ، ط: دار الكتاب العربي، الثامنة، ١٤٢٥هـ .



والتعارف يبدأ أوَّل ما يبدأ بالحِوار والتعايش مع الآخر، لذا جاء الخطاب القرآني موجهاً للناس جميعاً بلا استثناء ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، وكلمة النَّاس في اللُّغة تُطلق على الجنس البشري، وقد ورد هذا اللفظ بهذا المعنى في القرآن مائتين وإحدى وأربعين مرة[١]، وجاء لفظ «الإنسان» خمساً وستين مرة[٢][٣] ، من هنا دعا القرآن إلى طرح الحوار حتى مع المُخالِف لنا في العقيدة، فقَالَ: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾[٤] ، وهذا الحِوار مع التفاعل الحضاري لا بُدَّ أنْ يستندا إلى أُسس ثابتة، وضوابط مُحكمة، وأنْ يقوما على مُنطلقات راسخة، ويمكن حصرها في ثلاثة أمور:

الأوَّل: الاحترام المتبادل، قَال تَعَالَى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٥]، وهذا يفترض وجود قواسم مشتركة - كالعدل والمساواة والحرية .. الخ - تكون إطاراً عاماً للحوار .

الثاني: الإنصاف والعدل، قَال تَعَالَى:﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ

---

(١) ينظر: الدليل المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٨٦٢: ٨٦٤ .

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٩٣، ٩٤ .

(٣) الحوار بين الحضارات وقضايا العصر: العولمة وآثارها على الخصوصيات الثقافية، فوزية العشماوي، مجلة الاجتهاد، بيروت، دار الاجتهاد، العدد: ٥٢، ٥٣ ، ص ١٠١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م - ٢٠٠٢م .

(٤) سورة آل عمران: (٦٤) .

(٥) سورة الأنعام: (١٠٨) .



أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾[١]، وهذا يستدعي الاعتراف بالفضل لذويه، ويتطلب الإقرار بالحقيقة وإن لم تكن في صالح جميع الأطراف، ويستلزم الاعتراف بالتعددية الحضارية والثقافية قَال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[٢]، فليس من الإنصاف أنْ تزهو حضارة الغرب، وتغض طرفها عن التعددية الحضارية في باقي الشعوب .

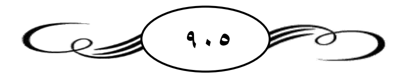
الثالث: نبذ التعصب والكراهية، قَال تَعَالَى:﴿لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣]، والتوجيه القرآني هنا يرقى من مستوى نبْذ الكراهية إلى مقام أرفع، وهو البِر بالناس كافة، وإشاعة فقه الرحمة؛ لبعث مكامن الهداية في نفوسهم[٤] .

(١) سورة المائدة: (٨) .

(٢) سورة المائدة: (٤٨) .

(٣) سورة الممتحنة: (٨) .

(٤) ينظر: الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، د: عبد العزيز بن عثمان التويجري ص ١٨، ٢٠ .



وبتصفح آي الذكر الحكيم يتبين لنا أنَّ مجالات التفاعل الحضاري يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأول: مجالات التفاعل الحضاري المحظورة كالعقائد والعبادات التي وَرَدَ فيها نَصٌّ صريحٌ، كالنهي عن التَّشبه بغيرنا في الطهارة والصلاة والصوم والحج والشَّعائر العامة كما دلَّت على ذلك آيات القرآن ونُصوص السُّنَّة الصَّحيحة[1] .

الثاني: مجالات التفاعل الحضاري الجائزة، وهي التي تحتاج إلى تجديد كالمجال الاقتصادي، وقد أشار القرآن إلى هذا النَّوع، فقَالَ:﴿وَإِنَّكُم لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُصْبِحِينَ* وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقَالَ: ﴿لإِيلافِ

(١) ففي الطهارة: عَنْ أَنَسٍ «أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ النَّبِيَّ فَأَنْزَلَ اللهُ:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ»، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا:مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيه...» . صحيح مسلم كِتَاب الْحَيْض بَاب جَوَاز غُسْل الْحَائِض رَأْس زَوْجِهَا وَتَرْجِيلِهِ وَطَهَارَةِ سُؤْرِهَا وَالِاتِّكَاءِ فِي حِجْرِهَا وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ ١/٢٤٦ برقم ٣٠٢، وفي الصلاة: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِنْ صَلَّى قَائِمًا، فَصَلُّوا، وَإِنْ صَلَّى جَالِسًا، فَصَلُّوا جُلُوسًا، وَلَا تَقُومُوا وَهُوَ جَالِسٌ كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ فَارِسٍ بِعُظَمَائِهَا». مسند الإمام أحمد ٢٢ / ١١٦ برقم ١٤٢٠٥، وقال شعيب: «إسناده قوي على شرط مسلم»، وفي الصوم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ» . أخرجه أبو داود في سننه بإسنادٍ حسنٍ ٢ / ٣٠٥ برقم ٢٣٥٣، والحاكم في المستدرك ١ / ٥٩٦ برقم ١٥٧٣، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

(٢) سورة الصافات: (١٣٧: ١٣٨) .



قُرَيْشٍ* إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ﴾[١]، وكذا السنة فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ[٢] طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ: بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً؟ - أَوْ قَالَ: - أَمْ هِبَةً، قَالَ: لاَ، بَلْ بَيْعٌ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً»[٣] ، وعَنْ عَائِشَةَ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، وَارْتَهَنَ مِنْهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ»[٤]، كما أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يخطب على جِذع نَخلة في المدينة، فلمَّا كَثُر المسلمون واسْتقر له الأمر، اسْتدعى له نجَّار رومي، فصنع له مِنْبَرًا يخطب عليه[٥] ، ولمْ يقلْ: هذا من صُنْع رجل رُومي فلا استعمله .

إن هذه الأدلة تدل دلالة واضحة على جواز معاملة غير المسلمين بالبيع والشراء، وأنَّه لا حرج في ذلك «إِلَّا بَيْعَ مَا يَسْتَعِين بِهِ أَهْل الْحَرْب عَلَى الْمُسْلِمِينَ»[٦]، وفي هذا دعوة إلى تجديد التفاعل الاقتصادي؛ إذ هذا يتنوع بتعدد الوسائل والأساليب في كل زمان ومكان، والتاريخ يبرهن على

---

(١) سورة قريش: (١:٢) .

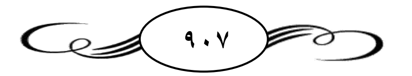
(٢) «مُشْعَانٌّ»: متنفش الشّعْر. غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٤٣، ط: مطبعة العاني، بغداد، الأولى، ١٣٩٧هـ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع بَاب الشِّرَاء وَالبَيْع مَعَ المُشْرِكِينَ وَأَهْل الحَرْب برقم ٢٢١٦ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب السلم بَابُ الرَّهْنِ فِي السَّلَمِ برقم ٢٢٥٢ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب من استوهب من أصحابه شيئاً ٣/١٥٤ برقم ٢٥٦٩ .

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤/٤١٠ .



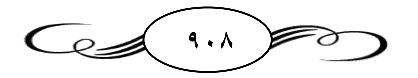
وجود محاولات قديمة للتواصل الإنساني عبر أداة الثقافة غالباً؛ لتحقيق أهداف اقتصادية من خلال سلوك المقايضة في المجتمعات الزراعية والمدنية مثل وِفادة قُصَي بْن كِلَاب على هِرقل الرُّوم؛ لتحقيق هدف تأمين رحلات القوافل القرشية على طريق التجارة للشام واليمن، وقد عرف هذا النظام برحلتي الشتاء والصيف, وإلى هاتين الرحلتين وأثرهما أشار القرآن كما سبق(١) .

كما حث الإسلام على التفاعل في مجال اللُّغات: ونجد ذلك واضحاً من خلال الآيات التي تحدثت عن إرسال الرسل والأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ بلسان أقوامهم؛ ليتمكنوا من إيصال دعوتهم، واستيعاب البشر لها، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا بِلُغَةِ قَوْمِهِ»(٢) ، وفي السُّنة النبوية أدلة كثيرة تجيز وتحض على الاستفادة من الثقافات الأجنبية عبر نقلها إلى العربية، فعن زَيْد بْن ثَابِتٍ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَات مِنْ كِتَابِ يَهُود قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ»، قَالَ: «فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ

---

(١) ينظر: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أحمد إبراهيم الشريف ص١١٨، ط: دار الفكر العربي .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٢٣/٣٥ برقم ٢١٤١٠، وقال شعيب: «متنه صحيح، فقد نصَّ القرآن الكريم على ذلك في غير ما آية، وأمَّا إسناد هذا الحديث، فرجاله ثقات رجال الصحيح، لكن مجاهداً لم يسمع من أبي ذر»، والهيثمي في المجمع ٤٣/٧ برقم ١١٠٩٥، وقال: «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، إِلَّا أَنَّ مُجَاهِدًا لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي ذَرٍّ» .



لَهُ»، قَالَ: «فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ»(١) .

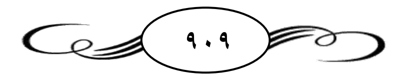
ونجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لكَعْب بْن عَاصِم الْأَشْعَرِي، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ السَّقِيفَة: «لَيْسَ مِنَ أمْ بِرِّ، أمْ صِيَامُ، فِي أمْ سَفَر»(٢)، فهو استخدم لغة اليَمَن الذين يجعلون لام التعريف ميماً؛ لأنَّ الْأَشْعَرِي كان يَمَنِيَّاً، فأراد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يحدث جواً من التوافق بينه وبين المُخاطَب، ويفتح الباب أمام الجميع لتبادل الثقافات واستعمال اللُّغات بحيث لا تكون حِكْراً على أحد .

ولمَّا كانت لغة العلم يومئذ الإغرقية واللاتينية، فقد اتجه المسلمون إلى تعلمهما حتى يستطيعوا نقل العلم إلى اللسان العربي، ومن هنا بدأوا حركتهم العلمية، فترجموا جميع ما كان معروفاً آنذاك، وعكفوا على دراسته، وإن كان سرعان ما اكتسبوا الحاسة العلمية لأنفسهم، وأخذوا يُصححون الأخطاء التي كان العلم الإغريقي يحتوي عليها، وإذا كان الناس سابقاً يتعلمون العربية؛ ليتعرفوا على الإسلام، يوم أن كانت للمسلمين شوكة وقوة، لكن اليوم هم يملكون أسباب التقدم العلمي، ونحن

---

(١) رواه أبو داود في سننه ٣ / ٣١٨ برقم ٣٦٤٥، والترمذي في سننه ٦٧/٥ برقم ٢٧١٥، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْلِيمِ السُّرْيَانِيَّةِ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحاكم في مستدركه ١ / ١٤٧ برقم ٢٥٢، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وقال الذهبي: «هذا صحيح» .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٨٤/٣٩ برقم ٢٣٦٧٩، وقال شعيب: «إسناده صحيح»، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٦١/٣ برقم ٤٩٢٦، وقال: «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ» .



تأخرنا عن الركب، لكن يمكننا من خلال إحياء ثقافة اللُّغات والترجمة التواصل مع الآخر، فتكون وسيلة من وسائل الدعوة، تدفع عنها ما لَحِقَ بها من تشويهات تسبب فيها الجُمُود الفكري(١) .

*وإليك بعض الآليات القابلة للتطبيق والتي يُمكِن أنْ تُسهِم في تجديد التفاعل الحضاري والخطاب الديني على حد سواء، وذلك من خلال الترجمة واللُّغات:

أوَّلاً: إعادة النظر في ترجمة معاني القرآن إلى اللُّغات المختلفة، بحيث يقوم سلة من العلماء المختصين باختيار إحدى الترجمات القريبة من النَّص القرآني، ثُمَّ مراجعتها وتنقيحها؛ لتخرج للعالم بلغاته المختلفة تفسيراً للقرآن لا تشوبه أي شائبة أو تقصير أو تحريف، يتم فيها التركيز على إظهار القِيم الجمالية في القرآن وربطها بالعقيدة .

ثانياً: انتقاء عدد من الكُتب التي تتناول علوم القرآن والسُّنَّة الصحيحة؛ لترجمتها إلى لغات العالم المختلفة وفق معايير عالية الجودة، ومن خلالها يمكن تقديم صورة صحيحة وسطية للإسلام، وتتناول القضايا الشائكة والمثارة في العصر الحالي مثل: قضايا المرأة، الجِهاد وآيات القِتال وغيرها؛ إذ الكتابات التي تقدم لغير المسلمين ينبغي إعطاؤها الاهتمام الملائم لها، كما ينبغي أنْ تعتمد على الحجة العقلية لا النصوص الشرعية فقط؛ لتنفذ إلى عقله ووجدانه معاً .

---

(١) ينظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب ص٨٩ بتصرُّفٍ، ط: مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة، الثانية، ١٩٨٧م.



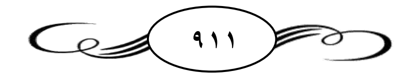
ثالثاً: تقديم دراسة تتناول ردود علماء الغرب المتخصصين في تاريخ مقارنة الأديان على الشُّبهات المثارة حول القرآن الكريم، والتي تنطق بالحجة الصحيحة، بحيث يتم التعاون مع المنصفين، والتواصل مع المعتدلين في المجتمعات الغربية .

رابعاً: تشجيع الدراسات التي تقارن بين القضايا المثارة في الإسلام مع مثيلاتها في اليهودية والمسيحية وغيرها، حيث تظهر الدراسات المقارنة مميزات الإسلام عن الدراسات المباشرة .

خامساً: إرسال بعثات من الأساتذة المتخصصين في علوم القرآن والأديان ممن يتقنون لغات البلاد الموفدين إليها وبصفة دورية؛ لتقديم لقاءات ومحاضرات في المراكز الثقافية والجامعات والمعاهد؛ لتقديم صورة صحيحة عن الإسلام، ومدى صلاحيته للتفاعل مع البشر .

سادساً: مراجعة الكتب الدراسية في الغرب التي تتناول الإسلام بشكل خاطىء عن طريق إبرام بروتوكولات مع وزارات التعليم في هذه الدول، تنص على أنَّ مَنْ يضع مقررات الدين الإسلامي هم علماء المسلمين، بحيث يتم إعادة تشكيل الذهنية الغربية حول الإسلام وثوابته ورموزه .

سابعاً: تسليط الضوء إعلامياً على بعض القواسم المشتركة بين الإسلام وغيره من الشرائع السابقة، والاعلاء من شأن الأنساق المتفقة بينه وبين باقي الحضارات .

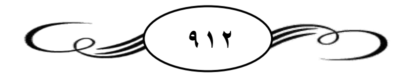


ثامناً: توحيد ترجمة المصطلحات الدينية الإسلامية التي لا يعرفها الغرب، بحيث يخرج هذا العمل في كتيبات تُوزع على المراكز الدِّينية في الغرب؛ لوقف فوضى ترجمة هذه المصطلحات .

تاسعاً: إنشاء مؤسسات متخصصة بلغات متعددة في الحوار مع الآخر في المجالات الدينية والثقافية والاجتماعية وغيرها، وفق ضوابط تراعي السياقات الزمنية والحضارية للمراجع الإسلامية الأصيلة في القرآن وعلومه، والحديث النبوي(١) .

كما أباح الإسلام الاستفادة من الآخرين في مجال الغرائز الجسدية والدوافع النفسية غير المُحرمة؛ فعَنْ عَائِشَةَ عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، أُخْتِ عُكَّاشَةَ، قَالَتْ: حَضَرْتُ رَسُول اللهِ فِي أُنَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ

(١) ينظر: مجلة الأزهر، يصدرها مجمع البحوث الإسلامية، جزء ٤، سنة ٨٩، عدد ربيع الآخر ،١٤٣٧هـ = يناير ٢٠١٦م ص٧٩٣، ٧٩٤، مقال بعنوان: حركة التَّرجمة ودورها في تجديد الخطاب الدِّيني، أ.د/ سعيد عطية علي مُطاوع، عميد كلية اللُّغات والترجمة بالقاهرة، والتطاول الغربي على الثوابت الإسلامية رؤية مستقبلية، د/ محمد يسري ص٧٦، ٧٨، ط: دار اليسر، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ .



أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ[١]، فَنَظَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ، فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلَادَهُمْ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا»[٢] .

قال الشَّنْقِيطِيُّ: (وَقَدْ هَمَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَمْنَعَ وَطْءَ النِّسَاءِ الْمَرَاضِعِ خَوْفًا عَلَى أَوْلَادِهِنَّ; لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ الْغِيلَةَ تُضْعِفُ وَلَدَهَا وَتَضُرُّهُ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ فَارِس وَالرُّوم يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَلَا يَضُر أَوْلَادَهُمْ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ تِلْكَ الْخُطَّةَ الطِّبِّيَّةَ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَصْلَهَا مِنَ الْكُفَّارِ.)[٣]

وهذا التفاعل الحضاري والاحتكاك أدى إلى اعتناق كثير من الغربيين الإسلام، وبهذا فتحت جبهة جديدة في التفاعل الحضاري بقيادة الجاليات المسلمة في الدول الغربية التي بدأت تشكل أحد أبواب الانبعاث الحضاري للإسلام في ظل التطور التكنولوجي الذي يشهده الغرب[٤]، فماذا لو كان ديننا مُنغلقاً على نفسه، ونُصوصه جامدة ليست مُتغيّرة ومُتجدّدة؟!

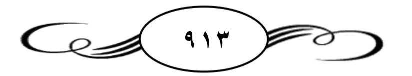
---

(١) «الْغِيلَة»: أَنْ يُجَامِعَ الرجل امْرَأَته وَهِيَ مُرْضِع . غريب الحديث للقاسم بن سلاَّم الهروي ٢/ ١٠٠، ط: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آبا، الدكن، الأولى، ١٣٨٤هـ، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١٠ / ١٦، ط: دار إحياء التراث العربي، الثانية، ١٣٩٢هـ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كِتَاب النِّكَاح بَاب جَوَاز الْغِيلَة، وَهِيَ وَطْءُ الْمُرْضِع، وَكَرَاهَة الْعَزْل ٢/١٠٦٧ برقم ١٤٤٢ .

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣ / ٥٠٦، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

(٤) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم «الجذور، الممارسة، سبل المواجهة»، يوسف الطويل ٤/٤٣، صوت القلم العربي، مصر، الثانية، ١٤٣١هـ .



إن النمــاذج التي تدل على استفــادة المســلمــين مــن غــيرهم في شتى ميادين الحياة لا حصر لها، وكلها ترجع في جوازها إلى قاعدة نبوية، وهي «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»(١)، لكن يجب أنْ يكون هذا التفاعل بعقلية إسلامية، منطلقة من ثـوابتـها العقـائـديـة أهـدافـاً، ومنهـجـاً ومبـادئاً، مُنفَتحة على الفكر الآخر، نقداً واقتباساً، ومنافسة من خلال آيات القرآن وسنة النَّبي العدنان، مِمَّا يضمن لثقافتنا الحياة والحيوية، ويجعلها قادرة على إنتاج الأفكار والمشروعات الهادفة، ومُسايرة الأحداث هُنا وهُناك؛ لتتمكن الإنسانية معاً من مواجهة تحديات العصر ومشكلاته والسعي لحلِّها، والرد على الشُّبهات التي يثيرها أتباع تلك الحضارات، والتعرف على عوامل الانحراف والمرض في كل جماعة منها؛ لتشخيصه وتحديد وسائل علاجه(٢)، فالعالم مُقبل على آفاق جديدة سيتوجب على البشرية أنْ تتقارب بوتيرة أسرع، وأنْ تتبادل الآراء في إطار من المرونة، ممَّا يوجب على العالم العربي أنْ يكون جاهزاً ومستعداً للمشاركة العملية النشيطة(٣) .

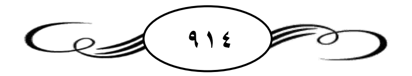
وقد نهى الإسلام المؤمن أنْ يعيش وحيداً مُنعزِلاً عن غيره لا ينفع نفسه، وينتفع به غيره، في وقت كانت الحضارة اليونانية لا تخاطب إلَّا أتباعها، ولا تأخذ إلَّا من علمائها، وكذا الحضارة الفارسية والهندية

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الْفَضَائِل بَاب وُجُوب امْتِثَال مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ ١٨٣٦/٤ برقم ٢٣٦٣ .

(٢) ينظر: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ص ٦٣ .

(٣) ينظر: الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي ص ٢٩، ٣٢ باختصارٍ .



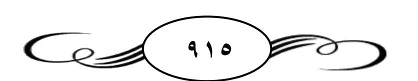
والصينية، ولعل ذلك بقي حتى وقت قريب[١]، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مَرَّ بِشِعبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ، فَأَعْجَبَهُ طِيبُهُ وَحُسْنُهُ، فَقَالَ: لَوِ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ، وَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، ثُمَّ قَالَ: لَا أَفْعَلُ حَتَّى أَسْتَأْمِرَ رَسُولَ اللَّهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي أَهْلِهِ سِتِّينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ، اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[٢]، فمثل هذا الموقف الانعزالي السلبي لا يَنسَجِم مع مقتضيات ومتطلبات العصر، وهو يصدر عن فهم غير موضوعي للتاريخ الحضاري الذي هو في مجمله ثمرة الجهد الهائل، والمتراكم للمسيرة الإنسانية، وعلى هذا النحو كانت حضارتنا حضارة عالمية إنسانية، وكانت الثقافة العربية متفتحة قابلة لاستيعاب كل أنواع الثقافات التي احتكت بها، فلا تعارض إطلاقاً بين الالتزام بالثوابت الدينية، والمحافظة على الهُوية، وبين الأخذ والاقتباس من الحضارات الأخرى، والإفادة من التراث والنتاج المشترك للحضارات الإنسانية على مدى العصور المختلفة[٣] .

---

(١) ماذا قدَّم المسلمون للعالم، إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، د/ راغب السِّرجاني ٤٦/١ ، ط: مؤسسة اقرأ، القاهرة، الثانية، ١٤٣٠هـ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه٤ / ١٨١ برقم ١٦٥٠، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وأحمد في مسنده ١٦/ ٤٥٨ برقم ١٠٧٨٦، والحاكم في المستدرك ٧٨/٢ برقم٢٣٨٢، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وقال الذهبي: «على شرط مُسْلِمٍ» .

(٣) ينظر: منهج التواصل بين حضارات العالم: الإسلام والمستقبل الحضاري، د/ علي فهد الزميع، مؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، عُقد في القاهرة ==



مما سبق يظهر لنا أنه يجب على المسلمين امتثالاً للنُّصوص السالفة تحكيم عقولهم، وإعمال معارفهم المتنوعة في مجال التفاعل الحضاري، وأن يعملوا ويَجدوا في ابتكار وسائل وآليات لتعزيز الحِوار والنقاش بينهم وبين مُختلف الأجناس والأعراق البشرية، وعلى المؤسسات الدينية والإعلامية والتعليمية المساهمة في ذلك، وطرح مبادرات للوصول إلى حالة من التقارب والتفاهم بين الشرق والغرب؛ تحقيقاً لقوله تَعَالَى: ﴿وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[1]، وما يفعله الأزهر الشريف ومؤسساته في هذا الجانب ببعيد عن أنظارنا ومسامعنا، ولا ينكر فضله القاصي والداني، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

==

تحت عنوان: «حوار لا صدام»، ط: مجلة الوعي الإسلامي، عدد: ٣٦٩، ص٣٣، جمادى الأولى، ١٤١٧هـ= أكتوبر ١٩٩٦م .

(١) سورة النساء: (٨٣) .



✍ المطلب السابع

التجديد في المعاملات

المتصفح لآي القرآن يجِد أنَّ هناك أحكاماً كثيرة قد تبدَّلت وتغيَّرت، وحل مكانها تشريعات جديدة؛ استجابة لتغير الظروف، فبعض الأحكام فرضها الله؛ لتعالج مشكلة عند فئة معينة من البشر قد لا تصلح لغيرهم، كالأحكام التي فرضت على اليهود نتيجة تعنتهم وجبروتهم وطغيانهم ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾(١)، ثُمَّ جاءت رسالة عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام لتخفف عنهم ثِقل بعض هذه التشريعات ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾(٢) ، ثُمَّ أتت شريعة الخاتم سَيدنا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتضع عنهم جميع القيود والأغلال التي كانت عليهم ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(٣)

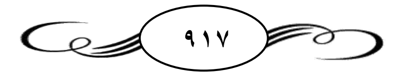
لقد جاءت شريعة الإسلام لتعيد الخلق إلى جادة الصواب، ولتحقق لهم أكبر قدر من المصالح، ولتدفع عنهم الكثير من المفاسد، وترفع عنهم الحرج والمشقة في أمري الدنيا والآخرة، فتطورت مع تطور مَن أُرسلت له، وتدرجت، وتنوعت بحسب الحاجة والمصلحة، فهي لم تكن أحكاماً جامدة، بل أتت محكمة على حسب ظرفها تبعاً لاختلاف الزمان والمكان، وتغير الأحوال والأعراف، وتجدد المعلومات، وتنوع قدرات البشر، وتغير أوضاعهم الاقتصادية والإجتماعية، «فرب حكم تقتضيه المصلحة في حال تقتضي

---

(١) سورة النساء: (١٦٠) .

(٢) سورة آل عمران: (٥٠) .

(٣) سورة الأعراف: (١٥٧) .



في أخرى نقيضه، فلو لم يجز النسخ في جانب المعاملات لاختل ما بين الحِكمة والأحكام من النظام»[1]، قال تَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]

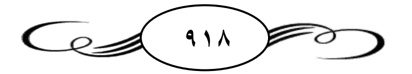
وبنظرة فاحصة في دعوة الرُّسل والأنبياء من خلال آيات القرآن تجِد أنها تتفق وتختلف، تتفق في أصل التوحيد، وإفراد الله بالألوهية والربوبية والعبادة، وتختلف بعد ذلك في أن كل نبي قد راعى مستجدات واحتياجات قومه، وركز على معالجة داء معيَّن، وتغيير تعامل فاسِد كان سائداً في زمانه، فهُود عَلَيْهِ السَّلَامُ حرص على مُدَاوَاة الظلم والطُّغيان الذي استشْرى في قومه ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[3]، ولُوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ركَّز على معالجة انتشار فاحِشة إتيان الرجال في قومه ﴿وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِن دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[4] ، وشُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مُتفشياً في عصره تطفيف الكيل والميزان، فكرَّث جُهده لمعالجة هذا الدَّاء العُضال ﴿وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ إِنِّي أَراكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخافُ

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ١٤٣/١، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٢) سورة البقرة: (١٠٦) .

(٣) سورة الشعراء: (١٢٨: ١٣٠) .

(٤) سورة الأعراف: (٨٠، ٨١) .



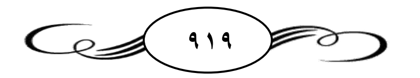
عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[(١)]

كما أن المستقرِء أيضاً لأحكام الشريعة يجد أنَّ النُّصوص القرآنية والنبوية التي يرجع إليها الفقهاء محدودة، لكن وقائع الحياة ومستجدات كل عصر لا تنتهي، من أجل ذلك فإنَّ إنزال النُّصوص على واقع الحياة يتطلب عقلاً راجحاً، وأُفقاً وفقهاً واعياً؛ لذا فتح الإسلام باب الاجتهاد، وإعمال العقل أمام الجميع، بحيث يتعامل المتخصص مع المُستجدات، ويُوجِد لها حلاً من خلال نصوص الشريعة الأصلية وقواعدها الكلية؛ لأنَّ النُّصوص عادة ما تتناول الأحكام العامة، تاركة الدخول في الجزئيات إلَّا في قضايا قليلة من شأنها الدوام والثبات وعدم التَّغير؛ لذا من الخير للناس بقاؤها على ذلك، «على حين أن التقليد يحجِّم من فاعلية النُّصوص القرآنية، ويجعل مجالات الاهتداء بها تتضاءل يوماً بعد يوم؛ لذا دعا الصحابة ومَن بعدهم إلى الاجتهاد، وهذا ما يستلزم علينا أيضاً مباشرته؛ اقتداء بهم وسيراً على منوالهم»[(٢)]، وإذا كان التجديد مطلوباً في كل زمان, فإنَّه في هذا العصر أشد طلباً, والحاجة ماسة إليه أكثر من أي عصر مضى؛ من أجل المتغيرات الجديدة والتحديات التي لم تَكُن موجودة من قبل, وحتى تستطيع الأُمَّة أنْ تُواكِب ركب الحضارة, وتنهض من كَبْوتها, وتسترد مكانتها بين الأُمم[(٣)]، وهذا ما أكدته السنة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١) سورة هود: (٨٤، ٨٥) .

(٢) ينظر: في إشراقة آية، تأليف: أ.د/عبد الكريم بكَّار ص ١٠٤ .

(٣) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي، عدد ٧٥، تقديم: د/ حمدي زقزوق ص٤ بتصرُّف، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٢هـ .



عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[1] .

لقد تركت الشريعة منطقة يسميها الفقهاء «منطقة العَفْو» ؛ ليتولى أهل الاختصاص التعامل مع هذه المتغيرات طبقاً لمصالح البِلاد، ومراعاة لحال العِباد، وقد أخذوا هذه القاعدة من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ اللَّهِ عَافِيَتَهُ; فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَنْسَى شَيْئًا، ثُمَّ تَلَا:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾»[2] .

إنَّ نصوص القرآن قادرة على حل جميع المعضلات سواء أكانت مالية أم أحوال شخصية أم غيرها مصداقاً لقوله تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3]، وقوله: ﴿مَا فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[4]، ففي الآية الأُولى

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه بإسناد صحيح ٤/١٠٩ برقم ٤٢٩١، وقال الهروي: «سَنَدُهُ صَحِيحٌ، وَرِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ» . مرقاة المفاتيح ١ / ٣٢٢، وقال المناوي: «أخرجه البيهقيّ فِي الْمعرفَة عَن أبي هُرَيْرَة بِإِسْنَاد صَحِيح» . التيسير ١ / ٢٦٧، وقال السخاوي: «سَنَدُهُ صَحِيحٌ، وَرِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ». المقاصد الحسنة ص ٢٠٣ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٠٦ برقم٣٤١٩، وقال:«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، وقال الذَّهبيُّ: «صحيح»، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٢١ برقم ١٩٧٢٤، والهيثمي في المجمع ١/١٧١برقم ٧٩٤، وقال: «رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ» .

(٣) سورة النحل: (٨٩) .

(٤) سورة الأنعام: (٣٨) .



جاء لفظ ﴿شَيْءٍ﴾ نكرة، وحينئذ هو قابل للإطلاق والانطباق على كل فرد من موجودات العالم، وشامل لكل أشياء عالم الوجود، ولفظ ﴿لِكُلِّ﴾ من ألفاظ العموم والشمول؛ فإذا ما اقترنت ﴿شَيْءٍ﴾ مع ﴿لِكُلِّ﴾، ففي ذلك دلالة على الإحاطة على النحو الذي يستوعب جُل ظواهر الوجود، وهذا ما يَزْخَر به كتاب الله من بحوث وموضوعات على جِهة الاجمال لا التفصيل، وهذا مِن أَبدَع الْإِعجَاز.[١]

وفي الآية الثانية وقعت النكرة ﴿شَيْءٍ﴾ في سياق النفي ﴿مَا﴾ الذي يعم جميع الأشياء، ثم دخلت عليها ﴿مِن﴾ فنقلت هذا العموم من الظاهرية إلى النصية[٢]، فجَمِيع آيَات الْقُرْآن أَوِ الْكَثِير مِنْهَا دَالَّة بِالْمُطَابَقَةِ أَوِ التَّضَمُّن أَوِ الِالْتِزَام على ما يحتاج إليه البشر في معاشهم ومعادهم[٣]، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٤] ، وعليه لا يصح أن نقف مكتوفي الأيدي، في ظل التطورات الهائلة في شتى مجالات الحياة، وإلَّا تركنا غيرنا ليتلقفوا حاجات البشر المتجددة، ويجدوا لها حلًّا في إطار خارج شريعتنا، وهذا فيه اتهام بالجمود، وعجز الإسلام عن مواكبة متطلبات الحياة المستمرة .

إنَّ ديننا يتسع لكل تجديد سواء كان في الأنماط والأساليب، أو الأسباب والغايات، أو رعاية المصطلحات، والتجاوب مع المصالح والحاجات، فلا

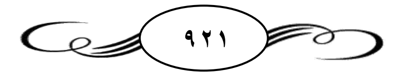
---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥٣، ودراسات في تفسير النَّص القرآني ، التأويل والأفهوم القرآني، مجموعة من الباحثين ٢/١٥٣ .

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٢/ ٢٩٠، البحر المحيط ٤/ ٥٠٣ بتصرف .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ١٢/ ٥٢٦ .

(٤) سورة الملك: (١٤) .

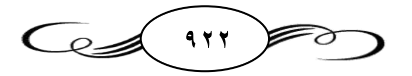


يقف التجديد أمام كل تطور وتقدم، أو علاج مظاهر الضعف، أو الارتقاء إلى أعلى مصاف الأُمم، بل سبق الجميع في ميدان العلم النظري والتطبيقي في مختلف جوانب الحياة من سياسة واقتصاد واجتماع وتخطيط وتنظيم ... الخ(١)، فانظر مثلاً في «قضية الشُّورى» والتي هي مبدأ عظيم نادى بها القرآن، ووضعها في صورة مبادىء عامة ملزمة لا يجوز التنصل منها، قَالَ تَعَالَى:﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٢) ، وقَالَ أيضاً: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ﴾(٣)، وسمَّى إحدى سوره ب «سورة الشُّورى»، ولكنه في الوقت نفسه ترك حرية اختيار الشكل الذي تطبق فيه الشُّورى بما يتناسب مع كل عصر، فجعل تحقيق هذا المبدأ مفتوحاً للبشر يوظفونه بما يصلح لهم تماشياً مع الزمان والمكان الذي يعيشون فيه، دون أن يحدد للناس وسائل تطبيق هذه المبادىء، وتفاصيل العمل بتلك الأصول مكتفياً بالْإِجْمَال دون التفصيل، ففي الماضي كان يأخذ صورة بسيطة ممثلة في أهل الحَل والعَقْد موضع شورى الإمام، أو مَن يراهم الإمام محلاً مناسباً للتشاور، في وقت كانت الديكتاتوريات مسيطرة على أنظمة العالم، فلم يعرفوا «مبدأ الشُّورى»، ولا حتى الديمقراطية – الأقل شأناً منها – إلَّا بعد ما يقرب من اثني عشر قرناً من الزمان، وذلك بعد قيام الجمهورية الفرنسية وذهاب النظام الملكي فيها، أمَّا في عصرنا الحالي فقد اسْتلزم تحقيق هذا المبدأ وجود عِدَّة صور مجتمعة في «البرلمان، الكونجرس، مجلس النُّواب،

(١) تجديد الفقه الإسلامي، د: وهبة الزحيلي ص ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران: (١٥٩) .

(٣) سورة الشورى: (٣٨) .

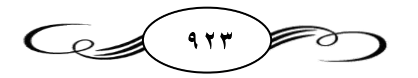


مجلس الشيوخ»، ومؤسسات لدعم القرار، بل تلعب مؤسسات المجتمع المدني دوراً أيضاً في إسداء النصح، وإبداء المشورة، وقد تكون في صورة أخرى لم يفصح عنها المستقبل بَعْد(١)، وقد صدق «ويلز» حينما قال: (كل دِين لا يسير مع المَدَنِيَّة في كل أطوارها، فاضرب به عُرْض الْحَائِط، وإنَّ الدين الحق الذي وجدته يسير مع المدنية أينما سارت هو الإسلام، ومَنْ أراد الدليل؛ فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات ومناهج علمية، وقوانين اجتماعية، فهو كتاب دين، وعلم اجتماع، وخُلق، وتاريخ، وإذا طلب مني أحدد معنى الإسلام فإني أحدده بهذه العبارة: «الإسلام هو المَدَنِيَّة».)(٢)

---

(١) ينظر: حوار لا مُواجهة دراسات حول الإسلام المُعاصر، د/ أحمد كمال أبو المجد ص ٩٥، مجلة العربي، العدد: السابع، ١٥ أبريل ١٩٨٥م، وهوامش على أزمة الفكر الإسلامي المعاصر ص ٨٩، وماذا قدَّم المسلمون للعالم ٤٣٥/٢ .

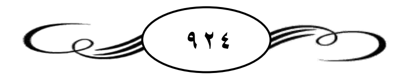
(٢) الإسلام والمبادىء المُستوردة، عبد المنعم النمر ص ٨٤، ط: دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، ١٩٩٥م، وعلماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام ص ١٤٨، وهو هربرت جورج ولز، ولد ١٨٦٦م بمدينة بروملي بمقاطعة كنت بإنجلترا، توفي١٣ أغسطس ١٩٤٦م، كاتب وأديب بريطاني، تولى التدريس بجامعة لندن، اهتم بالبحث في التاريخ خاصة القوى العاملة التي تصنع التاريخ . ينظر ترجمته: معالم تاريخ الإنسانية، تأليف: هـ. ج . ولز ٧/١ ، ت: عبد العزيز توفيق جاويد، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، وقالوا عن الإسلام ص ١٤٤ .



وتأمل جواب النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث تلقيح النخيل، فعن رَافِعِ بْن خَدِيجٍ، قَالَ: «قَدِمَ نَبِيُّ اللهِ الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ[1]، فَقَالَ: مَا تَصْنَعُونَ؟، قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا فَتَرَكُوهُ، فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ، قَالَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»[2] ، وكان بوسعه أنْ يقول: لا خبرة لي بالنخيل، أو لا أُحسن الزراعة؛ فبلدي واد غير ذي زرعٍ، ولكنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخيَّر أحسن العبارات وأجمعها، وجعل من حديثه في تلك المسألة الجزئية قاعدة كلية عامة، مفادها أنَّه ما لا وحي فيه من شؤون الدنيا، فالأمر فيه للخبرة والتجربة والمصلحة، التي يحسن أرباب الأمر معرفتها دون مَنْ لا خبرة له بها، فلم يكن الجواب قاصراً على مسألة تلقيح النخل، وإنَّما جاء يشمل كل أمر لمْ يأت فيه وحي من قرآن أو سنة، وهكذا الحال في أقرب الأمور شبهاً بتلقيح النخيل من أُمور الفلاحة وغيرها، فإنَّنا لا نجد خبراً عنه مثلاً عن كيفية خياطة الملابس، أو صنع السّيوف والدروع، أو نَصب الخِيام وغيرها من معايش الدنيا، فلمَّا لم نجد ذلك عَلِمْنَا أنَّ وظيفته صَلَّى اللهُ

(١) «يَأْبُرُونَ»: يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ، ومَعْنَاهُ: يُشَقِّقُونَ طَلْع الْإِنَاث، وَيَذَرُوَنَ فِيهِ طَلْع الذَّكَر؛ لِيَجِيءَ ثَمَرُهُ جَيِّدًا . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٥/ ١١٧، ومرقاة المفاتيح ١/ ٢٣٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل بَاب وُجُوب امْتِثَال مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ ٤/١٨٣٥ برقم ٢٣٦٢ .



عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبيِّن أُمور الدِّين من خلال وضع القواعد العامة، تاركاً تفصيل ذلك تَبعاً لمستجدات الحياة[1] .

<u>من خلال ما سبق تبين لنا</u> أنَّ احتياجنا إلى تجديد المعاملات بجميع أشكالها وأنماطها ليس أمراً عشوائياً، ولا ينطلق من فراغٍ، بل هو ضرورة حتمية تفرضها المتغيرات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويتماشى مع روح الشريعة التي تتسم بالمرونة والوسيطة وعدم الجمود ممَّا جعلها تتجاوب مع مصالح الناس في كل زمان ومكان، وينم أيضاً عن مدى فهمنا لفقه الواقع ومتغيراته، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

✍<u>المطلب الثامن</u>

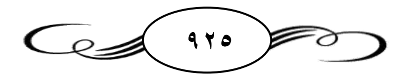
التجديد في السياحة[2]

يَزخر القرآن بكثير من الآيات التي تخاطب العقل بالسير في الأرض والتنقل فيها، والنظر في آثار المهلكين؛ للوقوف على ما تحتويه من ظواهر كونية طبيعية، وحضارات إنسانية، ومن أجل فهم وإدراك تلك الظواهر، ومعرفة أسبابها وآثارها، وما تنطوي عليه من عِبر وفوائد

---

(١) ينظر: السُّنَّة التشريعية وغير التشريعية، مجلة المسلم المعاصر، العدد الافتتاحي ص٢٩، شوال ١٣٩٤هـ، ومفهوم تجديد الدين ص٢٤٥ .

(٢) <u>السِّياحة:</u> مُطلَق الذهاب فِي الأَرْضِ، سواء كَانَ للعِبادةِ أو التجارة أَو غيرِها . ينظر: تهذيب اللُّغة ٥/ ١١٢، ولسان العرب ٢/ ٤٩٢، ثم شاع عليها في العصر الحديث معنى التنقل من بلد إِلَى بلد؛ طلباً للتنزه أَو الاستطلاع والكشف . ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة ١/ ٤٦٧، ط : دار الدعوة، والمعجم الوجيز، مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة ص٣٣١، ط : وزارة التربية والتعليم، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .



وعظات، فتعود بالنفع على الإنسان، ولا شك أنَّ كيفية وطريقة هذا التنقل تختلف من جِيل إلى جيل، بحيث لا يلزم على البشرية اختيار طريقة بعينها، فكل يستخدم ما يناسبه بقدر ما أوتي من القُوى والقدرات .

ودعوة القرآن إلى تجديد السياحة وإن لم تكن وردت في آيات صريحة(١)، لكن دلت عليها نصوص كثيرة ضِمْنَاً، من هذه النُّصوص قَوله تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(٢)، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها﴾(٣)، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾(٤) ، فهذه الآيات وغيرها تدعو إلى السير في آثار السابقين، والحث على النظر في آثار رحمة رَبِّ العالمين بخلقه أجمعين، ولا شك أنَّ المهلكين متنوعون، والنعم مختلفة، والاعتبار بهذا وذاك يختلف باختلاف حال المُتدبِّر المُعتبِر، فكل يعتبر ويتدبر، ويتذكر ويتفكر بحسب ما أوتي من الطاقات، ولا شك أن في هذا اختلافاً

(١) ورد لفظ السِّياحة بجميع مُشتقَّاتها في ثلاثة مواضع في القرآن، موضعان في سورة التوبة: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿السَّائِحُونَ﴾، وثالث في سورة التحريم: ﴿سائِحاتٍ﴾. ينظر: المعجم المفهرس ص٣٧٤، والدليل المفهرس ص٤٦٨ .

(٢) سورة الحج: (٤٦) .

(٣) سورة الروم: (٩) .

(٤) سورة فاطر: (٤٤) .



بيّناً بين معتبر وآخر؛ إذ لا يلزم عليه أن تكون العِبرة واحدة والاتعاظ بها سبيلاً واحداً كذلك[1] .

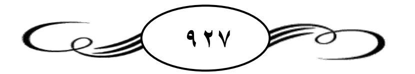
قال الشّيخ/ مُحَمَّد رشيد: (وَقَدْ تَكَرَّرَ الْأَمْرُ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ بِالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، فالآيات تُرْشِدُ بِمَوْقِعِهَا إِلَى الْبَحْثِ عَنْ تِلْكَ السُّنَنِ، وإِلَى الِاعْتِبَارِ بِقُوَّةِ الْأُمَمِ وَآثَارِهَا فِي الْأَرْضِ، والنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الْأُمَمِ وَآثَارِهَا الْخَاصَّةِ بِالْقُوَّةِ الْحَرْبِيَّةِ وَمَوَارِدِ الثَّرْوَةِ الزِّرَاعِيَّةِ وَسَائِرِ شُئُونِ الْعُمْرَانِ، وَكَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ وَأَسْبَابُهُ، لِيُعْلَمَ أَنَّ الْقُوَّةَ وَالثَّرْوَةَ لَا تَحُولُ دُونَ هَلَاكِ الْأُمَّةِ إِذَا اسْتَحَقَّتْ ذَلِكَ بَالظُّلْمِ وَكُفْرِ النِّعْمَةِ، فتؤدى إِلَى الِاسْتِفَادَةِ مِنْ صِنَاعَاتِ الْأَوَّلِينَ وَطُرُقِ كَسْبِهِمْ.)[2]

ولِذا حَمَلَ الإمام القَاسِمي لفظ ﴿السَّائِحُونَ﴾ في قَوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ﴾[3] على معناه الظاهري فقال: (وقد عهدنا بألفاظ القرآن أنها يجب حملها على ظواهرها، وعلى معانيها الحقيقية، اللَّهم ما لم يمنع مانع عقلي، ولا مانع هنا من إرادة الحقيقة، وعليه فيجب حمل لفظ ﴿السَّائِحُونَ﴾ على معناه الظاهر الحقيقي، وهم السَّائرون الذاهبون في الديار؛ لأجل الوقوف على الآثار، توصلاً للعظة بها والاعتبار، ولغير ذلك من الفوائد التي عرفها التاريخ، فصرف هذا اللفظ عن ظاهره تكسيل للأمة، وتدبير على فُتُور هِمَّتها، وضعف نشاطها، وحيلولة بينها وبين سعادة الإحاطة بآثار الأمم البائدة، ورؤية

(١) ينظر: التجديد في التفسير، نظرة في المفهوم والضوابط ص ٢٣ .

(٢) تفسير القرآن الحكيم ٨/٢٥٥، ٢٥٦ .

(٣) سورة التوبة: (١١٢) .



عمران المسكونة، الأمر الذي هو الآن الضالة المنشودة عند الغربيين، وفيه ستر لنور الكِتاب الذي هو أوَّل مُرشد للعالم ألَّا يألوا جهداً في السير والسِّياحة، وأن يُنقِّب في البلاد أي تنقيب.)[١]

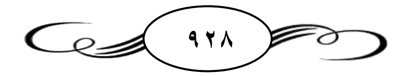
والملاحظ أن قوله تَعَالَى: ﴿يَسِيرُوا﴾ جاء في القرآن الكريم «سبع مرات» بالفعل المضارع الذي يفيد التجدد والحدوث، وهذا يتناسب مع حال السِّياحة وأنواعها المتعددة من دينية، ثقافية، علمية، استكشافية، علاجية، رياضية، اجتماعية، ترفيهية، بيئية، تعليمية، ريفية ... الخ، والتي تعتمد في المقام الأول على السفر والترحال من بلد إلى آخر، فيختلط السائح بأهل تلك الأماكن، ويطَّلع على أحوالهم وبيئاتهم، ويتعرف على مختلف ثقافاتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، فيتأثر إيجاباً وسلباً، وكذا جاء لفظ ﴿سِيرُوا﴾ بصيغة الأمر «سبع مرات» أيضاً[٢]، وليس من البديهي أن يكون الأمر فيها لا يعدو الحض على النظر المجرد؛ لأنَّ مجرد النظر لا يطول حقائق الأشياء ممَّا يتطلب الاستعانة بأجهزة وأدوات تحقق معنى النظر الحقيقي كالمكبرات المجهرية، والمراصد والتلسكوبات، والتحليل المخبري، والبحث التاريخي، والتنقيب الأثري، والتشريح الطبي، ودراسة تطور الأحياء .... إلخ مما هو معروف في ميدان البحث العلمي[٣] .

---

(١) محاسن التأويل ٥ /٥١٢ .

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٣٧٤، والدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٨٧ .

(٣) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية، دراسة مُقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المُعاصرة ، د/ ماجد عرسان الكيلاني ص ٢٥٢، ٢٥٣ .



من هنا وجب على المسلمين تطوير وتجديد ما يتعلق بالسِّياحة؛ تنفيذاً للأمر الإلهي الوارد في الآيات التي حضت على السفر في الأرض، والبحث بين أرجائها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُم مِن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَحِيصٍ﴾(١)، فما أحوجنا اليوم إلى تجديد السِّياحة المقيدة بالضوابط الشرعية؛ لكشف الغشاوة التي أحدثتها الحضارة المادية على العيون، حتى ظَّن البعض أنَّ سبب تأخرنا التقني هو تعاليم دِيننا الحنيف، كما أنَّ البشرية في أمس الحاجة إلى تطوير السِّياحة؛ للتمكن من نشر الإسلام عبر الوسائل والأساليب الحديثة، وتقديم الغِذاء والدواء، وجميع أشكال العون والمُساعدة للإنسانية؛ ليقودها ذلك للتعرف على الإسلام والدخول فيه(٢) .

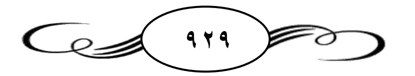
إنَّ الأخذ برُوح النُّصوص القرآنية في هذا المجال، يؤدي إلى إزدهار التجارة الداخلية والخارجية، بل يؤثر على كثير من القطاعات الاقتصادية، وبالتالي يعود بالنفع على الإسلام والمُسلمين في كل بُقعة من بِقَاع أرض الله، وهذا داخِل تحت الآيات التي أمرت بالسعي في الأرض طلباً للرزق والكسب، قَالَ تَعَالَى:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(٣)، أَيْ: فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ

---

(١) سورة ق: (٣٦) .

(٢) ينظر: أحكام السياحة وآثارها دراسة شرعية مُقارنة، هاشم بن محمد بن حسين ناقور ص ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٩١ بتصرُّفٍ، ط: دار ابن الجوزي، السعودية، الأولى، رجب، ١٤٢٤هـ .

(٣) سورة الملك: (١٥) .



أَقْطَارِهَا وَتَرَدَّدُوا فِي أَقَالِيمِهَا وَأَرْجَائِهَا فِي أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَالتِّجَارَاتِ(١) ، أمَّا الجُمُود والوقوف سلباً عند ألفاظ النص، وعدم التوسع في فهمه – مع التقيد بالضوابط التي وضعها العلماء– ؛ فهو مَكْمَن الخطر، ومبعث الضرر على البشرية كلها، وهو مُخالف للنُّصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على تلمس النفع للإنسان في جل ميادين الحياة .

*وهنا أود أن أشير إلى بعض الوسائل والأساليب التي سلكها الإسلام في الدعوة إلى تجديد السِّياحة بكل أنواعها إضافة إلى ما سبق:

أولاً: ابتكار وسائل حديثة في المحافظة على الموروثات التاريخية والثقافية، والأنماط المعمارية المميزة؛ إذ تعد الآثار من أهم الشواهد المادية على تجارب البشر التاريخية على مر العصور، فهي تسهم في سد الفجوات المجهولة في تاريخ العديد من حضارات الأُمم السابقة، وقد ذكر القرآن في كثير من آياته عدداً لا بأس به منها، وأشار إلى بعضها، وكان من أهمها: المساكن، البيوت، الكهوف، القصور، الحصون، المحاريب، الصَّرح، الموميات أو التَّحنيط وغيرها؛ ليدرسها الخلف، ويستفيدوا منها وهم يُخطِّطون للحاضر والمستقبل على حدٍّ سواء، كما أنَّ النفس البشرية تشتاق إلى معرفتها والاطلاع عليها .

كما حث الإسلام على المحافظة على هذه الآثار بكل ثقافاتها، وتعدد أشكالها؛ لأنَّها آية من آيات الله، وتقوم دليلاً على زوال أصحابها، ولولا وجود هذه الآثار، لكانت الأحداث التاريخية الواردة في القرآن، وفي كتب التاريخ مجرد رواية خبرية يصدقها مَن يصدقها، ويكذبها مَن يكذبها،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٩/٨ .



لقد أبقى الله بدن فِرعون مُحنطاً؛ ليكون عِبرة لمن خلفه مع ادِّعائه الأُلوهية، فما بالنا بأنواع المُخلَّفات الأثرية الأخرى ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ﴾(١)، وعلى الرغم من الأهمية الكُبرى لهذه الآثار، إلَّا أنَّها تتعرض الآن للكثير من المُشكلات والتحديات، وفي مقدمتها عمليات التخريب والهدم والتدمير التي تقع عليها من قِبل الجماعات المتطرفة فكرياً، والتي لمْ تستثن حتى الآثار الإسلامية(٢) .

والمتتبع لسنة النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد أنَّه لمْ يأمر المسلمين بتدمير أو تحطيم أي أثر من آثار الأُمم السابقة، إلَّا إذا كان القصد منها عبادتها من دون الله، بل كانت وسيلة من وسائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إيصال الخبر التاريخي إلى مستمعيه؛ وذلك بشرح حيثيات هذا الأثر على أرض الواقع، والربط بين ما هو مشاهد وما تم سماعه، يظهر ذلك جليَّاً من خلال مروره بآثار الحِجْر(٣)، وأَمرِه للصحابة أَن يطرحوا ويلقوا مَا استقوا، ويعلفوا الْإِبِل الْعَجِين، وَأَن يَسْتَقوا من الْبِئْر الَّتِي

---

(١) سورة يونس: (٩٢) .

(٢) ينظر: موقف الإسلام من آثار الأُمم السَّابقة، أ.د / إمام الشافعي محمد حمودي، من أبحاث مؤتمر الفهم الصحيح للتراث الإسلامي وأثره في علاج الانحراف الفكري، جامعة الأزهر بأسيوط في المدة من ١٢: ١٤ جمادى الأُولى ١٤٣٧هـ = ٢١: ٢٣ فبراير ٢٠١٦م .

(٣) «الْحِجْر»: دِيَار ثَمُود قَوْم صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي بين المدينة والشَّام، وكان ذلك في غزوة تبوك . ينظر: جامع البيان ١٧/ ١٢٦، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ٣/ ٦٣، ط: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٤٢٠هـ .



كَانَت تردها النَّاقة[1]، فعن عَبْد اللهِ بْن عُمَر، قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ عَلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ[2]، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»، ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَّفَهَا»[3] .

<u>والسُّؤال الذي يترد في النفس:</u> لماذا لمْ يأمرهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتحطيم تلك الآثار وإزالتها من جذورها؟ ، لا شَك أنه أراد بقاءها؛ لتكون آية دالَّة على عظمة الله وقدرته؛ وليسترشد بها العِباد في الأزمنة المقبلة، وليقفوا على موطن العبرة ومكمن العِظة، كما أنَّ الصحابة تعاملوا مع ما وجدوه من آثار قديمة في البلدان المفتوحة بهذه القاعدة، ولم يتعرضوا لها بسوء، ولو وجدوا أي دليل شرعي ما وسعهم إلَّا أن ينفذوا ذلك بكل حزم، ولكنهم أبقوا عليها، وفي مقدمتها آثار مِصر القديمة سواء كانت فرعونية أو رومانية أو يونانية، وما زالتْ تملأ رُبوع مِصر منذ بنائها وحتى الآن .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً﴾ ٤/ ١٤٩ برقم ٣٣٧٩ ، ومسلم في صحيحه كِتَاب الزُّهْد وَالرَّقَائِق بَاب لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِن الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ٤/٢٢٨٦ برقم ٢٩٨١.

(٢) <u>«مسَاكِن الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ»:</u> أَعم من أَن يكون مسَاكِن ثَمُود وَغَيرهم مِمَّن هُوَ كصفتهم، وَإِن كَانَ السَّبَب ورد فِي ثَمُود . ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعينى ١٥/ ٢٧٦، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب نزول النَّبِيِّ الحِجْر ٧/٦ برقم ٤٤١٩، ومسلم في صحيحه كِتَاب الزُّهْد وَالرَّقَائِق بَاب لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِن الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ٤/٢٢٨٦ برقم٢٩٨٠، واللَّفظ له .



وبناء على ما سبق لكي يتم بقاء واستمرار هذه الآثار، واستجابة للنداء القرآني، يجب العمل على رفع كفاءة هذه المواقع السِّياحية الموجودة بحيث تتناسب مع متغيرات السياحة العالمية، والعمل على تحسين واستغلال البنية التحتية للسياحة في كل محافظة، أو الموقع السياحي من خلال تزويدها بالمرافق الأساسية العامة والخدمية والصحية والعلاجية والترويحية، ووسائل الطرق والنقل والاتصال الداخلية والخارجية ممَّا يسهل للسائح الاتصال بغيره وببلده الأُم إذا رغب وقتما يشاء، وتقديم خرائط تزود السائح بمعلومات كافية عن المواقع السياحية للبلد، والمطاعم، ونوعية الأطعمة المقدمة خاصة الحلال منها للسائح المسلم، بالإضافة إلى تطوير الأعمال الهندسية، مع الحِفاظ المستمر على البيئة، والمحميات الطبيعية البرية والبحرية منها، وتوفير الرقابة المستمرة على هذه المقومات حتى لا تعبث بها أيدي البشر، وإطلاق حملات توعية مكثفة حول أهمية المناطق الأثرية، ومدى أوجه الاستفادة منها عن طريق الندوات والمؤتمرات ووسائل الإعلام المختلفة(١) .

كما يجب العمل على تشكيل لجان خاصة للتنشيط السياحي في كل المناطق السياحية، وتفعيلها وتحقيق احتياجاتها، ومعالجة العوائق والمشكلات التي تواجهها من خلال عمل الدراسات الميدانية للتعرف على ذلك بصفة دورية، ويجب أيضاً التوسع في إنشاء وتطوير المعاهد والمراكز والمناهج المتخصصة في صناعة السياحة في ظل أحكام الشريعة وآدابها

---

(١) السياحة ودورها في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية، حسام عبد الحليم عيسى، المؤتمر السنوي الثالث للقانون، كلية الحقوق، جامعة طنطا، في الفترة من٢٦: ٢٧ إبريل ٢٠١٦م تحت عنوان: «القانون والسياحة» .

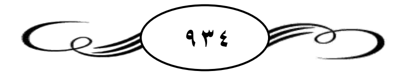


مع مراعاة خصوصية المجتمع في عاداته وتقاليده، وإماطة اللِّثام عن الشواطئ البِكر والجُزر المغمورة، والأماكن الجميلة المَطْمُورة المُهْمَلة، وإنشاء صناديق للتنمية السياحية بحيث يسهم بصورة فعالة ونشطة في ظهور مشاريع وأنشطة سياحية جديدة، وعلى المؤسسات والشركات التي لها علاقة بهذا المجال واجب دعم النشاط السياحي من خلال المشاركة في تمويل المشاريع السياحية(١) .

ويتطلب ذلك أيضاً المحافظة على المقومات الطبيعية التي هي من صنع الخالق جلَّ وَعَلا الدالة على قدرته الباهرة، وليس للإنسان أي دور في إيجادها كتنوع أشكال سطح الأرض في مناطق الجِبال والسهول والوديان والبحيرات والمياه المعدنية والأنهار والشلالات، بالإضافة إلى تنوع الحياة النباتية والحيوانية على كوكب الأرض، وقد تحدث القرآن عن هذه الموارد الطبيعية، ودعا الإنسان إلى استغلالها على أكمل وجه، ولا شك أن الاستفادة منها في قِطاع السياحة عن طريق الوسائل المشروعة الحديثة داخل تحت ذلك بالضرورة، وإلَّا لكان إيجادها عبثاً، وهذا مُحال على الله؛ إذ هي معروضة للدلالة على الألوهية، وإفراده بالوحدانية، وبيان آثار الربوبية في الكون .

ثانياً: تعزيز التدابِير الأمنية، ورفع مستويات الأمن والسلامة بالبلاد المراد دخولها من أجل السياحة، وتوفر وحدات الشرطة السياحية، بحيث تضمن

(١) السياحة في الإسلام، أحكامها، ضوابطها، آثارها، واقعها المعاصر في المملكة العربية السعودية، عبد الله بن إبراهيم بن صالح الخضيري ٦٢٧/٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، ١٤٢٥، ١٤٢٦هـ .



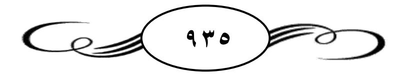
للسَّائح أمنه وسلامته في نفسه وممتلكاته، فيفضلها على غيرها من الأماكن حتى ولو قلَّت فيها عوامل الجذب السياحي؛ إذ يقل فيها وقوع الجرائم المختلفة(١)، والمتصفِّح لآي الذِّكر الحكيم يجد أنَّ الله استعمل عنصر الأمن عند دخول كثير من الأماكن؛ إذ لو توفر لترتب عليه الاستقرار والطمأنينة التي تمكِّن الفرد من القيام بمهامه وواجباته الدينية والدنيوية، قَالَ تَعَالَى حكاية عن يُوسُفَ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾(٢)، وقَالَ تَعَالَى على لسان إبراهيم: ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾(٣)

ثالثاً: استغلال السياحة في تجديد النشاط، وترويح النفس؛ للاستعانة بذلك على عبادة الله تعالى، والدعوة إلى الإسلام، فلا يتوسع فيها لمجرد اللهو المحرم؛ لأن ذلك يعوِّد النفس على إدامة الراحة والمَلذات والشهوات، وحظوظ النفس، فيقسو القلب، وينشأ الكسل والفُتُور والعجز، وتهْدَر الأوقات والطاقات، فينبغي الموازنة والاعتدال في السياحة الترفيهية، كما لا ينبغي إشغال النفس فيها بما لا يليق نتيجة للفراغ الذي تكون عليه النفس في مثل هذه الظروف، والنفس إذا لم تشغل بالحق

(١) ينظر: من مقاصد السياحة في ضوء القرآن الكريم، التدبر وإعمال العقل، بحث منشور بالجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، مجلد عشرون، العدد التاسع والثلاثون "أ" ص ٣٢٩، عدد خاص بالمقاصد، ١٤٣٨هـ= ٢٠١٦م، إعداد: صباح ميرغني عثمان محمد، سوهيرين بن محمد صالحين .

(٢) سورة يوسف: (٩٩) .

(٣) سورة البقرة: (١٢٦) .



اشتغلت بالباطل، وإذا لم تُلْهها بالمعالي والمقاصد ألهتك بالسَّفاسف والمَفاسد، وهذا يدخل بالضرورة تحت الأحاديث التي حثت على تجديد النشاط الإيماني، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَسَلُوا اللَّهَ – تَعَالَى – أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»(١) .

رابعاً: الحاجة إلى ضمان جودة المنتج السياحي، والإشراف عليه وتنظيمه، ومعاقبة المخالفين: ويكون ذلك بعدم فتح التراخِيص للقطاعات السِّياحية إلَّا بعد توفر أدنى حد من المقاييس العالمية، فيما يختص بالسلامة والأمن، والنظافة، والاحترافية والكفاءة، والاستفادة من كل الخبرات المحلية والدولية، كما يفتقر ضمان جودة المنتج السياحي إلى خفض أسعار الخدمات السياحية، ومنع التلاعب بها، أو المغالاة فيها، وإيقاع العقوبات على من يقع منه مخالفات أو تجاوزات في حق التعامل مع السُّياح، أو في الاستثمار غير المشروع، أو في الدعايات والإعلانات المضللة والوهمية ونحو ذلك(٢)، وهذه المبادىء وتلك المعايير السابقة

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١ / ٤٥ برقم ٥، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ لَمْ يُخَرَّجْ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَرُوَاتُهُ مِصْرِيُّونَ ثِقَاتٌ»، وقال الذهبي: «رواته ثقات»، والطبراني في المعجم الكبير ١٣ / ٣٦ برقم ٨٤، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الثانية، والهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ٥٢ برقم ١٥٨، بَاب تَجْدِيد الْإِيمَان، وقال: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ» .

(٢) ينظر: السياحة في الإسلام، أحكامها، ضوابطها، آثارها، واقعها المعاصر في السعودية ٢ / ٥٨٨، ٧١١ .



أقرَّها القرآن الكريم، وأمر بها ورغَّب فيها ضِمن آياته الكريمة والتي يضيق المقام هنا بالتأصيل لها ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

المطلب التاسع

التجديد في التنوع الثقافي والمعرفي

لقد أخبر القرآن أنه مصدر كل المسلَّمات العِلمية، وجميع العلوم بشقيها الطبيعي والإنساني، وما تعانيه العلوم الحديثة اليوم من عدم الاستيقان؛ لأنه ليس هناك منهجية قادرة على توفير ذلك، ولذا نجد مقولاتهم العلمية والنظرية ظنية، لكن القرآن تحدثاً بنعمته التي حبانا إياها هو المصدر الذي لا شك فيه ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[1]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾[2]، فهو يحتوي على أسس كلية يقينية إنْ استطعنا استنباطها منه، يمكن تأسيس قاعدة علمية تقوم عليها علومنا الطبيعية والإنسانية، لكن الخطأ ينشأ من قصور فهمنا للنُّصوص، والذي لا يطابق حقيقة النَّص القرآني، فالقصور في الفهم، وليس في المصدر، أو ينشأ من المنهجية المتبعة في استنباط القوانين، لكن نستطيع تخطي ذلك بالرجوع إلى أهل الاختصاص كل في مجاله[3] ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[4]

هذا، وقد أشارت آيات كثر في كتاب الله إلى ضرورة تجديد المعرفة وتنوع الثقافة على اختلاف أشكالها وأنماطها، قال تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي

---

(١) سورة البقرة: (٢) .

(٢) سورة الكهف: (١) .

(٣) ينظر: المعرفة في القرآن الكريم، دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية، ماجستير، خالدة قاسم عمر ص ٢٤، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان، ١٤١٨هـ .

(٤) سورة النحل: (٤٣) .



عِلْماً﴾[١]، حيث جاءت بصيغة الأمر المباشر لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطلب الزيادة في العلم، وذلك عن طريق البحث والتنقيب بالبصر والبصيرة – ولذا قيل: ما أمر الله رَسُوله بطلب الزيادة في شيء إلَّا في العلم[٢] – ؛ وذلك لإدراك حقائق القرآن وهي غير متناهية، تختلف بحسب الزمان والمكان؛ ولذا نكَّر لفظ ﴿عِلْماً﴾، وفي هذا الأمر في هذه الآية المبتدأة بقوله: ﴿فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾، إشارة إلى أنَّ كتاب الله فيه ما لا يتناهى من العلوم التي تقوم عليه حركة الحياة[٣] ، فالآية فيها تحريض على طلب العلم والاستزادة منه؛ لنفيد منه في معاشنا ومعادنا، فما أكثر ما نجهل من عالمنا الذي نعيش فيه، وما أكثر ما ينكشف لنا كل يوم من خباياه وأسراره، فلنطلب العلم، ولنجد في الطلب، والقرآن لم يكشف الغِطاء عن جميع المعارف؛ ليثير في الإنسان دوافع النظر والبحث، وليترك لعقله مجال الحركة والصراع، فينتصر حِيناً، وينهزم حِيناً، وهو في انتصاراته وهزائمه سيِّد نفسه، وقائد سفينة حياته، وحسب القرآن في هذا أنْ يُومىء من بعيد إلى مواطن الصيد، التي يلقى بشِباكِه فيها، فتجيء إليه بصيد وفير[٤] .

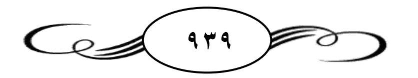
---

(١) سورة طه : (١١٤) .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٣ /٩٠، ط: دار الكتاب العربي، الثالثة، ١٤٠٧هـ، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٨ .

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي، الخواطر، محمد متولي الشعراوي «المتوفى: ١٤١٨هـ» ١٥/ ٩٤١٥، ط: مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧م، والأساس فى التفسير لسعيد حوي ٧/ ٣٣٩٠، ٣٣٩١ .

(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن٤/١٧٢ و ٨/٥٤٠ .



والقرآن يرشد المتعلِّم إلى أنه مهما وصل في العلم، فهناك مَن هو أعلم منه؛ لأنه يحوي لطائف وإشارات قد تبدو للبعض، وتخفى على الآخر ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1]، حتى يَنْتَهِي الْعِلْم إِلَى اللَّهِ، مِنْهُ بُدِئ، وَتَعَلَّمَت الْعُلَمَاء، وَإِلَيْهِ يعود[2]، فمهما ظنَّ الإنسان أنه قطع شوطاً بعيداً في العلم، فأمامه أكثر بكثير ممَّا عرفه، عليه أنْ يجتهد في اكتشافه، وليلحق بِرَكْب العالمين ﴿وَما أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[3] ، وقصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام والخَضِر التي وردت في كتاب الله تَعَالَى[4] تُعطي الإنسان درساً عمليَّاً في حب الاستطلاع، وشَغَف العِلم، وألَّا يَكفَّ عن طلبه، حتى لو تطلب منه بَذل أغلى وأعز ما يملك من الجهد والوقت .

وفي قوله تَعَالَى: ﴿وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[5] ، دعوة للمجتمع أنْ يَمْلأ كل ميادين العمل في الحياة، وأنْ يأخذ كل مسلم المكان المناسِب له، وأنْ يعمل في الميدان الذي يمكن أن يعطي فيه أفضل ما تجود به ملكاته وقدراته العقلية أو الجسدية[6]،

---

(١) سورة يوسف: (٧٦) .

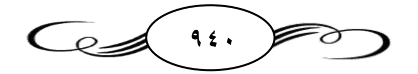
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٤٤ .

(٣) سورة الإسراء: (٨٥) .

(٤) أخرجها البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم ١/٢٦ برقم ٧٨، ومسلم في صحيحه كتاب الْفَضَائِل بَاب مِنْ فَضَائِلِ الْخَضِرِ ٤/١٨٥٢ برقم ٢٣٨٠ .

(٥) سورة التوبة: (١٢٢) .

(٦) التفسير القرآني للقرآن ٦/ ٩١٨ .



فالآية في حدِّ ذاتها، وبإطلاق عبارتها شاملة التعليم والتلقين لجميع المسلمين في مختلف ظروفهم وتنوع مجالاتهم(١) .

وفي قوله تَعَالَى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(٢)، بيان أنَّ الله علم الإنسان ما لمْ يَكُنْ يعلم، فيدخل في ذلك كل ما يسْتَجَد من علوم وثقافات ومعارف مختلفة، وبعلمه هذا المُستفاد من سَلفه فتح أبواباً جديدة من العلم يتلقاها عنه من بعده، وهكذا تتسع معارف الإنسان، ويزداد علمه، وهذا يعني أنَّ الإنسانية متطورة وسائرة نحو الأمام، بما تتوارث أجيالها من ثمار العقول التي يتركها السلف للخلف، وهكذا يذهب النَّاس كأجساد، وتبقى غِراس عقولهم، وثمار أفكارهم(٣) .

كما حثت السُّنة النبوية على استجلاء أسرار القرآن المكنونة التي تتعلق بشتى جوانب المعرفة، وجعلت الباب مفتوحاً أمام البشرية؛ إذ قد يفتح الله على بعض عباده، فيتكشف لهم من العجائب ما لم يفطن إليه غيرهم، فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنُ؛ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»(٤) أي: لِيُنَقِّر عنه، ويُفكّر فِي مَعَانِيهِ وَتَفْسِيرِهِ وَقِرَاءَتِهِ(٥)، وعنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «... وَإِنَّ

---

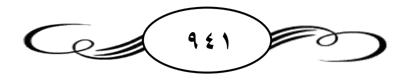
(١) ينظر: التفسير الحديث ٩/٥٦٠ .

(٢) سورة العلق: (٥) .

(٣) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٦١/ ١٦٢٥، ١٦٢٦ .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩ /١٣٦ برقم ٨٦٦٦، والهيثمي في المجمع ٧ /١٦٥ برقم١١٦٦٧، وقال: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِأَسَانِيدَ، وَرِجَالُ أَحَدِهَا رِجَالُ الصَّحِيحِ» .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٢٩ .



الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ»(١) .

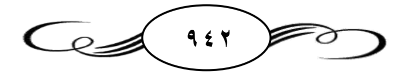
ومعنى «الْمَطْلَع»: الْفَهْم، وَقَدْ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى الْمُتَدَبِّرِ وَالْمُتَفَكِّرِ فِيهِ مِنَ التَّأْوِيلِ وَالْمَعَانِي مَا لَا يَفْتَحُ عَلَى غَيْرِهِ؛ ولهذا قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «لَا تَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً، قَالَ حَمَّادٌ: قُلْتُ لأَيُّوبَ: مَا مَعْنَى هذا ؟ فَجَعَلَ يُفَكِّرُ، فَقُلْتُ: هُوَ أَنْ تَرَى لَهُ وُجُوهًا، فَتَهَابُ الإِقْدَامَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: هُوَ ذَاكَ، هُوَ ذَاكَ»(٢) .

إنَّ الإسلام دين مُتفتح لا يرفض ثقافة معينة كونها أجنبية؛ وإنَّما ينظر فيها ويفحصها، فيأخذ منها ما يفيده في مسيرته الحضارية، وقد استفاد المسلمون عندما أرادوا بناء حضارتهم من كل الثقافات، ولم يقتصروا على مجرد النقل عن غيرهم، وإنَّما توسعوا فيها وأضافوا إليها إضافات باهرة، واستطاعوا أنْ يُسطروا في تلك العلوم تاريخاً ناصعاً مشرقاً مشرقاً، ونحن مطالبون أن نُعمل عقولنا فيما يرد إلينا أو يُقدَّم لنا من معرفة العصر، وبهذا الموقف النقدي يُمكِن لنا أنْ نحافظ على هويتنا

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٩/٨٠ برقم ٥١٤٩، وإسناده صحيح، والهيثمي في المجمع ٧ / ١٥٣ برقم ١١٥٨٤، وقال: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ» ، وصححه مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل الأَمِير الصَّنْعَانِي في التَّنوِيرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ ٤/ ٢٧٨، برقم ٢٧١٢، ط: مكتبة دار السلام، الرياض، الأولى، ١٤٣٢هـ .

(٢) شرح السُّنَّة للبغوي ٢٥٩/١، ٢٦٥، وقال ابن عبد البَر:«هُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَهُمْ مُجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهِ، وَهَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ مَرْفُوعًا، وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ» . جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٨١٢ برقم ١٥١٥، ط: دار ابن الجوزي، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٤هـ .



الثقافية والمعرفية، وفي الوقت نفسه لا ننعزل عن عالمنا ولا عن تنوعه المعرفي[1]، فعلينا أنْ نقرأ ونتأمل في كِتاب الله، كما قرأ الأوائل الذين أسسوا المعارف الحديثة حيث تمثلوا أوامر القرآن؛ باستعمال الدنيا لخدمة الإسلام، فما وصل إليه الغرب اليوم إنَّما كان بفضلهم؛ إذ وضعوا لهم حجر الأساس لتلك العلوم .

وآيات التدبر[2] في القرآن أكبر دعوة للنظر فيه فهماً وفقهاً واستنباطاً لعجائبه التي لا تنقضي وعلومه التي لا تحصى ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[3]، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[4] ، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[5]، والمُلاحظ أنَّ الماضي الخماسي: «تَدَبَّر» جاء على صيغة «تفعَّل»، ومجيء المضارع هنا دون الرباعي «دَبَّرَ»؛ للدلالة على التدرج والتتبع، كما تفيده تلك الصيغة في غالب استعمالاتها، كما يحتمل التعبير بتلك الصيغة أيضاً إفادة المعاناة والتكلف، وبذل الجهد، يقال: تدبَّر المسألة، إذا تفكر فيها، وبذل جهداً حتى وعاها، ووقف على

---

(١) ينظر: ماذا قدَّم المسلمون للعالم ١/٢٥٥، وهوامش على أزمة الفكر الإسلامي المعاصر ص ٩٢، ٩٣ .

(٢) ورد لفظ «التَّدبر» في القرآن الكريم أربع مرَّات، ثلاث منها التي معنا هُنا، والرابعة ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ المؤمنون: (٦٨) . ينظر: المعجم المُفهرس ص٢٥٢، والدليل المفهرس ص ٩٣١ .

(٣) سورة ص: (٢٩) .

(٤) سورة النساء: (٨٢) .

(٥) سورة محمد: (٢٤) .



حقيقتها[١]، وهذا بلا شك يقتضي من المتدبر إنعام النظر، وإعمال العقل، وإطالة الفكر حتى يسْبر أغوار الحقائق القرآنية، ويقف على غايات الآيات الكريمة، ومقاصدها الشريفة، ومراميها البعيدة؛ لأنَّ المطلوب قد لا يظهر بالبديهة للوهلة الأولى، أو بادئ ذي بدء بل يظهر بآخرة[٢] .

وفي قوله تَعَالَى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[٣] يلاحظ أنها نصت صراحة على أنَّ القلوب المنغلقة لا تتدبر الذِّكر الحكيم، وهذا يعني بمفهوم المخالفة أنَّ القلوب المُنفَتِحة اللينة السليمة الخالية من الأهواء والأمراض هي التي تتدبر القرآن، وهذا لا يتحقق إلَّا في قلوب الخُلَّص من المؤمنين، وبذلك تكون تلك الآية قد نصت على أداة التدبر الحقيقي، ووسيلته الصحيحة، وهي القلوب المفتوحة لا الغليظة القاسية[٤].

ويلاحظ أيضاً أنَّ التعبير عن «التدبر» في جميع الآيات قد جاء بصيغة الْمُضَارِع المُشعر بالتجدد؛ إِشَارَة إلى ما يمكن حدوثه بَعْد، وأنه واجب عليهم أن يمارسوا فعل هذا التدبر، وأن يديموا النظر في كتاب الله، بحيث يكون عملهم هذا هو دَيْدنهم المستمر عَبْر العُصور، وتوالي الأجيال، وضرورة تجدد هذا التدبر كلما عَنَّ الأمر لذلك؛ لأنَّ

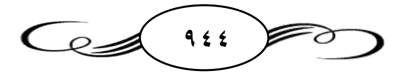
---

(١) ينظر: مختار الصحاح ص ١٠١ ، ولسان العرب ٤/ ٢٧٣ .

(٢) التَّدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير، دراسة بلاغية تحليلة على آياتٍ من الذِّكر الحكيم، أ.د/عبد الله عبد الغني سرحان ص ١٧، ١٩، ط: مركز تدبر للدراسات والاستشارات،الرياض، الثانية، ١٤٣٤هـ .

(٣) سورة محمد: (٢٤) .

(٤) التَّدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير ص ٣٩ .



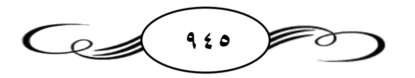
الإنسان لا يتدبر القرآن في كل وقت وحين، بل كلما قرأه أو سمعه، أو انشغل به في قضية من قضاياه، فهو يجدد التدبر في كل مرة حتى يصل لمنتهاه، ثم يعيد الكَرَّة مرة بعد مرة، فيجب أنْ يكون هذا هجيره حتى تنكشف له أسراره، وإيحاء إلى أنه لا يزال معه من الأدوات التي تكشف له ما ينفعه بما يفتح الله به على أهل العلم، وإلَّا فأي مَغْزَى من وراء هذا الأمر الرباني إذا كان المُراد منه الجمود والتحجر، والوقوف عند ظاهر الآيات، وعدم البحث عمَّا وراءها ؟!، فلا يَصُدن الشيطان الواحد منا حينما يقف متأملاً فيما يقرأ، ويقول: أين أنا من فلان ؟ فربما قد يفتح له ما لمْ يفتح للسابقين، ورُبَّ صغير مفضول قد فَطِنَ إلى ما لم يفطن له الكبير الفاضل كما وقع لسُلَيْمَانَ مع دَاوُدَ عَلَيْهما السَّلَام في قضية الحَرث المشهورة :﴿فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ﴾(١)، وكما وقع لابْن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حادثة «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا»(٢)، فما على المسلم إلَّا أنْ يتقي الله، وسيجد الخواطر والمعارف تنكشف له بعدما يأخذ بالأسباب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣)، مع ضرورة التنبيه على أنَّه ليس المقصود تدبر آيات بعينها، بل يجب تدبر آيات القرآن جميعها من آيات العقيدة، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات، وأسرار التشريع وغير ذلك، ولعل التعبير بالجمع هنا،

---

(١) سورة الأنبياء: (٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ٢٢/١ برقم ٦٢ .

(٣) سورة البقرة: (٢٨٦) .



وإضافته إلى ضمير الكتاب يؤكد ذلك، وقد أومأ إلى ذلك العلّامة الآلوسي فقال: (أنزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المُعْرِبة عن أسرار التكوين والتشريع.)(١)

كما أخبر القرآن أنه خلق للإنسان حواس هي مصادر المعرفة والتعلم، فقال تَعَالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢)، ولكي يستفيد منها على الوجه الأمثل، وتؤدي وظيفتها في اكتساب العلم والثقافة، كان لا بُدَّ له من رعايتها؛ ومن ثَمَّ تنمية مواهبه التي أودعها الله فيه، واستثمارها في خدمة دِينه والإنسانية كلها(٣)، خاصة أن العديد من البحوث في الفيزياء والكيمياء والتشريح والرياضيات أظهرت أنَّ بني البشر لم يستخدموا حتى الآن من الإمكانات الذهنية التي وهبهم إياها الخالق سِوى واحد في المائة(٤) ، وإلَّا لما كان هناك فائدة من خلق هذه الحواس؛ إذ تصير معطلة عن أداء مهامها؛ وقد عاب الله على بني إسرائيل، ووبخهم على حفظهم التوراة، وعدم انتِفاعهم بها؛ وذلك بإعمال عقولهم بالفهم، وجوارحهم بالعمل، وشبههم بالحمار الذي يحمل كتب العلم، لكنه لا يدري

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٢/١٨١.

(٢) سورة النحل: (٧٨) .

(٣) ينظر: تنمية الموهبة ورعاية الموهوبين من منظور القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، محمد محمود بني الدومي، كوثر إسماعيل الربيع، بحث منشور بكلية الشريعة، جامعة آل البيت، الجامعة الأردنية، مجلد ٤٣ ص ١٢٠٧، ملحق ٣، عام ٢٠١٦م .

(٤) المسلم الجديد مقولاتٌ قصيرةٌ في بناء الذَّات، أ. د/ عبد الكريم بكَّار ص ٦١ .



ما فيها ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾[1] ، ولهذا تجد في كتب الأوائل وحواشيهم تعبير «الفَنَاظِر» وهي تعني: «فِيهِ نَظَرٌ»، فالكلام الذي قاله صاحب الكِتاب ليس مسلَّماً به؛ إذ يمكن الاعتراض عليه، وتوجيه النقد البَنَّاء له، لكن من جِهة واحدة، وتجد أيضاً تعبير «الفَهْفَهَات» وتعني: «فِيهِ مَا فِيهِ»، أي: يأتيه النقد من عدة جهات، وهذا يوقد الذهن، ويعمل العقل، ويربي في القارىء ملكة التفكير، فينظر فيما هو أمامه فلا يقبله على أنه نص مقدس لا يحتمل الإضافة أو التعديل أو الحذف، ومن هنا يفتح له الباب ليستدرك على مَنْ سبقه، شَرِيْطَة أن يتفق مع الأصول والقواعد المعتبرة عند أهل العلم، وقد كان من أخلاق الصحابة عدم الوقوف على القِراءة الحرفية لألفاظ القرآن، بل كانوا يَتَجَاوَزُونَ ذلك بالنظر والوقوف على دلالات الألفاظ فيستنبطوا منها ما يناسب أحوالهم، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قال: «لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوا كَنَثْرِ الدَّقَلِ[2]، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُونُ هَمُّ أَحَدِكُمْ مِنَ السُّورَةِ آخِرَهَا»[3] .

---

(١) سورة الجمعة: (٥) .

(٢) «كَنَثْرِ الدَّقَلِ»: لا تُسْرِع فِيهِ كَمَا تُسْرع فِي قِرَاءة الشِّعْر، وشبه قِرَاءَته لِلْقُرْآنِ بالرُّطَب الْيَابِسُ إذا تساقط مِنَ العِذْق إِذَا هُزَّ فيتفرق ويتناثر؛ لِأَنَّهُ لا يلصق بعضه بِبَعْضٍ . ينظر: النهاية ٥ /١٥، ٢٥٥، غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ٢٥٤ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢/٢٥٦ برقم ٨٧٣٣، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٠٩هـ، والآجُرّي في أخلاق أهل القرآن ص٣٨، وإسناده منقطع؛ لأنَّ الشَّعْبِيُّ لم يسمع من ابْنِ مَسْعُودٍ، لكن الحديث له شواهد وطرق أخرى صحيحة، وله أصل في الصحيحين، جَاءَ رجل إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: «إِنِّي قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ» . صحيح البخاري كتاب فضائل ==

كما جعل الإسلام من مصادر المعرفة التي يعتد بها مع وضع ضوابط وقيود لكلٍّ منها، ووجود تفاوت واضح في درجتها ومراتبها، ومجال عمل كل واحد منها: الإلهام، والرؤى، والأمور الوجدانية؛ حيث تعد من قبيل المعرفة الخاصة، والقاصرة على بعض المكلفين دون بعض[١] ، فلا مانع إذاً من الاستفادة من كل الوسائل الجديدة في فهم النَّص القرآني، شريطة أنْ يتسع اللفظ لذلك، وذلك بأنْ يختزِن اللفظ المعنى الذي يراد استنطاقه منه بدلالة اللفظ ذاته، أو بدلالة العرف الشرعي[٢] .

إن ما وصل إليه البشر- في تاريخهم منذ أن نزل آدَم عَليه السَّلام إلى هذه الأرض- من علوم ومعارف ما هي إلا قطرة من بحر علم الله الذي لا نهاية ولا حدود له ﴿وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣]، إذا رسخت هذه الحقيقة في ذهن الإنسان زادته تواضعاً، فيدفعه ذلك لطلب المزيد من العلم، ولا يُصاب بالغرور، ويظن أنه بلغ الغاية، فيكف عن

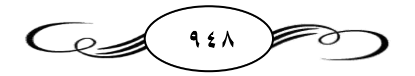
==

القرآن باب الترتيل في القراءة ٦/١٩٥ برقم٥٠٤٣، وصحيح مسلم كِتَاب صَلَاة الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا بَاب تَرْتِيل الْقِرَاءَة، وَاجْتِنَاب الْهَذِّ، وَهُوَ الْإِفْرَاطُ فِي السُّرْعَةِ، وَإِبَاحَةِ سُورَتَيْنِ فَأَكْثَرَ فِي رَكْعَةٍ ١/٥٦٥ برقم ٨٢٢، واللَّفظ له .

(١) ينظر: أثر السُّنَّة النَّبويَّة في تكوين العقليَّة العلميَّة، د.أحمد قوشتي عبد الرحيم ص٧٢، ٧٣، ط: مركز إحسان لدراسات السُّنَّة النَّبويَّة، الأولى، ١٤٣٧هـ .

(٢) مقالتان في التَّأويل للأستاذ الدكتور/ محمد سالم أبو عاصي ص ٤٣ .

(٣) سورة لقمان: (٢٧) .



الطلب، ويرد الحق، فيكون كما حكى القرآن: ﴿فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُم مِنَ الْعِلْمِ وَحاقَ بِهِم ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾(١)

إنَّ القرآن من هذا المنظور أشبه بالطبيعة التي فيها الكثير من الأسرار، لكن لا زالت تفتقر إلى الحل، ثُمَّ إنَّ الإنسان في سعيه لمعرفة الطبيعة ينبغي عليه أنْ يُلائم بين تفكيره والطبيعة كما هي، لا أنْ يفسرها حسب ما يشاء، وكذلك القرآن فإنه لم ينزل لزمن واحد، وإلا لانكشفت أسراره منذ أمد، ولفقد هذا الكتاب كل جاذبيته وتأثيره، لكن الرغبة في تدبره، واستكشاف جديده لمْ يزلْ باقياً كما كان إلى أنْ يرث الله الأرض ومَنْ عليها(٢) .

وها أنا أختم هذا المبحث بوضع بعض الوسائل التي قد تساعد القارىء على تنويع ثقافته المعرفية، وتشكِّل لديه وعياً جديداً أمام التحديات المُعاصرة :

<u>أولاً:</u> التحلي بالمثابرة للحصول على المعرفة، والحماسة في متابعتها، والاتصاف بالصبر، والتسلح بالعزيمة للإستمرار فيها، فكم من شخص توقف في أوَّل المسير عند أول عثرة اعترضت طريقه، وغاب عن ذهنه أنَّ أهم عوامل النجاح هو مقدار الوقت، وكمية الجهد الذي نبذله في سبيله، وانظر إلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في بداية طلبه شغوفاً للحصول على مُبتغاه، ﴿قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً * قالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً *

---

(١) سورة غافر: (٨٣) .

(٢) ينظر: معرفة القرآن لمرتضى مطهري ص ٤٤، ٤٥ .

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً * قالَ سَتَجِدُنِي إِن شاءَ اللَّهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾[1]، لكن لمَّا تَعجَّل أمره، حُرم مطالعة الأسرار التي مَنَّ بها العزيز الغفَّار على الخَضِر، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِ»[2] ، وفي هذا يقول «أديسون»[3] حين سُئل عن العبقرية: «إنَّها ١ % إلهام، و٩٩ % عرق جَبِين»، كثير منا لا يحتاج إلَّا إلى الشرارة الأُولى حتى يبدأ مسيرة المعرفة والثقافة، وبعد ذلك سيؤدي التراكم المستمر لمعلوماته إلى الشعور بالثقة والاعتزاز، وسيضيف إلى حياته معنى جديداً لا يضيفه إلَّا العلم، وسيمثِّل كل ذلك الوقود المطلوب لمتابعة رحلة المعرفة[4] .

ثانياً: انْتِقاء المادة العلمية والمعرفية التي يريد الشخص قراءتها، والعمل على عدم تضييع الوقت في قراءة كتابات مجهولة القيمة، وإنْ أمكن أنْ تحصل على قائمة لأفضل الكتب وأكثرها مبيعاً فافعل خاصة فيما

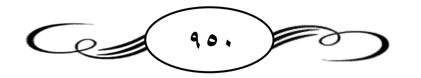
---

(١) سورة الكهف: (٦٦: ٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء بَابُ حَدِيثِ الْخَضِرِ مَعَ مُوسَى ١٥٤/٤ برقم ٣٤٠١ .

(٣) توماس ألفا إديسون: مخترع مشهور ورجل أعمال أمريكي، ولد في مدينة ميلان بأمريكا في فبراير ١٨٤٧م، توفي أكتوبر ١٩٣١م . ينظر ترجمته: حياة عباقرة العلم، توماس إديسون، مخترع المصباح الكهربائي، تأليف: حسن أحمد جغام ص٦، مراجعة: نجيب اللجمي، ط: دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، الأولى، ١٩٨٩م .

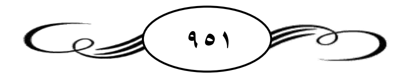
(٤) ينظر: القراءة المثمرة ... مفاهيم وآليات، تأليف: أ. د /عبد الكريم بكَّار ص٥٤، ٥٥ .



يتعلق بالدراسات القرآنية، فينبغي القيام بتحري قبلي؛ لمعرفة مدى جدارة ما ستطلع عليه من ناحية درجة نفعيته وقيمته المعرفية التي ستجنيها من جراء ذلك، خاصة في هذا العصر المتسارع الذي تدفع فيه المطابع يومياً بآلاف الكتب، فصار من الأهمية بمكان أن يعرف الإنسان كيف يختار كتبه بعناية فائقة، ليعرف هل الكِتاب مُناسب لمَنْ يعيش في عصرنا، أو أنَّه في مقام المنسوخ الثقافي الذي فقد مصداقيته وفاعليته ؟، والقرآن الكريم يخبرنا أنه اشتمل على أحسن القصص وأحكمها وأصدقها في زمن سادت فيه الأساطير والأباطيل، فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1]؛ ليلفت انتباه السامع إلى انتقاء ما يتلقاه من أخبار، وما يتحصل عليه من معلومات، فيعرض عمَّا لا يحقق له الثمرة المرجوة والفائدة المنشودة .

ثالثاً: الحرص على إلقاء نظرة عامة مسبقة على الكتاب، والاطلاع على ما يوسِّع رؤيته لمضامين الكتاب، ويسهل عليه الإلمام ببعض تفاصيله، فطول المادة العلمية يجلب غالباً للمبتدئين الملل؛ لقلة صبرهم، وحرصهم على تحصيل قدر كبير من العِلم، مع تجنب الأشياء التي تُشتت الذهن، فلا ينشغل القارىء بأمور جانبية لا علاقة لها بموضوع بحثه؛ إذ يصعب على الإنسان الجمع بين أمرين، والقرآن تجده عندما يعالج مُشكلة ما، أو يصف قضية يلجأ – أحياناً – إلى إعطاء نبذة مختصرة عنها، ثُمَّ يشرع في بيان

(١) سورة يوسف: (٣) .



تفاصيلها؛ لترتكز في ذهن السامع، ولتكون حاضرة لدى القارىء، ولئلا تضيع في خضَم التفاصيل المعروضة .

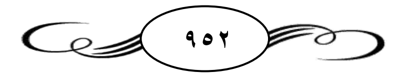
رابعاً: تنويع القراءة[1] لتكون في مجالات متعددة، وتوسيع دائرة الاطلاع، لا سيما إذا كانت بلغات مختلفة بالنسبة للمتمكنين منها؛ إذ تعود عليه بفوائد لا تحصى من ناحية تكوين شخصيته العلمية والعملية، حيث يستفيد من تجارب وأفكار الآخرين، فالاقتصار على جانب واحد من المعرفة، أو القراءة بخلفيات سابقة تجعل الشخص ينغلق في زاوية فكرية أُحادية[2]، ولِذا تجد القرآن الكريم نَوَّع في مصادر المعرفة، فجعلها موجودة في الوحي الإلهي، والعقل البشري، والكون الفسيح ...الخ؛ لتتناسب مع طبيعة الرسالة المحمدية في كونها عامة وخالدة، وكون القرآن معجزة باقية إلى يوم القيامة، فوضع فيه ما يلائم جميع الأذواق البشرية على اختلاف طبائعهم، وتنوع مستوياتهم .

لقد أصبحت حاجة الواحد منا إلى تنوع القراءة واجبة؛ إذ كلما زادت المعارف اتسعت منطقة المجهول بالنسبة إلينا، وصار لزاماً على من يرغب في الحفاظ على قيمة ثقافته أنْ يعيد تكوينها على نحو مستمر،

---

(١) سواء كانت قراءة اكتشافية أو قراءة سريعة أو انتقائية أو تحليلية وغيرها من أنواع القراءات . ينظر: فن القراءة، أهميتها، مستوياتها، مهاراتها، أنواعها، د/ عبد اللطيف الصوفي ص ١٥٣، ط: مكتبة مؤمن قريش، دار الفكر، دمشق، الأولى، ربيع الأول ١٤٢٨هـ .

(٢) ينظر: القِراءة .. عمارة العقول، أمين أمكاح ص٨، ٩، بحث منشور على موقع الألوكة، شبكة المعلومات الدَّولية «الإنترنت» .

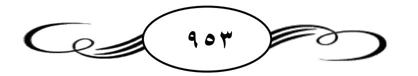


وإذا كان المرء منا متخصصاً، فإنَّ أمواج القفزات العلمية في تخصصه ستقذف به نحو الشاطئ، ليجد نفسه في النهاية خارج تخصصه؛ إذ التدفق الكبير للمعلومات يجعل ما بحوزتنا من معارف يتقادم بسرعة كبيرة؛ وتفيد بعض التقديرات أن ٩٠ % من جميع المعارف العلمية قد تم استحداثه في العقود الثلاثة الأخيرة، ويتوقع أنْ تتضاعف هذه المعارف خلال الاثنتي عشرة سنة القادمة، فالمطلوب إذاً أن يبحث المرء عن طرق جديدة لاكتساب المعرفة واستخدامها، وتوفير الوقت والمال لذلك حتى لا يتدهور ما لدينا، وحتى لا نغرق في الأوهام والمقولات الخاطئة التي تنتشر بوصفها مفرزات جانبية للتقدم العلمي، ولا يليق بالمسلم غير هذا(١) .

<u>خامساً:</u> يجب على الإنسان أنْ يوطِّن نفسه لاستيعاب الجديد، وأن يهيىء عقله لمواجهة معارف وأفكار قد تغير بعض ما لديه من مخزون فكري وثقافي، وقناعات كان يظنها من القطعيات والثوابت التي لا تحتمل النقاش، فالكتب التي تكشف له الجديد في مجال تخصصه تلك الكتب التي يجدر به أنْ يقرأها، وكلما أبحر في عالم المعرفة والثقافة، ازداد تعمقاً فيها، وتجاسر على علوم وفنون ما أَلِفها مِنْ قبل، وظهر له من المعلومات، وربما يتعارض ويتصادم مع كثير ممَّا لديه، وما لم تَكُنْ نفسيته قد استعدت لقبوله، وإصدار الأحكام عليها لتنقيتها ممَّا يشوبها، وما لم يَكُنْ ذهنه يملك من المرونة ما يمكِّنه من مزج المعرفة الجديدة مع ما لديه من معرفة سابقة؛ فإنه حتماً

---

(١) اكتشاف الذات، دليل التميز الشخصي ص ٧٥، ٧٦ .



سيصاب بما يسمى «الصَّدمة المعرفية»، التي تؤْدِي به إلى الهروب من المواجهة[1] ، وهذا ما سلكه القرآن الكريم حينما ناقش المشركين وأهل الكِتاب مناقشة هادئة في بعض المسائل العقديَّة والاجتماعية والسلوكية وغيرها من القضايا الشائكة التي يصعب معالجتها، بحيث يجعل الإنسان يضع يده على مكمن الخطأ، وضلال الفِكرة، ثُمَّ يُسلِّم في النهاية بصحة ما ناقشه فيه القرآن، فيَشْرع في التغيير من حاله، لكن هذا على أساس أنَّ الإنسان لديه قابلية لقبول الحق والانصياع له .

سادساً: على المرء أن يعتمد على أكثر من حاسة عند الفهم والقراءة، والبحث والتنقيب، والحفظ لمسائل العِلم؛ إذ ما يصل إلي الذهن بأكثر من حاسة يكون استياعبه أسهل وأبقى ممَّا يصل إليه بحاسة واحدة، وقد دلت بعض الدراسات أنْ الإنسان يتذكر في نهاية الشهر:

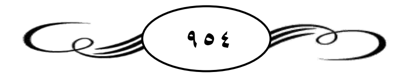
١٣ % من المعلومات التي يتلقاها عن طريق السمع .

٧٥ % من المعلومات التي يتلقاها عن طريق السمع والبصر .

٩٥ % من المعلومات التي يتلقاها عن طريق المشاركة في الحوار والممارسة والكتابة .

---

(١) ينظر: اقرأ ... كيف تجعل القراءة جزءاً من حياتك ... دليل مُختصر لكيفية جعل القراءة جزءاً من حياتك، وما هي مجموعات القراءة، وفوائدها؟، ساجد العبدلي ص ٤٦: ٤٨، ط: دار مدارك، دبي، بيروت، الأولى، ٢٠١١م .



وقد أكدت دراسة أخرى هذه النتيجة، ودلت على أنَّ الإنسان بحسب الأسلوب الذي سوف يلجأ إليه يتذكر ما يتعرض له أو يتعلمه بنسب متفاوتة على النحو التالي:

يتذكر الإنسان بنسبة ١٠٪ ممَّا يقرؤه، يتذكر بنسبة ٢٠٪ ممَّا يسمعه .

يتذكر الإنسان بنسبة ٣٠٪ ممَّا يراه، يتذكر بنسبة ٥٠٪ ممَّا يراه ويسمعه في وقت واحد .

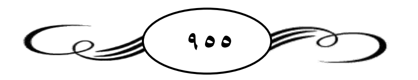
يتذكر الإنسان بنسبة ٨٠٪ ممَّا يقوله، يتذكر بنسبة ٩٠٪ ممَّا يقوله ويفعله في آن واحد(١) .

وتلك الطريقة نهجها أيضاً القرآن الكريم عندما أمر الإنسان أنْ يستعمل حواسه المختلفة التي وهبها الله له كالسمع والبصر والفؤاد؛ للنظر في آيات الله المبثوثة في نفسه وفي المخلوقات الأخرى؛ ليصل من خلالها إلى إدراك وجود الله تَعَالَى، وأَمْره في ذلك لم يقتصر على حاسة واحدة، بل نوَّع وعدَّد حتى شمل المشاعر والوجدان، وإثارة العواطف وكوامن الفطرة الداخلية لدى الإنسان، فما جُهِل بحاسة أدرك بأخرى حتى لا تبقى حجة للمعاند والجاحد .

هذا، وما ذكرته من وسائل كي تساعد الإنسان على تنويع ثقافته المعرفية إنما هي على سبيل المثال لا الحصر والاستقصاء، وإلا فالإسلام لا يرفض أي فكرةٍ لكونها جديدة؛ وإنَّما ينظر فيها ويفحصها بعناية فائقة،

---

(١) علِّم طفلك كيف يُفكِّر، تأليف: د/ طارق عبد الرؤوف عامر، د/ ربيع محمد ص ١٩٦، ١٩٧ .



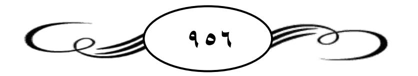
ودقة متناهية، ويأخذ منها ما يفيده في مسيرته العلمية، ورسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يمنع استحداث ما يوافق كل جديد، وإنَّما اشترط أن يكون المستحدث من المعارف والعلوم موافقاً لأصولنا حتى لا يصدم بسنن الخَليقة(١)، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»(٢)، ومن فضل الله على البشر أنَّه افتتح الوحي منذ اللحظة الأُولى بقوله تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ﴾(٣)، ولمْ يَفتتحه ب «صَلِّ»، أو «صُم» ... الخ ؛ فما على المسلم إلَّا أن يستجيب لهذا الأمر الألهي، ويؤديه على أكمل وجه مهما كلفه ذلك من جهد، وعليه أيضاً أن يسعى لاكتساب كل ما هو جديد، وإلَّا فتقاعسه عن القيام بهذه المهمة يؤدي إلى نفق مظلم يقود المجتمع إلى مهاوي التخلف والانهيار، وهذا يتنافى مع ما سبق بيانه، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

---

(١) يشير إلى ذلك حديث جَرِير بْن عَبْد الله: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ...» الحديث . صحيح مسلم كتاب الْعِلْمِ بَاب مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ ٤ / ٢٠٥٩ برقم ١٠١٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥ / ٥١ برقم ٢٦٨٧، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وابن ماجه في سننه ٢ /١٣٩٥ برقم ٤١٦٩، وقَالَ الْمُنَاوِيُّ: «بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ». التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ٢٢٧ .

(٣) سورة العلق: (١) .



المطلب العاشر

التجديد في الأمور الْمَعِيْشِيَّة(١)

لمْ يدع القرآن شيئاً من أمور الحياة إلَّا أبانها، وفصَّل أحكامها، ووضع قواعدها، ولم يترك لا شاردة ولا واردة إلَّا وكشف اللِّثَام عنها، ولو برسم خطوط عريضة لها، وترك تفصيلاتها تبعاً لمستجدات حياة البشر في كل زمان ومكان، ممَّا يدل على أنه كِتاب الله الخالد الذي جمع بين دفتيه أمري الدنيا والآخرة، وقد شهد بذلك كثير من مفكري الغرب المنصفين، يقول بوازار: (إنَّ القرآن لم يقدر قط لإصلاح أخلاق عرب الجاهلية، إنه على العكس يحمل الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية، والحاجات الاجتماعية في كل الأزمنة.)(٢)

وها أنا أعرض بعض الآيات التي تدعو ضِمْناً إلى التجديد في الأُمور المعيشية المختلفة:

أولاً: في مجال اللباس واتخاذ الزينة:

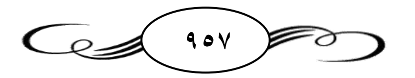
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾(٣) ، لقد اختلفت أنظار المفسرين حول المراد ب «الثياب» في الآية، وهل معناها الحقيقي هو المراد؟ ؛ إذ الألفاظ إذا أمكن حملها على الحقيقة، والمعنى القريب

---

(١) المَعِيشَةُ: جمع مَعايش، وهي التي تَعيش بها من المَطْعَم والمَشْرَب، وما تكون به الحياة، وما يُعاش به أو فيه، فالنَّهار مَعَاشٌ، والأَرْض مَعَاشٌ للخَلْق يَلْتَمِسُونَ فِيهَا مَعَايِشهمْ . ينظر: العين ٢/١٨٩، القاموس المحيط ١/٥٩٩ .

(٢) قالوا عن الإسلام ص ٥٤، وهو مفكر وقانوني فرنسي معاصر، سبقت ترجمته .

(٣) سورة المدثر: (٤: ٥) .

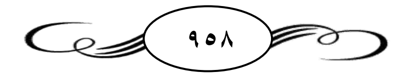


المتبادر للذهنِ، فلا معنى للعدول إلى المجاز إلَّا إذا وجدت قرينة في السياق، فضلاً عن وجود الداعي لذلك، أو أن المراد هو المعنى المجازي المُكنَّى به عن النفس والذات أم لا ؟[1]، لكن قد يمكن الجمع بين المعنى الحقيقي للثياب والتطهير، والمعنى الكنائي لهما، كما قال ابن عاشور: (وَالْمَعْنَيَانِ صَالِحَان فِي الْآيَةِ فَتُحْمَلُ عَلَيْهِمَا مَعًا؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالطَّهَارَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِثِيَابِهِ؛ إِبْطَالًا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْل الْجَاهِلِيَّة مِنْ عَدَمِ الِاكْتِرَاث بِذَلِكَ، وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيث فِي ذَلِكَ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا، وَالطَّهَارَة لِجَسَدِهِ بِالْأَوْلَى، وَمُنَاسَبَة التَّطْهِير بِهَذَا الْمَعنى لِأَن يُعْطَف عَلَى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[2]؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أُمِرَ بِالصَّلَاةِ أُمِرَ بِالتَّطَهُّرِ لَهَا؛ لِأَنَّ الطَّهَارَة مَشْرُوعَةٌ لِلصَّلَاةِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ ذِكْر طَهَارَة الثَّوْبِ إِلَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَهُوَ مَأْمُورٌ بِتَزْكِيَةِ

---

(١) قيل: هي الثياب على وجه الحقيقة، فقد أُمِر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنْ تكون ثيابه طاهرة ؛ لأنَّ طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلَّا بها، وقيل: هو أمر بتقصيرها، ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذِّيول، وذلك ما لا يُؤْمَن معه إصابة النجاسات، وقيل: هو أمر بتطهير النَّفس ممَّا يُسْتَقْذَر من الأفعال، ويستهجن من العادات، يُقال: فلان طاهر الثياب والجيب: إذا وصفوه بالنقاء من المعايب، وفلان دنس الثياب للغادر؛ لأنَّ الثوب يلابس الإنسان ويشتمل عليه، فكنى به عنه، ألا ترى إلى قولهم: أعجبني زيد ثوبه، وأعجبني زيد عقله، ويقولون: المجد في ثوبه، والكرم تحت حُلَّته، ولأنَّ الغالب أنَّ مَنْ طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته، وأبى إلَّا اجتناب الخَبث وإيثار الطهر في كل شيء . ينظر: الكشاف ٦٤٥/٤، البحر المحيط ٣٢٥/١٠.

(٢) سورة المدثر: (٣) .



نَفْسِهِ، وَالْمَعْنَى الْمُرَكَّب مِنَ الْكِنَائِيِّ وَالْمَجَازِيِّ هُوَ الْأَعْلَق بِإِضَافَةِ النُّبُوءَةِ عَلَيْهِ.)[1]

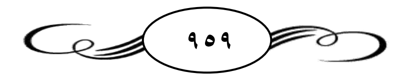
والرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان متصفاً ومواظباً على الطهارة الحِسية المتمثلة في البعد عن كل مستقذر وقبيح من الثياب، وكذا الطهارة المعنوية المتجسدة في صفاء النفس من كل سوء ومكروه، وانظر إلى أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد الصحابة بتغيير ثوبه الذي أصابه البَلى والقِدم، والذي فيه أقوى دعوة لتجديد الثياب القديمة وإحلال الجديدة محلها، فعَنْ جَابِرٍ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَزْوَةٍ، فَبَيْنَا أَنَا نَازِلٌ مَعَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ، إِذْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَى الظِّلِّ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ فَوَجَدْتُ فِي السُّفْرَةِ جَرْوَ قِثَّاءٍ[2]، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا؟ فَذَكَرَ كَلِمَةً، ثُمَّ أَدْبَرَ رَجُلٌ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ قَدْ خَلَقَا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا لَهُ ثَوْبَانِ غَيْرُ هَذَيْنِ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُ ثَوْبَانِ فِي الْعَيْبَةِ[3] كَسَوْتَهُ

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٢٩٧ .

(٢) «جَرْو قِثَّاء»: جرو الْكَلْب وَغَيره من السِّبَاع، وَكثر ذَلِك حَتَّى قَالُوا: جَرْو قِثَّاء، وهي صِغاره، وقيل: الطويل منه، وقيل: الواحد منه . جمهرة اللُّغة ١/٤٦٧، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى ١ / ١٤٥، ط: المكتبة العتيقة ودار التراث .

(٣) «الْعَيْبَة»: وعَاء يَجْعَل فِيهِ الرجل نَفِيس مَتَاعه . ينظر: تهذيب اللغة ٣ / ١٥٠، وجمهرة اللغة ١ / ٣٦٩ .



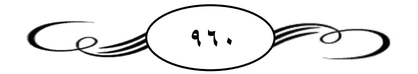
إِيَّاهُمَا، قَالَ: فَادْعُهُ فَمُرْهُ فَلْيَلْبَسْهُمَا، فَدَعَوْتُهُ فَلَبِسَهُمَا ثُمَّ وَلَّى يَذْهَبُ ... الحديث»[1] .

ومن يمعن النظر في الآية السابقة يجِد أنَّ فيها إشارةِ إلى نبذ الثياب القديمة، ولبس الثياب الجديدة الطاهرة؛ إبطالاً لما كانت عليه العرب في الجاهلية من عدم الاكْتِراث بذلك، أو لأنهم كانوا يجرون ثيابهم على الأرض تكبراً وخيلاء، ولا يحترزون من وقوع النجاسة بها .

لقد رغب الإسلام المسلم أن يرتدي ما يكون فيه جميلاً، وأن يكون في حال غِناه مُظهِراً – من خلال ملابسه– لنِعَم الله عليه، دون أن يحدد كيفية ذلك طالما تتوافق مع الشرع، فتشمل القديم والجديد وما سَيُسْتَحدث في الأيام المقبلة، فعَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ فِي ثَوْبٍ دُونٍ، فَقَالَ لَهُ: «أَلَكَ مَالٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مِنْ كُلِّ الْمَالِ، قَالَ: مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟ قَالَ: قَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْغَنَمِ، وَالْخَيْلِ، وَالرَّقِيقِ، قَالَ: فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ١٢ / ٢٣٦ برقم ٥٤١٨، وقال شعيب: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، والهيثمي في المجمع ١٣٤/٥ برقم ٨٥٩٢، وقال: «رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِأَسَانِيدَ، وَرِجَالُ أَحَدِهِمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ» .



مَالًا، فَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ»(١)، وفي رواية: «.... وَلَا يُحِبُّ الْبُؤْسَ وَلَا التَّبَؤُّسَ»(٢) .

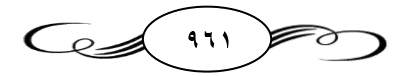
كما حث رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً على الاهتمام بالشكل والهيئة، وتسريح الشعر وتنظيفه بكل الإمكانيات التي لا تتعارض مع الشريعة، ولم يحدد الوسيلة والآلية التي بها يتم تجميله، بل ترك ذلك للعرف، لكن بشرط موافقته لهديه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»(٣) ، فانظر إلى هذه التوجيهات الربانية والأوامر النبوية، وما كان سائداً لدى بلاد العالم في وقت كانت فيه القذارة سِمة مميزة لحياة بعض الأوربيين، فالإنسان لا يغتسل في العام إلَّا مرة أو مرتين، حتى وصل الأمر إلى اعتبار أنَّ الأوساخ التي تَعلق بالجسم والملبس هي من البركة، ومن الأشياء التي تعطي القوة للأبدان، وثيابهم لا يغسلونها بعد أن

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٤/٥١ برقم ٤٠٦٣، واللَّفظ له، والترمذي في سننه ٤ / ٣٦٤ برقم ٢٠٠٦، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن حبان في صحيحه ٢٣٤/١٢ برقم ٥٤١٦، وقال شعيب: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والهيثمي في المجمع ١٣٣/٥ برقم ٨٥٨٧، وقال: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ» .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٥/ ٢٧٣ برقم ٥٣٠٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧ / ١١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٢/٥ برقم ٨٥٨٣، وقال: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَتَرْجَمَ لِزُهَيْرٍ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ» .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ٧٦/٤ برقم ٤١٦٣، وحسَّن إسناده ابن حجر فقال: «أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ فِي الْغَيْلَانِيَّاتِ وَسَنَدُهُ حَسَنٌ أَيْضًا» . فتح الباري ١٠/ ٣٦٨، وقال المناوي: «إسناده حسن» . التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ٤٣٩ .



يرتدوها حتى تصبح خرقاً بالية مهلهلة، لكن بفضل التقليد العربي فقط عادت النظافة الضائعة، وعاد الاعتناء بالصحة إلى بلاد الغرب، وهذا بشهادة مَن هُم مِن بني جلدتهم(١)، يقول رينولد: (إنَّ القرآن الكريم دستور إلهي فعلاً؛ فهو يُقنِّن الحياة بعيداً عن حياة الغاب، إلى حياة التحضر الكامل، واستمعوا إلى القرآن واعملوا به تجدوه يخطط للحياة بأسلوب راقٍ وبتناولٍ حضاري قلَّما تجده في الكتب التي سبقته.)(٢)

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(٣) ، هذه الآيات وإن كان لها سَبب نُزُول كما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ حيث قَالَ: «كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَة، فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة: ﴿خُذُوا

---

(١) ينظر: شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبة، زيجريد هونكه ص٥٤، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط: دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الثامنة، ١٤١٣هـ .

(٢) علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام ص٥٧، وهو رينولد ألين نيكولسن ولد أغسطس ١٨٦٨م، مُستشرق إنجليزي، باحث في التصوف الإسلامي، تخرج من جامعة كمبردج ١٨٩٣م، توفي ١٩٤٥م . ينظر ترجمته: الصوفية في الإسلام، ألَّفه: د/ ر. أ نيكلسون ص ٦، ترجمة: نور الدين شرَّبيه، ط: مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الثانية: ١٤٢٢هـ، وموسوعة المستشرقين، د/ عبد الرحمن بدوي ص٥٩٣، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الثالثة، يوليو ١٩٩٣م .

(٣) سورة الأعراف: (٣١: ٣٢) .



زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾»[1]، لكن العِبرةِ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فتكون الآية عامة في كل مسجدٍ، وجميع ما يتخذ من التزين للوقوف بين يدي الله تَعَالَى؛ ويؤيد ذلك أيضاً أنَّ قوله ﴿زِينَتَكُمْ﴾ مُنكَّر، وعليه ف «الزينة» عامة تشمل كل ستر للعورة في الصلاة، وَكل مَا أُوجِدَ اسْتِحْسَانه فِي الشَّرِيعَةِ قديماً وحديثاً، وَلَمْ يُقْصَدْ بِهِ الْخُيَلَاء[2].

إنَّ هذه الآية من أقوى الآيات المحكمة وأروعها التي تظل محتفظة بروعتها وقوتها ونفوذها، وفعاليتها في كل ظرف ومكان مهما طرأ على البشرية من تطور؛ لاتساقها التام المستمر مع المنطق والعقل والمصلحة الإنسانية، وهذا فيه من الإعجاز ما فيه[3] ، وهي أيضاً من أقوى الآيات التي فيها رَدٌّ على أولئك المتنطعين الذين يضيقون على أنفسهم ما وسَّعه الله على البشرية، وتسبق ما يَتَشَدَّق به أهل التحضر والإتكيت الحديث .

والمتصفح للسنة يجِد أنَّ رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وضع قاعدة مهمة في لبس الثياب وغيرها من الأمور الحياتية، فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٢٨، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١١هـ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٩٢، ط: دار الكتب العلمية، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب التَّفْسِير بَاب فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ٤/٢٣٢٠ برقم ٣٠٢٨ .

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٢/ ٣٩٢، والبحر المحيط في التفسير ٥ / ٤٠ .

(٣) ينظر: التفسير الحديث ٢ / ٣٨٨ .



النَّاسِ»[١] ، وقَالَ أيضاً: «كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ»[٢]، والشاهد: أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصر دائرة الكِبر في مجال الملبس في أمور ثلاثة: أولها: رَد الحق وعدم قبوله بعد ظهوره، ثانيها: احتقار الناس والتقليل من شأنهم، ثالثها: الإسراف والتبذير، ما عدا ذلك فهو مباح وجائز، ويعم كل ما يستجد في هذا المجال، بشرط موافقته لمعايير الشريعة، أمَّا ما يستورد من الغرب بدعوى التقدم والانفِتَاح على العالم، فهذا مردود على صاحبه؛ ولذا وضع الإسلام ضوابط عامة ينبغي مراعاتها عند اختيار الإنسان لملابسه[٣] .

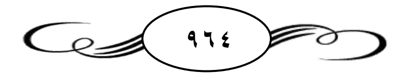
ممَّا سبق ظهر لنا أنَّ القرآن الكريم دعا إلى اتخاذ «الزينة» بكل أشكالها، ولا يحسبنَّ أحدٌ أنَّ الزينة التي يطلبها، ويأمر بها مقصورة على الثياب الحسنة، والطِّيب، وحسن التجمل فقط أثناء الصلاة، ذلك لأنَّ «الزينة» إذا كانت اسماً جامعاً لكل شيء يتزين به، فإن مصادر طلبها،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كِتَاب الْإِيمَانَ بَابُ تَحْرِيم الْكِبْر وَبَيَانِه ١/ ٩٣ برقم ٩١ .

(٢) أخرجه البخاري معلقاً ٧ / ١٤٠، والنسائي في الصغرى ٥/٧٩ برقم ٢٥٥٩، وأحمد في مسنده ٦ / ٢٤٥ برقم ٦٦٩٥، وقال الشيخ / أحمد شاكر: «إسناده صحيح»، والحاكم في المستدرك ٤ / ١٥٠ برقم ٧١٨٨، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وقال الذهبي: «صحيح» .

(٣) من أهم هذه الضوابط: البُعد عن تشبُّه الرِّجال بملابس النِّساء والعكس، ألَّا تكون ملابس الرِّجال من الحرير؛ لأنَّه جاءت النُّصوص بتحريمه عليهم، أن تكون ملابس النِّساء فضفاضة واسعة لا تصف ولا تشف ولا تجذب أنظار الرِّجال إليهنَّ .



ومواطن الإحساس بها مبثوثة في كل آيات الجمال التي خلقها الله وأبدعها وأودعها في سائر أنحاء الوجود[١] .

يقول هُوفمان بعد أن استعرض موجبات الطهارة والنظافة في الإسلام: (ويمكنني أنْ أقول بصدقٍ: إنني انزعجتُ مراراً من رائحة أُناس يجلسون بجانبي في حفلات الأوبرا الغنائية في باريس، أو في مركز لنكولن في نيويورك، أو في المسرح الوطني في ميونخ، إلَّا أنني لم أنزعج من رائحة كريهة على الإطلاق في مسجدٍ من مساجد المسلمين، ثُمَّ طرح السُّؤال التَّالي: هل يُمكن أنْ يعني هذا أنَّ المسلمين هم الأنْظَف ؟!)[٢]

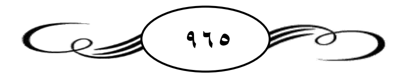
ثانياً: في مجال الطعام والشراب:

لو نظرتَ في قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسى لَن نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِها وَقِثَّائِها وَفُومِها

---

(١) ينظر: الإسلام والفنون الجميلة، د/ محمد عمارة ص٢٣، ط: دار الشروق، القاهرة ،الأولى،١٤١١هـ .

(٢) الرحلة إلى الإسلام، يوميات دبلوماسي ألماني مُراد هُوفمان ص ١٢٣، وهو مُراد ويلفريد هُوفمان، دبلوماسي وقانوني مُسلم، سفير ألمانيا في الجزائر والمغرب، ولد في أشافنبورغ بألمانيا سنة ١٩٣١م، وتوفي في يناير ٢٠٢٠م، صاحب العديد من الكتب التي تتناول مستقبل الإسلام في إطار الحضارة الغربية . ينظر ترجمته: جاذبية الإسلام الروحية، لماذا أسلم هؤلاء ؟ ، د/ أحمد عبد الرحمن ص ٨٢، ط: مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى،١٤٣٠هـ، والإسلام في الألفية الثالثة، ديانة في صعود، د. مراد هوفمان، تعريب: عادل المعلم، يس إبراهيم، ط: مكتبة العبيكان، الثانية، ٢٠١١م .



وَعَدَسِها وَبَصَلِها﴾[1]، لوجدتَ أنَّ الآيـة قد وردت في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وعدم رضاهم بما يأتيهم به الله دُون كُلْفَة وعَناء، فهم عندما دخلوا أرض الشَّام[2] ، أنزل الله عليهم الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، فقالوا لمُوسَى عَلَيْـهِ السَّلَام على سبيل التعنت والإنكار لا نكتفي بنوع واحد من الطعام؛ «لأنَّـه لون واحد متكرر مستمر لا يتغير، فهو يعرض بطريقة واحدة، والشيء المتكرر يكون شيئاً واحداً، ولو تجدد وتعدد، ولو كان طيباً، وإن الرجل المادي يَسْأَم ما يُقدم له كل يوم، ولو كان أشهى»[3]، ومن يدرى؟ فلعله لو ذهب بنو إسرائيل بهذه التجربة إلى غايتها، لتغير وجه الحياة الإنسانية بهم، ولظهرت في الحياة سلالات بشرية لا تحمل معدة الحيوان، ولا بهيمية الأنعام، ولكن الله بالغ أمره! ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[4][5].

وفي هذا إشارة – من طرف خفي – إلى تنوع الطعام، وعدم الاعتماد على نوع واحد خاصة وأنَّ الذي طلبوا لا يجيء إلَّا بالحرث والزراعة والتعب والجهد[6]، وقد جاء الطب الحديث يُصدِّق ذلك؛ فالتغيير

---

(١) سورة البقرة: (٦١) .

(٢) المراد ب «الْقَرْيَة» في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ هي: بَيْت الْمَقْدِس فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ، قَالَـهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وقتادة وَالسُّدِّيُّ وَالرَّبِيعُ وَغَيْرُهُمْ . ينظر: البحر المحيط ١/ ٣٥٦، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠٩، وروح المعاني ١/ ٢٦٥.

(٣) ينظر: زهرة التفاسير ١ / ٢٤٨، ٢٤٩ .

(٤) سورة الطلاق: (٤) .

(٥) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ١ / ٥ .

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١ / ١٥٤.

في نوع الأكل يضمن توازن الطعام والصحة، حيث لا يوجد طعام كامل، بل أطعمة متمّمة لبعضها البعض؛ لتشكل غذاء متكاملاً، يَتحقق من خلاله عِيْشَة هادئة مطمئنة؛ إذ الإنسان لديه كمية محدودة ودقيقة من طاقة الحياة، إنْ استغلها بصورة مثالية في نظامه الغذائي، والهواء الذي يتنفسه، والماء الذي يشربه، والحركة التي يمارسها، فبمقدوره تمديد هذه الطاقة ومضاعفتها(١)؛ لذا جمعت الآية عدة أطعمة مختلفة، وشملت كل ما يحتاجه الإنسان في الأكل، ولم تقتصر على شيء واحد؛ تحقيقاً لهذا النظام الغذائي المتكامل، ففِي الْآيَة دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ أَكْل الطَّيِّبَات وَالْمَطَاعِمِ الْمُسْتَلَذَّات التي تختلف تَبَعاً لزمان ومكان وأعراف كل قَوم(٢) .

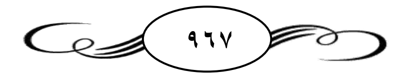
قال الإمام الفَخْر الرَّازي: (إنَّ الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الطَّعَامِ الْوَاحِدِ سَبَبٌ لِنُقْصَانِ الشَّهْوَةِ، وَضَعْفِ الْهَضْمِ، وَقِلَّةِ الرَّغْبَةِ، وَالِاسْتِكْثَارَ مِنَ الْأَنْوَاعِ يُعِينُ عَلَى تَقْوِيَةِ الشَّهْوَةِ، وَكَثْرَةِ الِالْتِذَاذِ، فَثَبَتَ أَنَّ تَبْدِيلَ النَّوْعِ بِالنَّوْعِ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَقْصُودَ الْعُقَلَاءِ، وَثَبَتَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مَمْنُوعِينَ عَنْهُ، فَثَبَتَ أَنَّ هَذَا الْقَدْرَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً، وَمِمَّا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَا سَأَلْتُمْ﴾(٣) كَالْإِجَابَةِ لِمَا طَلَبُوا، وَلَوْ كَانُوا عَاصِينَ فِي ذَلِكَ السُّؤَالِ لَكَانَتِ الْإِجَابَةُ إِلَيْهِ مَعْصِيَةً وَهِيَ غَيْرُ جَائِزَةٍ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ ذكر وجوهاً للرَّد على مَنْ قال: إنَّ السُّؤَالَ كَانَ مَعْصِيَةً، وقَوْلَهُمْ: ﴿لَن نَصْبِرَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّ ﴿لَنْ﴾ لِلنَّفْيِ فِي

---

(١) ينظر: سر ينبوع الشباب بسبع خطوات تُصبح أكثر شباباً بعشر سنوات ص ٢٩، ٣٠ .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١ /٤٢٩ بتصرُّفٍ .

(٣) سورة البقرة: (٦١) .



الْمُسْتَقْبَلِ، فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ سَخِطُوا الْوَاقِعَ، والشَّيْءَ قَدْ يُوصَفُ بِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ حَيْثُ كَانَ الِانْتِفَاعُ بِهِ حَاضِرًا مُتَيَقَّنًا، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَحْصُلُ عَفْوًا بِلَا كَدٍّ، كَمَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْحَاضِرِ، فَقَدْ يُقَالُ فِي الْغَائِبِ الْمَشْكُوكِ فِيهِ: «إِنَّهُ أَدْنَى» مِنْ حَيْثُ لَا يُتَيَقَّنُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْكَدِّ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ هَذَا الْمَعْنَى أَوْ بَعْضُهُ، فَثَبَتَ أَنَّ ذَلِكَ السُّؤَالَ مَا كَانَ مَعْصِيَةً، بَلْ كَانَ سُؤَالًا مُبَاحًا.)[١]

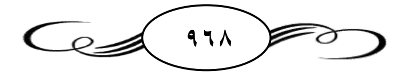
ولو اسْتقرأتَ حديث القرآن عن أطعمة وأشربة الإنسان في الدنيا، وكذا طعام المؤمن وشرابه في الآخرة لوجدته مُتعدِّداً ومتنوعاً، وليس مقصوراً على نوع واحد منها، بل فيها جميع ما يُشْتهى من ألوان النعيم والترف والجمال الحسي؛ ليلفت الأنظار إلى هذا القانون الإلهي القائم على التعدد والتغيير في نمط ومسيرة الحياتين اللتين يحياهما الإنسان على اختلاف في الكيفية في كُلٍّ منهما .

ثالثاً: في مجال البناء والعمارة "المسْكَن":

يلفت نظر المتأمل لآيات القرآن في مجال عمران الأرض أمران مهمان:

أولهما: شمولية حصر الآيات للعديد من أنواع المباني المعمارية على اختلافها وتعددها، وتنوع وظائفها من مباني العبادة المختلفة عند أهل الشرائع السماوية كاليهود والنصارى والمسلمين، ومباني السكن والإيواء، والمباني الدفاعية والحربية، والمباني العامة كالأسواق والسجون .

(١) التفسير الكبير ٣ /٥٣١ .



ثانيهما: دقة التفرقة بين المفاهيم والمصطلحات العمرانية والمعمارية، وهو ما يعتبر أحد جوانب إعجاز القرآن في هذا المجال، وبهذا يكون له السبق العلمي في هذا الأمر بوضع أسس ومفاهيم هذا العلم، والتفرقة الدقيقة فيما بينها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وهو ما لم تشتمل عليه الكتب السَّماوية الأخرى «التوراة أو الإنجيل»[(١)] .

إن النماذج التي ذكرها القرآن ساهمت – عن طريق لفت النظر والتنبيه بشكل أساسي – في حرص المسلمين على الإرتقاء الجمالي بفنون العمران والبنيان، وتحقيق الجوانب الجمالية والفنية فيما يصممونه وينفذونه من عمائر وزخارف، وهو ما يمكن أنْ نلاحظه دون عناء عند زيارتنا للمساجد أو المساكن الإسلامية الأثرية الباقية في مختلف عواصم ومدن العالم، والتي ما زال إلى اليوم يبحث المتخصصون فيها على اختلاف مناهجهم، وتنوع توجهاتهم، وتحاول بعض الدراسات استخدام أحدث الوسائل التحليلية الرقمية لدراستها، والوقوف على بعض أسرارها[(٢)].

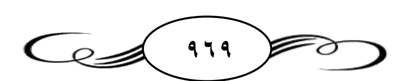
ومن إشارات القرآن إلى أعلى مظاهر الحضارة العمرانية[(٣)] إشارته البديعة إلى عمارة ذات الطوابق التي تعد اليوم من مظاهر الحضارة

---

(١) ينظر: العمران والبنيان في منظور الإسلام ، د . مهندس/ يحيى وزيري ص٤٤ ، ٦٨ .

(٢) ينظر: العمران والبنيان في منظور الإسلام ص١٢٢بتصرُّفٍ .

(٣) وللوقوف على هذا ينظر: الإعجاز الهندسي في القرآن الكريم «إشارات، دلالات، معاني»، بدر الدين عبد الكريم أحمد، ط: دار الصحابة، الأولى، ٢٠١٧م، والكِتاب كُتب بعدة لُغات وتُرجِم إلى العربية، وقد حوتْ فصوله أصول العلوم والمعارف، ==



المتقدمة، قال تَعَالَى: ﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِن فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ﴾[1] أي: عَلالِي بعضها فوق بعض، بُنْيَت بِناء المنازل التي على الأرض، وسوّيت تسويتها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾ ، كما تجرى من تحت المنازل، من غير تفاوت بين العلو والسفل[2]، ويترشح من هذا الوصف التقابلي أنه يضرب على الوتر الحساس من نفسية الإنسان؛ لأنَّ الذي تكون له غرفٌ مبنية يكون في هناءة وارتياح، بخلاف الذي يحرم من هذه النعمة، ولا يجد إلَّا ظللاً لا تنجيه ولا تَقِيه، فضلاً عن ظُلل النار كالمتشرد في الصحراء تحت شمس تمطر ناراً .

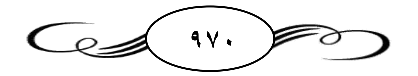
ويلاحظ أنَّ التعبير جاء بصيغة جمع الكثرة، فقال: ﴿غُرَفٌ مِن فَوْقِها غُرَفٌ﴾ ؛ ليدل على كثرة الغرف المبنية، وإضافة إلى ذلك قد يشار إلى ارتفاع البِناء بالطوابق الكثيرة باستخدام ﴿مِن﴾ مع ﴿مِن فَوْقِها﴾؛ ليدل على رفاهية أهل الجنة ورخائهم، وعلو منزلتهم، كما تعد اليوم المباني العالية الناطحة السحاب مَفْخَرة من مفاخر الدول المتقدمة،

==

وجمع بين الهندسة الحسية والروحية؛ ليكون عُمدة الباحثين، هادياً ودليلاً بديعاً في طرحه وتناوله، جديداً في أسلوبه، حاضراً في سوق الحداثة والهندسة، مُؤصِّلاً لقوانينها من خلال آيات القرآن الكريم .

(١) سورة الزُّمر: (٢٠) .

(٢) ينظر: الكشاف ٤/١٢١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/٤٠، ط: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٤١٨هـ .



ومظهراً من مظاهر الحضارة والثراء والرفاهية[(١)]، و﴿مَبْنِيَّةٌ﴾ نعت ل ﴿غُرَفٌ﴾ التي ﴿فَوْقِها غُرَفٌ﴾ وَيُعْلَمُ مِنْهُ أَنَّ الْغُرَفَ الْمُعْتَلَى عَلَيْهَا مَبْنِيَّة بِدَلَالَة الْفَحْوَى[(٢)]، وفى وصفها ﴿مَبْنِيَّةٌ﴾ إشارة إلى أنَّها ثابتة تطيب فيها الحياة بالسكن والاستقرار، وأنَّها ليست خياماً مضروبة لا يستقر المقيم فيها إلَّا ريثما يتحول بها إلى أماكن أخرى[(٣)] ، فالآية فيها أعلى وأرفع أنموذج للدعوة إلى التجديد في العِمران والبِناء بكل أشكاله وصوره، حيث ذكره الله في كِتابه، وطرق به أسماع البشر في زمن لم تتطور فيه المدنية كما تطورت الآن، ولم تكن قد اهْتَدَت البشرية إلى وسائل الحضارة وعمليات البِناء وهندستها كما هي عليه اليوم .

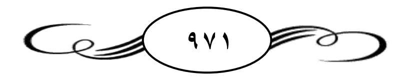
هذا، وقد وردت أسماء بعض المدن والأماكن المسكونة في القرآن مثل: «مَكَّة، بَكَّة، يثرب ... الخ» كما سميت بعض السُّور القرآنية بأسماء العمارة كسورة «الكهف، الْحُجُرَات، البلد» ؛ تشجيعاً للإنسان على الاستقرار، وإظهاره أوجه العمران المختلفة، وإدخاله عنصر الجمال فيها؛ حيث امتزجت فيها المادة بالفن والخيال؛ ليبتكر منها الإنسان أجواء ملائمة لعيشه وإبداعه في الحياة، ولتبقى تلك الشواخص تحكي الإبداع الفني والهندسي على مر العصور، والإنسان مطالب تنفيذاً للأمر الإلهي

---

(١) ينظر: الحِرف والصناعات في القرآن الكريم، د/ أنوار أحمد خان البغدادي ص٤٠٤، ٤١٩، ٤٢٠، ط: دار الكتب العلمية .

(٢) التحرير والتنوير ٢٣ /٣٧٤ .

(٣) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ٥٢٤/٤، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الأولى، ١٤١٤هـ، والتفسير القرآني للقرآن ١١٤٠/١٢ .



الوارد في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُم مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها﴾[1] أن ينقل هندسة القرآن في البِناء والتصميم إلى الواقع، ويحاكي ذلك الطراز سواء أكان بالفطرة أم بالقصد، فما قصته آيات الرَّحمن من هندسة الأُمم السابقة والتي لا نملك عنها – حتى اليوم– إلَّا معلومات قليلة كقوم «عاد، ثمود، مملكة سبأ، صرح فِرعون ...» الخ، وكذا تصميم الكائنات الأخرى كمملكة النحل، وكيف تبني مساكنها وفق هندسة خاصة، ما هو إلَّا دعوة لنا لنستفيد من تجاربهم الفنية في حياتنا اليومية، وليكونوا عظة للعالمين[2] .

رابعاً: في جوانب الحياة كلها:

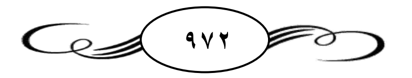
ولا يقف المجال عند حدٍّ معيَّن، بل يتسع ليتناول حركة الحياة كلها، وإذا كان من صفات الله الحياة ... والعلم ... والقدرة ... والإبداع ... والإرادة ... الخ، فإنَّ مِن مميزات الإنسان التطلع إلى مثل هذه الصفات، والعمل على تحقيقها، فالإنسان في تطوره يتطلع إلى الوحدة والانسِجام بين مطالب نفسه وحكمة عقله، وإلى الحياة الإنسانية فوق خصائص الحيوانية[3] .

---

(١) سورة هود: (٦١) .

(٢) ينظر: العمارة والبيئة في القرآن الكريم، أ.د/ فليح كريم خضير الركابي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٩٤، ص ٢، ٤، ٦، ٨، بحث منشور على الشَّبكة العنكبوتية «الإنترنت» .

(٣) منهج القرآن في تطوير المجتمع، د/ محمد البهي ص ٦٧، ط: مكتبة وهبة، الثانية، ١٤١٦هـ .



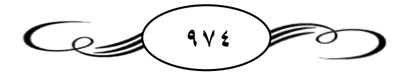
ولو أمعنت النظر في سورة الحجرات مثلاً لظهرَ لك أنها بمجملها تعيد تنظيم العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، في علاقتها مع قيادتها المُتمثلة في شخص الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي علاقة الأخوة الإيمانية فيما بينها، لترسم أسلوباً جديداً في التعامل الإنساني فيما بينهم، فَمَحَت التمايز الطبقي في المجتمع، والافتخار بالآباء والأجداد .

كما تجد القرآن يتدخل ليخلص البشرية من العادات والتقاليد غير المقبولة في المجتمع الجديد آنذاك، وينشىء تشريعات وأحكام جديدة بديلة عنها، ويبطل أيضاً بعض الظواهر التي تتعلق بجانب العقيدة كالشرك وعبادة الأصنام، واتخاذ الأحبار والرُّهبان أرباباً، وكذا جعل الملائكة والنبيين والجِن آلهة، وعبادة الشمس والقمر والكواكب، والافتراء على الله ... الخ، وجانب العبادة كالتعري عند الصلاة، وفعل المُكاء والتصدِية، وتأدية الصلاة وهم سُكارى، والأنْصَاب والأَزْلَام، وجانب الأخلاق فيرفض التشبه باليهود فيما لا يتناسب وقِيم الدين الجديد، ويحرم قتل النفس بغير حق، وظهور الفساد الجنسي بكل صوره وأشكاله كاالزنا والبِغاء، وجانب التشريع في الأسرة فيحرم الإيلاء والظهار، ويقضي على ظاهرة التبني فيدعو الأبناء لآبائهم، ويحافظ على علاقات الرَّحم فيحرم الجمع بين الأختين والعمة، وفي الأطعمة فيحرم أكل الْمَيْتَة وَلَحْم الْخِنْزِير وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ ... الخ، وفي الأشربة فيحرم شرب الخمر والدم، وفي الأموال فيقضي على التعامل بالربا الذي كان منتشراً بصورة فاحشة، وأكل أموال الناس بالباطل والرشْوة وغيرها من الأعراف االخاطئة المُتأصلة التي قضى عليها الإسلام، فأتى بقيم وسلوكيات ومظاهر جديدة لم يعهدها المجتمع آنذاك في كل جانب من الجوانب السابقة؛ وهو بذلك يختط منهجاً

جديداً لحياة متجددة، فيُبقي الصالح، ويُقَوِّم المِعوج، ويصلح الفاسد، ويجدد البالي، فجاء بأحكام جديدة في حِزمة متكاملة بحيث يعرف أَتباعه، ويتميزون عن غيرهم[1]، وفي هذا دعوة للإنسانية أن تستمر على تلك الأخلاق، وأن تفعل ذلك كلما اقتضت الحاجة إليه، فيكون القرآن «قد استجاب لتقلب العصور، وتجدد الأحداث، واختلاف الأنفس، وتطور الفكر البشري، وثقافته وعلومه واكتشافاته عبر القرون، فيأخذ الخلق منه ما تتسع له حاجاتهم ومفهوماتهم، وما يناسب عصرهم من غير تناقض في هذه المفهومات على تباينها واختلافها»[2]، فينقلهم بذلك من مجتمع تغمره الجاهلية إلى مجتمعٍ يصير رائداً للعالم، وقائداً للشعوب والأُمم، كما كان رَدْحَاً من الزمن في العصر الأوَّل، وفي هذا يقول «وِيلز»: (هب العرب يُظهرون ما خفي من مواهبهم، فبهروا العالم بما أوتوه من معجزات العِلم، وأصبح لهم السَّبق بعد اليونان، فبعثوا كتبهم من مراقدها، ونَفَخُوا فيها من روحهم الحياة والقوة، فجعلوا بذلك سلسة العلوم متصلة الحلقات،

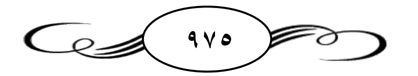
(١) للوقوف على هذا يُراجع: أثر القرآن الكريم في تغيير الحياة الاجتماعية في المجتمع العربي «عصر النُّبوة»، د/عبد الجليل إبراهيم حمادي الفهداوي، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ٢٠٠٦م .

(٢) كتاب المعجزة ،إعادة قراءة الإعجاز اللُّغوي في القرآن الكريم، أحمد بسَّام ساعي، الجزء الأول: ظواهر التجديد في لغة القرآن الكريم ص٣٠٦، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، الأولى، ١٤٣٣هـ .



مُحكَمة الرد، لا يمسها وهنٌ ولا انقطاع، وما جاءنا العِلم والمَدنيَّة إلَّا عن طريقهم لا عن طريق اللَّاتِين.)[1] ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) قيم حضارية في القرآن الكريم، عالم ما قبل القرآن، توفيق محمد سَبْع ٢٧٢/٢، ط: دار المنار، القاهرة، الثانية، رمضان ١٤٠٤هـ، وهو هربرت جورج ويلز مُؤرخ إنجليزي، أديب، مُفكِّر، صحفي، عالم اجتماع، ولد ١٨٦٦م، يُعتبر من مؤسسي أدب الخيال العلمي، توفي ١٩٤٦م . ينظر ترجمته: ماذا قدَّم المسلمون للعالم ٧٠٦/٢ .



خَاتِمَةٌ - نسأل الله حُسنها -

الحمد لِلَّه الذي هداني لإتمام هذا الموضوع، وأعانني على صياغة مباحثه، ويسَّر لي معالجة بعض جوانبه، الحمد لله على جزيل نعمائه، وجميل آلائه، كل نعمة منه وحده هو مبديها ومسديها، وبعد ،،، فعقب هذه الرحلة الشاقة الماتعة، فها أَنا قد وصلت إلى نهاية المطاف، لذا التمس وأدوِّن في إيجاز أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث، عسى الله أن ينفعنا بها وبثمرتها:

أولاً: مصطلح التجديد وإن لم يرد بنصه وفصه في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ[1]، لكنه مصطلح قديم دعا إليه القرآن الكريم ضِمناً في عدد لا بأس به من آياته؛ باعتباره ضرورة من ضرورات هذا الدِّين، ولازم من لوازم بقائه إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها .

ثانياً: رفض دعوة القرآن الكريم إلى التجديد أمر فيه من الخطورة ما لا تحصى عواقبه ولا تؤمن مزالقه؛ إذ يفتح الباب على مصراعيه ليلج منه المشككون والطاعنون قائلين: «القرآن كان صالحاً للرعيل الأوَّل من جيل الصحابة والتابعين، ولا يصلح للأزمنة المتعاقبة

(١) وردت ألفاظ أخرى تتشابه معه في أداء المعنى، وتحقيق المقصد، كلفظ «التَّغْيِير» الذي جاء في القرآن الكريم بجميع اشتقاقاته ست مرات في أربع مواضع موزعة على سُور مدنية النُّزول: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ النساء: (١١٩)، ﴿مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا﴾ الأنفال: (٥٣)، ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الأنفال: (٥٣) ، الرعد: (١١)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ الرعد: (١١)، ﴿وَأَنْهارٌ مِن لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ محمد: (١٥) . ينظر: المعجم المفهرس ص ٥٠٧، ٥٠٨ .



بعدهم، فهو قادر على حل ما وقع من قضايا آنذاك، أمَّا الآن فلا يستطيع مسايرة المستجدات المعاصرة»، وهذا مناف للوقائع التاريخية، وظروف الحياة الواقعية، ويتعارض مع فطرة الإنسان النقية .

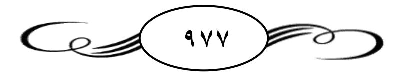
ثالثاً: لقد وضع العلماء – عليهم شَآبِيب الرحمة وسحائب الرضوان – ضوابط ومعايير علمية للتجديد في الإسلام تحميه من العبث، ينبغي توافرها وتحصيلها والالتزام بها؛ ليؤدي التجديد دوره المنوط به على أكمل وجه، وإلَّا خرج عن كونه تجديداً إلى التحريف والإلحاد في آيات الله تحت غطاء التجديد والعصرانية، وكل يدَّعِي وَصْلاً بِلَيْلى .

رابعاً: حث القرآن الكريم على التجديد في التفكير الإنساني بجميع أشكاله وأنماطه، ووضع لذلك أساليب وطرق متعددة تتفق مع البشرية جَمْعَاء ومتطلبات كل زمان ومكان، فسبق بذلك نظريات التفكير في العصر الحديث، وهذا ما صرح به غير واحد من المفكرين المحدثين الذين اعتنقوا الإسلام[١] .

خامساً: رغبا القرآن والسنة معاً على تجديد أسلوب الحياة الزوجية، ووضعا لتحقيق ذلك بعض الأفكار والوسائل كي تعزز العلاقة بين

---

(١) من هؤلاء: جاك. س. ريسلر J.S.restler: باحث فرنسي معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس، و د/ أحمد نسيم سوسه Dr. A. N. Sousa باحث ومهندس من العراق، وعضو في المجمع العلمي العراقي، وعبد الله كويليام Kwerem: مفكر إنجليزي وغيرهم . ينظر: قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل ص ٦٧، ٧١، ٨٤ .



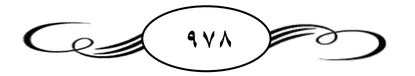
المرء وزوجه، وتضفي عليها بعض لمحات الجمال، والانتقال بها من الرتابة إلى الإثارة اللانهائية في ضوء الشرع الحنيف، وهذا يختلف جذرياً عمَّا ما هو مُسطَّرٌ في الكتب الأجنبية الحديثة التي عنيت بهذا الجانب(١)، والتي تخلو في كثير من الأحيان من الأمثلة الحقيقية, ولا تعدو أنْ تكون شعارات على الورق لا صِلة لها بالواقع .

سادساً: لقد أرسى القرآن الكريم أسس وأساليب الدعوة إلى الله تعالى، ثُمَّ ترك تفصيلاتها تَبَعاً لكل زمان ومكان، ومن هنا وجب على الدعاة الأخذ بروح الآيات الواردة في هذا لِكَي يقدم الإسلام في صورته النقية السَّمْحة، وبلغة عصرية واضحة، وحتي يتمكنوا من إبطال شبهات المتربصين، ورد ترهات المعاندين، ودفع مكايد المنافقين بأسلوب عصري يتناسب مع مستوى عقولهم، وتعدد أغراضهم، وتنوع مطامعهم .

سابعاً: لقد فتح القرآن الكريم المجال أمام البشرية عندما دعا إلى التجديد في الصناعات بشتى أنواعها، ورغب المسلمين في الإبداع والاختراع؛ ليتمكنوا من التفوق على عدوهم عتاداً وتقنية، وبهذا

---

(١) شهد بذلك عدة مفكرين أجانب، منهم: مارسيل بوازار: مفكر وقانوني فرنسي معاصر، ولورا فيشيا فاغليري I.Veccica Vaglier: باحثة إيطالية معاصرة، وليوبولد فايس I. Weiss: مفكر وصحفي نمساوي، وإيفلين كوبولد باحثة إنجليزية، ومونتجومري وات Montgomery Watt: عميد قسم الدراسات العربية في جامعة ادنبرا سابقاً وغيرهم ممن لا يحصون . ينظر: علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام ص ١١١، ١١٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٤٢ .

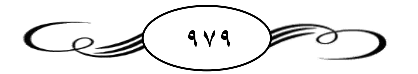


يتم منافستهم والتغلب عليهم، ولو أنهم استفادوا بما جاء من توجيهات وإرشادات في هذا المجال؛ لكانوا أسبق الأمم، ولصاروا سادة العالم، وأضحى بيدهم زمام الأمور، ولكنهم جمدوا أنفسهم ولم يستفيدوا بهدي القرآن وإرشاداته، فكانوا على ما ترى ...!.

ثامناً: أشارت الآيات القرآنية إلى التجديد في المجال العسكري؛ حيث نُظِمت بأسلوب فريد يتصف بالشمولية، ووضع القواعد العامة، والخطوط العريضة للأصول والمبادىء التي تقوم عليها العسكرية الحديثة، ودعت إلى مواكبة التطور التكنولوجي في هذا المجال بما يتضمنه من أسلحة ومعدات ثقيلة وخفيفة، وما توصل إليه العلم الحديث من مفاهيم ونظريات في هذا المجال، إنَّما هو مأخوذ في الأساس من تعاليم القرآن والسنة المجملة وقواعدهما الكلية .

تاسعاً: دعا القرآن الكريم إلى تجديد المعاملات بكل صورها وأشكالها سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية ... الخ ؛ إذ نصوص القرآن تتسع لحل هذه المعضلات وتلك المستجدات، لكن هذا يحتاج إلى عقل سليم يفكر، وقلب بصير يعي ويفهم، ينطلق من خلال آليات الاجتهاد، فيربط بين النص القرآني والواقع المتغير بحيث لا يصطدم أحدهما بالآخر .

عاشراً: حثت آي الذكر الحكيم على التجديد في مجال التفاعل الحضاري، وفتحت الطريق أمام الجميع؛ للتعاون والتعارف من أجل بقاء وسلامة البشرية، بشرط ألَّا يؤدي هذا الاحتكاك إلى الذوبان في الآخر، ونسيان الهوية الإسلامية القائمة على الكِتاب والسُّنة الصحيحة .



حادي عشر: أمر القرآن الكريم بالسير والنظر في آثار المهلكين؛ لأخذ العِبرة والعظة من السابقين، فيعود بالنفع على العاقلين، ولا شك أنَّ طريقة تحقيق ذلك تختلف من جيل لآخر، بحيث لا يلزم البشر اختيار طريقة بعينها؛ إذ يستخدم الجميع ما يناسبه بقدر ما أُوتي من القُوى والقدرات .

ثاني عشر: أمر القرآن الكريم في غير آية باستجلاء أسرارِه المكنونة التي تتعلق بشتى جوانب المعرفة والثقافة وغيرها ممَّا يدخل في حيز البحث العلمي، وأرخى العَنان، وأسْبَل الستار، وجعل الباب مفتوحاً أمام الجميع، فيكون بذلك قد دعا إلى التجديد فى التنوع المعرفي على اختلاف أنواعه، وتعدد مشاربه، ولم يجعله حِكْراً على أحد .

ثالث عشر: لمْ يترك القرآن الكريم شيئاً من أحوال الحياة إلَّا أبانها وأفصح عنها، ووضع قواعدها ولو على شكل خطوط عريضة؛ لتنتظم حياة البشر[1]، وترك تفصيلاتها تبعاً لمستجداتهم، واختلاف

---

(١) شهد بذلك عدة كُتَّاب ومستشرقين، وَالْحَق مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاء، من هؤلاء: ول جيمس ديورانت W.Durant: مؤلف أمريكي، توفي ١٩٨١م . ينظر كتابه: قصة الحضارة ١٣/ ٦٩، ترجمة: د/ زكي نجيب محمُود، ط: دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ، وعبد الله كويليام Kwerem: مفكر إنجليزي، ولد ١٨٥٦م، و د/ إلس ليختنستادتر Ilse lictenstadter: ألمانية، درست العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت ولندن، عنيت بدعوات الاجتهاد والتجديد والمقابلة بين المذاهب، من آثارها: «الإسلام والعصر الحديث» . ينظر: قالوا عن الإسلام ص ٨٣، ٨٧، وهاملتون ==



أعرافهم، وتنوع عاداتهم سواء أكان ذلك يتعلق بطريقة اللباس واتخاذ الزينة، أم الأكل والشراب، أم البناء والعمارة ... إلخ، ممَّا يدل على أنَّ القرآن كتاب الله الخالد الذي جمع بين دفتيه أمور الدنيا والآخرة .

رابع عشر: للتجديد المشروع مجالات عديدة واتجاهات مختلفة لا يزال الكثير منها بحاجة ماسة إلى مزيد ضبط وتوثيق وتطبيق من خلال آيات القرآن وسنة الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

خامس عشر: ثبت من خلال البحث أن للقرآن الكريم في حد ذاته خصوصيات ضمنت بقاءه واستمراره بين البشر منها:

١- قدرته على استيعاب معان لا حد لها تنطبق على مختلف الأزمنة والأمكنة .

٢- الانسجام مع الفطرة والطبيعة المشتركة بين أفراد بني البشر .

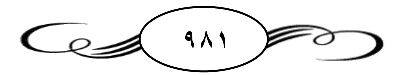
٣- الانسجام مع العقل الإنساني على اختلاف اتجاهاته في الحياة .

٤- الشمول والتوازن بين الأبعاد المختلفة للإنسان المادي منها والمعنوي، الفردي والاجتماعي .

٥- قابليته للتوافق مع المتغيرات، ومراعاته للظروف المختلفة لحياة الإنسان؛ كقدرة المخاطبين، وموارد العسر والحرج، وحالات

==

الكساندر روسكين جب، ولد في الإسكندرية يناير ١٨٩٥م، إمام المستشرقين الإنجليز المعاصرين، توفي ٢٢ أكتوبر ١٩٧١م بأكسفورد . ينظر: علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام ص ٥٦، وموسوعة المستشرقين ص١٧٤ .



الاضطرار، وترتيب المصالح بين المهم والأهم ... الخ، كل ذلك ضمن قواعد ثابتة .

٦- مراعاته لمشاركة الإنسان الخلاقة في التعامل المباشر مع نصوص الوحي ضمن عملية الاجتهاد، والتفقه في الدين؛ لاكتشاف المعارف والتعاليم الجديدة لمتابعة التطور الثقافي والاجتماعي على مر الزمان(١) .

أهم التوصيات والمقترحات:

يوصي الباحث من خلال هذه الدراسة، ويلفت أنظار المهتمين بالدراسات القرآنية إلى بعض التوصيات:

أولاً: العمل على إنشاء قاعدة بيانات ومركز متخصص يعني بدراسة المستجدات، ووضع النظريات والرؤى الإسلامية في جميع المتغيرات في العالم العربي والعالمي، سواء كانت في الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو التعليمية وغيرها من نواحي الحياة المختلفة .

ثانياً: عمل لجان متعددة تقوم بالرد على الاتجاهات الفكرية المنحرفة التي تنادي بالتجديد الذي قد يذهب روح الإسلام من خلال لَيّ عُنق الآيات والأحاديث؛ ليتلائم مع المفاهيم السائدة في العصر

(١) ينظر: منطق الخطاب القرآني، دراسات في لغة القرآن، محمد باقر سعيدي روشن، ص ٤٥٦ .



الحديث، ويكون هذا العمل بطريقة موضوعية في مجلة علمية محكمة من خلال أساتذة متخصصين .

ثالثاً: عناية الجامعات بتدريس التفسير وعلوم القرآن دراسة عصرية، تقوم على منهج تأصيلي نقدي، يعنى به أهل التخصص الدقيق، يربطون به بين القديم والحديث، وضرورة تنقية التراث التفسيري من الدَّخل – بكل أشكاله وألوانه – الذي علق به، الأمر الذي زاحم النَّص القرآني، وكاد أن يذهب برونقه وجماله وبهائه لولا رحمة ربي .

رابعاً: العمل على ترسيخ المفاهيم والقيم في الفكر الإنساني من خلال القرآن، والاهتمام بتأصيل المصطلحات الشرعية حتى لا تترك أداة للتلبيس والتلاعب بها من أشخاص يحملون مناهج متباينة، ضلَّ طريقهم في فهم ديننا، ويكون هذا الترسيخ عن طريق عقد دورات تدريبية، وندوات ومؤتمرات خاصة بقضايا التجديد تساعد المتخصصين، وتؤهلهم في مجالاتهم العلمية المختلفة، يشرف عليها أساتذة أكاديميين معتمدين؛ لتفتح لهم آفاقاً جديدة كل في مجاله، وتمكنهم من إعادة صياغة مناهج الدراسات الإسلامية وفق التحولات العالمية المعاصرة، ومحاولة تطبيق ما يمكن تطبيقه منها على أرض الواقع .

وهنا فرغ القلم، وذَرَف دموعه على صفيحات هذا البحث، راجياً من الله العلي القدير أن يتقبله، وأن يكون قد أسهم في وضع لَبِنة صغيرة في موضوع التجديد من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث النَّبي الأمين

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعتذر عمَّا وقع فيه من ذَلل أو تقصير أو نسيان، وأستغفر الله وأتوب إليه، إنه هو البَرُّ الرحيم .

وأسأل الله جلَّ وَعَلا بأسمائه الحُسنى، وصفاته العُلى، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأنْ ينتفع به مَنْ قرأه، وأنْ يسلكنا مع ضعفنا في ساح رحمته ومنِّه ورضاه، إنه سميع قريب مجيب الدعوات، وصَل اللَّهم وسلم وبارك على سَيِّدِنَا مُحَمَّد خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، وعلى آلِهِ وصحبه أَجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[1]

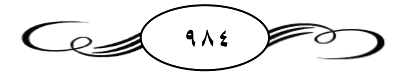
كتبه: راجي عفو ربه الحنان المنان

د/ محروس رمضان حفظي

غفر الله له ولوالديه

---

(١) سورة الصافات: (١٨١، ١٨٢) .



ثَبْت أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم جل من أنزله خير ما يبتدأ به .

[١] اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د/ محمد إبراهيم شريف، ط: دار السلام، ٢٠٠٨م .

[٢] إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود التويجري ت: ١٤١٣هـ، ط: دار الصميعي، الرياض، الثانية، ١٤١٤هـ .

[٣] أثر التفكير في البناء الثقافي، أ. علي بن محسن الشويش، ط: دار المفردات، الرياض، الأولى: ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م .

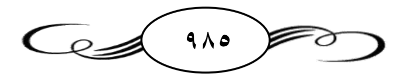
[٤] أثر الحضارة الغربية على المجتمعات الإسلامية، جاد محمد عبد العزيز، ط: دار السلام، الأولى ٢٠١٠م .

[٥] الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، آية الله محمد مهدي شمس الدين، ط: المؤسسة الدولية، بيروت، ١٩٩٩م .

[٦] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها «التبشير، الاستِشراق، الاستعمار» دراسة وتحليل وتوجيه، ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، عبد الرحمن حَبَنَّكَة ت: ١٤٢٥هـ، ط: دار القلم، دمشق، الثامنة ،١٤٢٠هـ .

[٧] أخلاق أهل القرآن، الآجُرِّيُّ ت:٣٦٠هـ، ت: محمد عمرو عبد اللطيف، ط: دار الكتب العلمية، الثالثة، ١٤٢٤هـ .

[٨] الأربعون النووية، النووي ت: ٦٧٦هـ، ط: دار المنهاج، لبنان، الأولى، ١٤٣٠هـ .



[٩] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ت: ٩٢٣هـ، ط: المطبعة الكبرى الأميرية، السابعة، ١٣٢٣هـ .

[١٠] الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات علاج، د/ طه جابر العلواني، ط: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الرابعة، ١٤١٤هـ .

[١١] الأساس في التفسير، سعيد حوي، ط دار السلام، القاهرة، وحلب، وبيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ .

[١٢] الإسلام في مواجهة التحديات، أ.د/ محمد عمارة، ط: نهضة مصر، الأولى، يناير ٢٠٠٧م .

[١٣] الإسلام والعصر تحديات وآفاق، محمد سعيد رمضان البوطي، ود/ طيب تيزيني، حوارات لقرنٍ جديدٍ، عبد الواحد علواني، ط: دار الفكر المعاصر، دمشق، الثانية ١٤٢٠هـ .

[١٤] الإسلام وتجديد دين الأُمَّة في عصر العولمة، فايز عزيز محمد إسماعيل، ط: دار الإيمان، الإسكندرية، الأولى، ٢٠٠٨م .

[١٥] الإسلام ومُتطلَّبات العصر، الشهيد مُرتضى مُطَهَّري، تعريب: علي هاشم، مُراجعة: د/ محمود البستاني، ناصر النَّجفي، ط: مجمع البحوث الإسلامية، إيران، مشهد، الأولى، ١٤١١هـ، مؤسسة الطبع والنَّشر في الاستانة الرضوية المُقدَّسة .

[١٦] إشكالية التجديد في الدين الإسلامي دراسة وصفية تحليلية، د/ سمير بن هاشم بن خضير، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، المجلد ١٢،



العدد ٤، ٢١٠٧م .

[١٧] اكتشاف الذات- دليل التميز الشخصي، عبد الكريم بكار، مؤسسة الإسلام اليوم، الرياض، ط الرابعة، ١٤٣١هـ .

[١٨] تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي ت: ١٢٠٥هـ ، ط: دار الهداية .

[١٩] تجديد الخطاب الدِّيني بين التَّأصيل والتَّحريف، محمد بن شاكر الشريف، ط: مجلة البيان ، الأولى ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م .

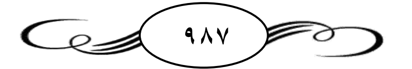
[٢٠] تجديد الدين، مفهومه، وضوابطه، وآثاره، د: محمد حسانين حسن حسانين، بحث مُقدَّم لنيل جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسُّنَّة النَّبوية والدِّراسات الإسلامية المعاصرة، الدورة الثالثة، الأولى: ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م .

[٢١] تجديد الفقه الإسلامي، د: جمال عطية ، د: وهبة الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، الأولى، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م .

[٢٢] تجديد أهداف الدِّراسات الإسلامية في ضوء التَّحولات العالمية المعاصرة، أحلام مطالقة، وعماد الشريفين، أسماء بني يُونس، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، مجلة جامعة النَّجاح للأبحاث «العلوم الإنسانية»، مجلد ٢٨(٥) ، ٢٠١٤م .

[٢٣] التجديد في أصول الفقه دراسة نقدية، جميلة بو خاتم، ط: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، مصر، الأولى،٢٠١٠م .

[٢٤] التجديد في التفسير، نظرة في المفهوم والضوابط، عثمان أحمد عبد



الرحيم، ط: مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط: المكتبة العصرية، الإصدار الحادي عشر .

[٢٥] التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه وضوابطه واتجاهاته، دكتوراه، دلال بنت كويران بن هويمل البقيلي السلمي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين،١٤٣٥هـ .

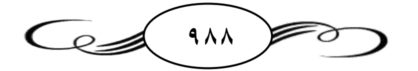
[٢٦] أنا والقرآن مُحاولة فَهَم، نحو فهم حضاري للقرآن «١»، د/ جاسم سلطان، ط: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، تمكين للأبحاث والنشر، بيروت، القاهرة، الدار البيضاء، الأولى: ٢٠١٥م .

[٢٧] التجديد في الفكر الإسلامي، د: عدنان محمد أمامة، ط: دار ابن الجوزي، الدَّمام، الأولى: رجب ١٤٢٤هـ .

[٢٨] التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المُعاصر«بحث في الأصول السياسية للتربية والتعليم في الأقطار العربية»، د/ ماجد عرسان الكيلاني، ط: دار القلم، دُبي، الأولى، ١٤٢٦هـ .

[٢٩] تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية ، د/ ماجد عرسان الكيلاني، ط: دار ابن كثير، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الثانية ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

[٣٠] تعليم التفكير ومهاراته، تدريبات وتطبيقات عملية، د/ سعيد عبد العزيز، ط: مكتبة مؤمن قريش، دار الثقافة، عمان، الأردن، الأولى، ١٤٣٠ هـ= ٢٠٠٩ م .



[٣١] تفسير القرآن الحكيم «تفسير المنار»، محمد رشيد رضا ت: ١٣٥٤هـ، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م .

[٣٢] التفكر من المُشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية إسلامية، مالك بدري، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الرابعة، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

[٣٣] التفكير الابداعي، كيف تُكفر؟ ٥٠ لُغزاً تدريبياً للعقل لتغيير طريقة تفكيرك، تشارلز فيلبس، ط: مكتبة جرير، الرياض، الأولى، ٢٠١٤م .

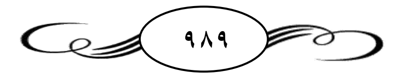
[٣٤] التفكير التأملي، جولدن هلفش، فيليب سميث، ت: محمد العزاوي، إبراهيم خليل شهاب، مراجعة: محمد سليمان شعلان، ط: دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٦٣م .

[٣٥] التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، ماجستير، عبد الوهاب محمود إبراهيم حنايشة، جامعة النَّجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا ، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩م .

[٣٦] تنمية التفكير بأساليب مشوقة، أ.د/ عبد الواحد حميد الكبيسي، ط: دار ديبونو، عمان، الأولى: ٢٠٠٧م .

[٣٧] تنمية مهارات التفكير نماذج نظرية وتطبيقات عملية، أ.د/ عدنان يوسف العتوم، د/ عبد الناصر ذياب الجراح، د/ موفق بشارة ، ط: دار المسيرة، عمان، الأردن، ط: الثانية،١٤٣٠هـ .

[٣٨] الثقافة والثقافة الإسلامية، سميح عاطف الزين، ط: الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، الرابعة،١٤١٤هـ=١٩٩٣م .



[٣٩] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، أبو عبدالله البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ .

[٤٠] الحضارة فريضة إسلامية، أ.د/ محمود حمدي زقزوق، مُلحق بمجلة الأزهر الشهرية، رجب ١٤٣٨هـ= إبريل ٢٠١٧م .

[٤١] حوار الثقافات والحضارات ضرورة إنسانية، مجلة الإسلام اليوم، الايسيسكو، عدد:١٤، ١٤٤٧هـ.

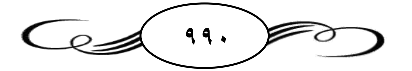
[٤٢] الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، د: عبد العزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسيسكو، الثانية ١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م.

[٤٣] الخطاب الإسلامي الواقع والتجديد «رؤية معاصرة»، جامعة عدن، أكرم علي مسعد المذعوري، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م .

[٤٤] خطوة نحو التفكير القويم، ثلاثون ملْمحاً في أخطاء التفكير وعيوبه، أ.د/ عبد الكريم بكَّار، تنمية الشخصية «٢» ، ط: دار الأعلام، المملكة الأردنية الهاشمية، الخامسة ١٤٣٢هـ .

[٤٥] دراسات في تفسير النَّص القرآني، التأويل والأفهوم القرآني، مجموعة من الباحثين، ط: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات القرآنية، «٣»، مكتبة مؤمن قريش، بيروت، الأولى: ٢٠٠٧م .

[٤٦] الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المُصحف الشَّريف، د/حُسين محمد فهمي الشافعي، ط : دار السلام، القاهرة، الثالثة،



١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م .

[٤٧] دور حُرية الرَّأي، في الوحدة الفكرية بين المسلمين، د. عبد المجيد النَّجار، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا ، الأولى، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

[٤٨] رجال ونساء أسلموا، إعداد وترجمة: د/ عرفات كامل العشي، الجزء الثاني، مراجعة: د/ عبد الستار فتح الله سعيد، ط: المكتب المصري الحديث .

[٤٩] رجال ونساء أسلموا، إعداد: د/عرفات كامل العشي، الجزء الخامس، ط: دار القلم، الكويت، الأولى، ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م .

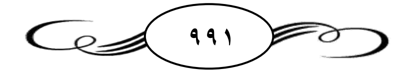
[٥٠] الرحلة إلى الإسلام، يوميات دبلوماسي ألماني مُراد هُوفمان، ترجمة: محمد سعيد دباس، ط مكتبة العبيكان، الرياض، الأولى، ١٤٢٦هـ .

[٥١] الرسول القائد، محمود شيت خطاب ت: ١٤١٩هـ، ط: دار الفكر، السادسة، ١٤٢٢هـ .

[٥٢] سر ينبوع الشباب بسبع خطوات تُصبح أكثر شباباً بعشر سنوات، روبرت سباستيان، تعريب: د/ نبيل الحفَّار، ط: مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤ م .

[٥٣] سنن أبي داود، أبو داود السَّجِسْتاني ت: ٢٧٥هـ ، ط: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .

[٥٤] سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، ط: مصطفى البابي الحلبي، الثانية، ١٣٩٥هـ .



[٥٥] السنن الكبرى، البيهقي ت: ٤٥٨هـ، ت: محمد عطا، ط: دار الكتب العلمية، الثالثة ١٤٢٤هـ .

[٥٦] شرح السنة، البغوي ت:٥١٦هـ، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الثانية،١٤٠٣هـ .

[٥٧] صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن حَبَنَّكَة ت: ١٤٢٥هـ، ط: دار القلم، دمشق، الخامسة، ١٤١٢هـ .

[٥٨] عادات العقل، دافعية الإنجاز، د . خالد بن محمد بن محمود الرابغي، ط: مركز ديبونو لتعليم التفكير، عمان، دُبي، الأولى، ٢٠١٥ م .

[٥٩] علم التفكير، د: صلاح صالح معمار، ط: دار ديبونو، عمان، الأولى، ٢٠٠٦م .

[٦٠] علِّم طفلك كيف يُفكِّر، د/ طارق عبد الرؤوف عامر، د/ ربيع محمد، ط: مكتبة مؤمن قريش، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، ط: الرابعة، ٢٠٠٨م .

[٦١] علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، ردودٌ على حملات تشويه صورته في أوروبا وأمريكا، الحسيني الحسيني معدى، ط: دار الكتاب العربي ، دمشق، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٧م .

[٦٢] العمران والبنيان في منظور الإسلام، د.م / يحيى وزيري، ط: دار روافد، الأولى، الكويت، يونيو ٢٠٠٨م= جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ .

[٦٣] الفكر الدِّيني وقضايا العصر، أ.د / محمود حمدي زقزوق، هدية مجلة الأزهر، جمادى الآخرة ١٤٤١هـ = فبراير ٢٠٢٠م ، الجزء السادس،



لسنة: ١٩٩٣م .

[٦٤] فلسفة التربية الإسلامية، دراسة مُقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المُعاصرة، ماجد عرسان الكيلاني، ط: مكتبة المنارة، جدة، الأولى،١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م .

[٦٥] فن التَّفكير، رؤية إسلامية، د/ أحمد البراء الأميري، ط: مكتبة العبيكان، الرياض، ط: الثالثة: ١٤٢٨هـ .

[٦٦] في إشراقَة آية، أ.د/ عبد الكريم بكَّار، ط : مؤسسة الإسلام اليوم، الرياض، دار وجوه، الثانية، جمادى الأُولى ١٤٣١هـ .

[٦٧] القراءة المثمرة ... مفاهيم وآليات، أ.د/ عبد الكريم بكَّار، دارالقلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، السادسة، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م .

[٦٨] القرآن الكريم والسُّلوك الإنساني، محمد بهائي سليم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

[٦٩] القرآن والنَّظر العقلي، فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، سلسلة الرسائل الجامعية «٧»، «المنهجية الإسلامية»، الأولى، ١٤١٣هـ .

[٧٠] قطار التَّقدُّم، مبادىء وأساليب للتغيير الشخصي، أ.د / عبد الكريم بكار، ط: دار وجوه، مؤسسة الإسلام اليوم، الرياض، الأولى، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م .

[٧١] القيم الحضارية في رسالة خير البريَّة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محمد بن عبد الله بن صالح السَّحِيم، مجلة البيان، الرياض، الأولى،١٤٣٢هـ .



[٧٢] كيف تحصل على الحُب الذي تُريده، دليل الأزواج، أ.د/ هارفيل هندريكس، ط مكتبة جرير، السعودية، الأولى، ٢٠٠٨م .

[٧٣] ماذا قدَّم المسلمون للعالم، إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، د/ راغب السِّرجاني، ج الأول، الثانية ١٤٣٠هـ، ج الثاني، ط: الرابعة ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م ، ط: مؤسسة اقرأ، القاهرة .

[٧٤] المجتبى من السنن = السنن الصغرى، النسائي ت: ٣٠٣هـ، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الثانية، ١٤٠٦هـ .

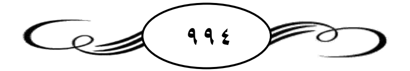
[٧٥] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي ت: ٨٠٧هـ، ط: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ .

[٧٦] مختار الصحاح، الرازي ت: ٦٦٦هـ، ط: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الخامسة،١٤٢٠هـ .

[٧٧] مدخل إلى إسلامية المعرفة، عماد الدِّين خليل، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط: الثانية، ١٤٢٢هـ= ١٩٩١م .

[٧٨] مدخل إلى التنمية المُتكاملة رؤية إسلامية،أ.د/ عبد الكريم بكار، ضِمن سلسلة المسلمون بين التَّحدي والمُواجهة «٤»، ط: دار القلم، دمشق، الأولى،١٩٩٩م .

[٧٩] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي ت: ١٠١٤هـ، ط: دار الفكر، الأولى ١٤٢٢هـ .



[٨٠] المستدرك على الصحيحين، الحاكم ت:٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، الأولى١٤١١هـ=١٩٩٠م .

[٨١] مسند الإمام أحمد بن حنبل ت:٢٤١هـ، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: الرسالة، الأولى ١٤٢١هـ ، ت: أحمد محمد شاكر، ط: دار الحديث ، القاهرة، الأولى، ١٤١٦هـ .

[٨٢] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ت: ٢٦١هـ ، ت: محمد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

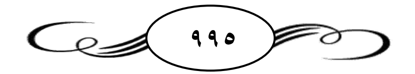
[٨٣] مشكاة المصابيح، التبريزي ت: ٧٤١هـ، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٩٨٥م .

[٨٤] معالم الهدى إلى فهم الإسلام، مروان إبراهيم القيسي، المكتبة الإسلامية، عمان، الأُردن، الأولى، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٥م .

[٨٥] معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة، الآثار والعمارة والفنون، د / عثمان عثمان إسماعيل، ط: بدون، الأولى: ١٤١٥هـ ، المغرب، الرباط.

[٨٦] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المُصحف الشَّريف، محمد فؤاد عبد الباقي، ط : دار الحديث، القاهرة، م: دار الكُتب المصريَّة، جمادى الأُولى، ١٣٦٤هـ = ٢٥ أبريل ١٩٤٥م .

[٨٧] مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد خير، ط: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الأولى،١٤٣٣هـ= ٢٠١٢م .



[٨٨] مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، أ.د/ عبد الكريم بكّار، ط: دار القلم ، دمشق، الأولى، ضمن سلسة المسلمون بين التحدي والمواجهة «٣» .

[٨٩] موجز تاريخ الدِّين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النُّهوض بهم، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر الحديث، لبنان، الثانية، ١٣٨٦هـ=١٩٦٧م.

[٩٠] النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد دراز ت: ١٣٧٧هـ، ط: دار القلم،١٤٢٦هـ .

[٩١] نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، د / أحمد محمد حسين الدَّغشي، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سورية ، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

[٩٢] وسائل الدَّعوة بين الأصالة والمُعاصرة، أ.د/ علاء الدِّين الأمين الزَّاكي، مجلة الدَّعوة، مركز الدَّعوة جامعة أفريقيا العالمية الخُرطوم ، السُّودان، العدد : ١٦، يونيو ٢٠٠٨م.

[٩٣] الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية، د: صالح الرقب، الجامعة الإسلامية، مؤتمر كلية أُصول الدين، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الفترة: ٧: ٨ ربيع الأول: ١٤٢٦هـ = ١٦: ١٧: أبريل:٢٠٠٥م.

تم بحمد الله وَتوفيقه



فهرس الموضوعات

